

# التراث العربي

العدد: (92) - (نوفمبر) - 1424هـ = كانون الأول (ديسمبر) 2003 - السنة الثالثة والعشرون

رئيس التحرير  
د. محمود الريداوي

المدير المسؤول  
د. علي عقلة عرسان

أمانة التحرير  
جمانة طسه  
مركز بحوث وتطوير علوم إلكترونية

محمود فاخوري

هيئة التحرير  
د. وهبة الزحيلي

د. محمد زهير البابا

د. علي أبو زيد

زهير حميدان

مركز بحوث وتطوير علوم إلكترونية - دمشق - ص.ب. 3330 - فاكس: 33344

E-mail: [amery@net.sy](mailto:amery@net.sy)

[awu@net.sy](mailto:awu@net.sy)

مركز بحوث وتطوير علوم إلكترونية

[www.awu-dam.org](http://www.awu-dam.org)

## شروط النشر

- 1- أن تكون للبحوث تراثية، أو تصب في باب التراث.
- 2- أن تكون جديدة، ولم تنشر من قبل وليست مسئلة من كتب منشور.
- 3- التقيد بمنهج علمي دقيق، والتزام الموضوعية، والتوثيق والتخريج، وتحقق السلامة اللغوية.
- 4- أن تكتب بخط واضح، ويفضل أن تكون مطبوعة، وعلى وجه واحد من الورقة.
- 5- ألا تزيد على ثلاثين صفحة.
- 6- أن تراعى علامات الترقيم.
- 7- توضع الحواشي في أسفل الصفحة، ويلتزم فيها المنهج العربي، أي يكتب اسم الكتاب، فالمؤلف، فالمحقق، فالجزء والصفحة.
- 8- يثبت في آخر البحث فهرس المصادر والمراجع وفق ترتيب حروف الهجاء لأسماء الكتب، مثال: (طبقات فحول الشعراء: ابن سلام - نج. محمود شاكر - القاهرة - مط. العربي - ط3، 1974م).
- 9- يقدم للبحث بملخص عنه في بضعة أسطر، ويرفق بلمحة عن سيرة المؤلف وعنوانه.
- 10- يمكن أن تنشر المجلة نصوصاً تراثية محققة، إذا استوفى جميع شروط التحقيق.
- 11- تخضع الأبحاث المرسلة للتحكيم العلمي.
- 12- لا تعاد الأبحاث إلى أصحابها، ويبلغون بقبول نشرها، أو الاعتذار إليها.
- 13- الأبحاث والمقالات التي تنشر تعبر عن آراء كتاليفها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو اتحاد.
- 14- ترتيب البحوث داخل العدد يخضع لاعتبارات قيمة لا تقتصر على الترتيب الأبجدي.

□□□

### الاشتراك السنوي

|                                   |                                    |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| داخل القطر للأفراد                | : 150 ل.س                          |
| في الأقطار العربية للأفراد        | : 300 ل.س أو (15) دولاراً أميركياً |
| خارج الوطن العربي للأفراد         | : 450 ل.س أو (20) دولاراً أميركياً |
| الدوائر الرسمية داخل القطر        | : 300 ل.س                          |
| الدوائر الرسمية في الوطن العربي   | : 500 ل.س أو (25) دولاراً أميركياً |
| الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي | : 650 ل.س أو (40) دولاراً أميركياً |
| أعضاء اتحاد الكتاب                | : 75 ل.س                           |

■ الاشتراك يرسل حوافة بريدية أو شيكاً يدفع مقدماً إلى مجلة التراث العربي ■

## المحتوى:

- أول الكلام: سعيد الأفغاني من أعلام العربية.....
- 9 رئيس التحرير
- عائشة والسياسة.....
- 11 أ.د. وهبة الزحيلي
- الأستاذ سعيد الأفغاني.....
- 23 يوسف الصيداوي
- سعيد الأفغاني ومصادر أخرى.....
- 28 يوسف عبد الله الجوارنة
- الأستاذ المعلم الربيع سعيد الأفغاني وحديث الذكريات.....
- 36 عاصم البيطار
- مع كتاب أسواق العرب في الجاهلية والإسلام.....
- 40 محمود فاخوري
- معلم وتلميذ.....
- 59 د. محمد رضوان الداية
- سعيد الأفغاني منافحاً عن العربية.....
- 66 د. عبد الإله نيهان
- سعيد الأفغاني: عالماً وإنساناً.....
- 185 جمانة طه
- خطأ مشهور و صواب متجور: نص كتبه الأستاذ الأفغاني ولم يفشر.....
- 89 سعيد الأفغاني
- قراءة في كتاب (من تاريخ النحو) لسعيد الأفغاني.....
- 94 د. أحمد عزوز
- عن العلامة سعيد الأفغاني مركز توثيق التراث الحضاري والحضاري.....
- 100 محمود الأرنؤوط
- الأفغاني وكتابه حاضر اللغة العربية في بلاد الشام.....
- 105 د. نزار أباطة
- وللأفغاني رأي في الاحتجاج بالقراءات.....
- 111 د. إبراهيم محمد عبد الله
- الأفغاني محققاً: من خلال تحقيقه كتاب تاريخ داريا.....
- 124 د. رياض عبد الحميد مراد
- عبقرية العلامة المجتهد سعيد الأفغاني في الاحتجاج.....
- 129 عدنان عمر الخطيب
- منهج الأستاذ الأفغاني في تبسيط قواعد اللغة العربية.....
- 143 د. أيمن الشوا
- كل الممالك: رثاء سعيد الأفغاني.....
- 159 علي العتوم
- أخبار التراث.....
- 161 أمينة التحرير



## تنويه

### الأفغاني على الشبكة العالمية (الإنترنت)

من أراد مزيداً من المعلومات عن شخصية الأستاذ سعيد الأفغاني فإنه يجد الكثير من التفاصيل التي جمعها الدكتور يوسف عبد الله الجوارنة، بعنوان: مصادر دراسة الأفغاني:

- 1 - حياة الأستاذ الأفغاني وسيرته.
- 2 - أعماله وأثاره (قائمة ببيوغرافية): المؤلفات، الكتب التي عُني بتحقيقها، البحوث، المقالات، المداخلات، المحاضرات، التعقيبات، الاستدراكات. وذلك على الموقع:

<http://WWW.Voiceofarabic.Com/Alafgani1.htm>





**الأستاذ العلامة سعيد الأفغاني**



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



والإسلام تبذت لك شخصية المؤلف التي تظن أنه رجل خلق للتأليف ليس غير، وإذا قرأت مقالاته التي كتبها في بواكير المجالات العربية، ألفت رجلاً بارعاً في كتابة المقالة، تتأكد من ذلك عندما تقرأ مقالات عن العقدة الأساسية في شخصية المتنبي وعقدة فنه التي حار في تفسيرها كتاب المقالة، وهي (نبوءة المتنبي ودينه)

وتستشف عمق تحليله الأدبي إذا قرأت السجال الذي كان بينه وبين كبار الدارسين لفن المتنبي حول هذه القضية فإذا تابعت مقالاته في مجالات الرسالة والثقافة ومجلة مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وغيرها تراءى لك الأفغاني الأديب بجانب الأفغاني النحوي.

وإذا قرأت مقالاته عن أحداث عصره التي عاشها فكان شاهداً عليها أدركت عمق تفكيره لثمتم أحداث العصر، وصحة تفسيره لمجريات تلك الأحداث التي تركت شرخاً كبيراً في انحراف السياسة في الشرق الأوسط، ما زلنا نعاني من آثارها السلبية إلى يومنا هذا.

كان العلماء في العصر العباسي يتماحكون، ويتبادلون المقولة (كن أديباً ولا تكن نحوياً) لأن الأديب أوسع أفقاً، وأرحب معرفة، ولأن النحو يتعلمه الأديب من خلال ممارسته للأدب، يتعلم النحو مطبقاً على النصوص الأدبية التي يمارسها، وهكذا كان أستاذنا أديباً في إهاب نحوي وهو الوجه الذي لا يعرفه في الأفغاني إلا القليل.

كنت أتوقع أن يكون ما يرفدنا به الكتاب عن شخصية الأستاذ الأفغاني محصوراً في حقل اللغة والنحو، ولكن ما تهاطل على المجلة من الأبحاث والمقالات من زملائه وتلاميذه وأصدقائه ومحبيه تجاوز ذلك إلى الجوانب الظاهرة والخفية من شخصية الرجل، ويسعدنا أن نتلقى هذا القدر الوافر من الكتابات التي أغنت العدد، بمقالات متنوعة رشحت من أقلام رصينة متمكنة، وها نحن أولاء نقدمها للقارئ، بعضها مما يعرفه، وبعضها الآخر مما يضيف إلى حصيلة معرفته الجديدة، ويضيف إلى المكتبة العربية أفكاراً لم تكن قد دخلت من قبل.

أمل أن تسعفنا قادمات الأيام على حسن اختيار شخصيات رصينة من أعلام ثقافتنا وفكرنا ممن لهم اليد الطولى في ترسيخ الثقافة العربية، وصياغة الأجيال المؤمنة بهذه الثقافة، والجاهدة في تقديمها للعالم نقيّة بريئة من كل (شوفونية) وتعصب.

علمنا الجاحظ في رسائله مقولة حليفة قال فيها: "ولولا تنقيد العلماء خواطرهم على الدهر، ونقرهم آثار الأوائل في الصخر، لبطل أول العلم، وضاع آخره، ولذلك قيل: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول يتعلم منه الآخر".



## عائشة و السياسة

أ.د. وهبة الزحيلي\*

**إن** أشد ما يؤلم الإنسان، ويجرح الفؤاد، وينكأ مشاعر المسلمين تلك الأحداث التاريخية الخطيرة التي تعرضت لها الأمة الإسلامية في عهد مبكر بعد العهد النبوي، والتي أحدثت شرخاً عميقاً في بنيان الأمة على الدوام، وبدأت إبان الخلافة الراشدية حيث قتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين قتلاً مشيناً ومهيناً، فكانوا في قمة شهداء الإسلام.

وكان قرب عهد هؤلاء الصفوة الذين تربوا في مدرسة النبوة وتأثرهم بأخلاق الجاهلية وثاراتها وصراعاتها القبلية، وشدة مراس العرب وصلابتهم في علاج الأحداث الكبرى، دون وعي عميق لأصابع الفتنة والديسائس، هو السبب البعيد أو غير المباشر في تتابع المشكلات وتآزم الأزمات الفكرية والسياسية بالذات، وتفريق الأمة وتعميق وحدتها.

إن استشهاد الثلاثة من الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم كان له وقع السيم المسموم في قلب الأمة الكبير على مدى التاريخ، ولم ينشأ ذلك من فراغ، وإنما الذي أدى إليه هو ثلاثة أسباب متشابهة وهي:

- التآمر اليهودي الماكر على المسلمين، مما أوقعهم بسرعة في الفتنة العمياء.
- انعدام التجربة العربية في وسط شبه الجزيرة العربية في صياغة وحدة الأمة القوية، والتخطيط لمستقبل حصين وعديد، وافتقاد رؤية واضحة المعالم للمصير المشؤوم.
- سيطرة المشاعر الجامحة ذات النظرة الجائنية الخاصة دون إمعان أو تقدير لوجهة الرأي الآخر أو تأمل في مصير الأمة.

ومن المؤسف حقاً أن أدوات تنفيذ خيوط هذه الأحداث الجسام وضحاياها معاً هم عليه الأمة أو كبارها، ورعاها، على السواء.

ومن أبرز أحداث الخلافتين المتلازمة: خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما: حروب الصحابة الكرام فيما بينهم، وفي طليعتها وقعة الجمل ووقعة صفين.

والسذي زاد فسي إرباك الأمور هو: توريط أو استجرار السيدة عائشة رضي الله عنها إحدى أمهات المؤمنين لقيادة حرب ضروس بين الطرفين تحت مظلة الثأر من قتل عثمان، وهما عائشة وطلحة والزبير في جبهة، والإمام علي في جبهة أخرى مواجهة للأولى، بين أهل البصرة وأهل الكوفة، وفي منتصف جمادى الآخرة عام (36 هـ)، في وقعة الجمل.

والحقيقة الصعبة في وقعة الجمل أنها إحدى مظاهر الصراع على الخلافة، وسدنتها هم الأمويون الهاربون من المدينة المنورة، والحاقدون على الإمام علي قبوله الخلافة من أيدي قتل عثمان، ولما كانت مكة المكرمة بلداً حراماً لا يقاتل فيها، اتخذ أعداء علي طريق العراق، وكان فيه أنصار لطلحة والزبير يرشحونهما للخلافة، وادّعى أنهما بايعا علياً بالإكراه، وأنه ليس أهلاً للخلافة بعد عثمان، ولا أولى بها منهما<sup>(1)</sup>.

قامت موقعة الجمل بين جند علي من ناحية، وبين بني أمية وعائشة وطلحة والزبير من ناحية أخرى.

ومن المعلوم أنه كان لعائشة رضي الله عنها مقام كبير بين الصحابة، حيث كانت حجة ومرجعاً علمياً كبيراً للرجال والنساء في الدين، إلا أنها تعرضت لحدثين كبيرين خطيرين هما: قصة الإفك فسي عيد النسوة، ومشاركيتها في وقعة الجمل بصفة القيادة في عهد الإمام علي، ووراءها التآمر السياسي للأمويين، أما الحدث الأول: فتولى الله تعالى في قرآنه المجيد تيرثتها بآيات عشر تتلى إلى يوم القيامة في سورة النور [11 - 21]. وأما الحدث الثاني: فكان رأي كبار الصحابة فيه ضرورة ترفع عائشة عنه، وألا تخرج من المدينة إلى البصرة، وإن خرجت بنية حسنة دفاعاً عن الحق ومطالبة بالثأر من قتل عثمان، لولا طوفان الفتنة الكبرى الذي وجه الطرفين واستدرجا للقتال بتحريض رأس الشر عبد الله بن سبأ اليهودي<sup>(2)</sup>.

ومنزلة كل من علي وعائشة كبيرة، مما زاد في شدة الصراع وحدة القتال، وقد تميزت عائشة بمزايا تسع هي كما قالت عن نفسها:

لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتني في راحته، حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرة، وما تزوج بكرة غيري، ولقد قبض ورأسه في حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة ببيتني، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لأبنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء،

(1) تاريخ السياسي للدولة العربية، الدكتور عبد النعم ماجد: 262 / 1 - 263.

(2) تاريخ الإسلام السياسي والادبي والثقافي والاجتماعي، الدكتور حسن إبراهيم حسن 268 / 1.

ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً<sup>(1)</sup>.

أما علي كرم الله وجهه فهو الإمام بحق لأن أكثر الأمة بايعوه بالخلافة، وهو باب مدينة العلم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي وصيروه، وأحد الشجعان الأبطال، وقد تيراً مراراً من قتلة عثمان ولعنيم، وحينما قام بعض كبار الصحابة (عائشة وطلحة والزبير وغيرهم) يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم، توفى علي الفتنة وترث، وظفر في وقعة الجمل سنة (36) بعد خلافته بسنة، بعد أن بلغت قتلى الفريقين عشرة آلاف<sup>(2)</sup>.

لقد كتب العلامة الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله كتابه المتميز: "عائشة والسياسة"، معتمداً في الأكثر على أغني وأوثق المصادر التاريخية: "تاريخ الأمم والملوك" للطبري، قائلاً: وليس "الكامل" لابن الأثير إلا تاريخ الطبري منسقا منه الأسانيد واختلاف الروايات، واعتمد عليه ابن خلدون فيلسوف المؤرخين في نقل حوادث الجمل.

واشتمل كتاب الأفغاني على ستة أبواب، الباب الأول — في عهد عثمان في أربعة فصول، والباب الثاني — مواقف عائشة في عهد علي حتى يوم الجمل في ستة فصول، والباب الثالث — يوم الجمل الأكبر في خمسة فصول، والباب الرابع — وقعة عند حرب الجمل في فصلين، والباب الخامس — في حياة عائشة السياسية بعد حرب الجمل في فصلين، والباب السادس — عائشة في الفرق الإسلامية في ثلاثة فصول، ثم خاتمة طيبة.

تميز الأفغاني في هذا الكتاب القيم بالموضوعية والحياد والتجرد وسرد أحداث التاريخ الصائبة، والدقة في بيان أحداث صراع عائشة مع علي، مع التعقيبات المفيدة في كل موطن، ونقد الأمة الإسلامية التي لا تنتبه للفتنة إلا بعد مرورها، وإنصاف الإمام علي وتنزيه السيدة عائشة، وبيان مصداقية الصحابة في اعتقاداتهم بدفاع كل فريق عن عائشة والجمل، وعن علي وإقدامه، والعبرة من الحوادث التي تجلست في الخاتمة وضرورة الحرص على وحدة الأمة وبعدها عن الفرقة والاختلاف، قائلاً في آخر الخاتمة<sup>(3)</sup>: "إن الأمم من حولنا كالجياح على القصاع، كما أخبر بذلك الرسول الأعظم ﷺ، فلن يجدينا من موقفنا اليوم ذلك الجدل ولا تلك الفرقة، بخويصة أنفسنا ما يشغلنا عن هذا الباطل، وفي مطالب الحياة الجادة ما يلفتنا عن التفرق... فلنقابليها صفاً واحداً وأمة واحدة كما بدأنا الله، فلنعد أمة واحدة كما أراد الله لنا، ولنبرأ من كل فتنة وخلاف وتفرقة، إنا محاطون بالأعداء داخلاً وخارجاً، وهم دائبون على توسيع الشقة بيننا، فلا نعينهم على أنفسنا، ولا نضعن في أيديهم السلاح الذي يقتلنا ويجعلنا لهم طعمة سائغة — وهذا ينطبق على أزمنا الحاضرة — ليت الله إذ جمع على الهدي أمرنا، لم يجعل للفرقة إلنا سبيلاً، ولا جعل بأسنا بيننا، ولبت هذه

(1) جزء خاص بترجمة السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق من سير النبلاء للناهي. تحقيق المرحوم الأستاذ سعيد الأفغاني: ص (21)، 88، 98.

(2) الأعلام للزركلي 107/5.

(3) عائشة والسياسة: ص (351 — 352).



انقضت على البيعة ستة أشهر، وماتت السيدة فاطمة زوجته، أقبل يبايع<sup>(1)</sup>.

### بيعة علي

حزنت السيدة عائشة حزناً صادقاً على قتل عثمان، وكانت قد تركت المدينة المنورة إلى مكة لأداء العمرة أثناء محاصرة عثمان، وبويع علي لخمس بقين من ذي الحجة عام (35 هـ)، ولما قضت عمرتها، اتجهت إلى المدينة، فأخبرت بقتل عثمان فقالت: "ردوني ردوني، قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه" ورجعت إلى مكة، حتى نزلت على باب المسجد، وقصدت حجر اسماعيل، فسترت فيه، واجتمع الناس إليها، فخطبتهم خطبة اعتبرت إعلاناً واضحاً للثورة على خلافة علي، وعدم الاعتداد ببيعته.

وطمحت نفس طلحة بن عبيد الله للخلافة، فتكأ عن بيعة علي، ثم جاء نفر من أهل البصرة بقيادة الأشتر النخعي إليه ليبايع علياً، فبايع مكرهاً، ومثله الزبير بن العوام، واختفى الأمويون وهربوا إلى مكة استعداداً لإحباط أمر علي أو للحاق بمعاقبة في الشام، ومعهم الرجال والأموال، إذ كان أغلبهم ولاية لعثمان، وانضمت عائشة إلى معسكر المعارضين، وخرجت بجماهير الثائرين من الحجاز إلى العراق على الرغم من تحذير المحذرين ونصح أمهات المؤمنين ألا يشاركن في هذا، وبادر علي إلى عزل عمال عثمان والاستبدال بهم، وكان رأي ابن عمه عبد الله بن عباس والمغيرة وغيرهما إقرارهم حتى تستقر الحال، وتأتي بيعة الأمصار كافة، وأرسل علي عليه السلام إلى الأمصار في الشام واليمن والبصرة والكوفة، وكان سيل بن حنيف البديل عن معاوية، فردته خيل الشام، فأرسل علي رسولا إلى معاوية ليبايع، فلم يرد وماطل حتى شير صفر، ثم أعلن عدم مبايعته، وصار خلافه مع علي معلناً، فعزم علي على غزو الشام، وطلب طلحة والزبير الإذن من علي عليه السلام لأداء العمرة في مكة، فقال لهما: "نعم، والله ما العمرة تريدان، امضيا إلى شأنكما"<sup>(2)</sup>.

### عائشة في طريقها إلى البصرة:

وبدأ الأمويون يعلنون ثورتهم في مظلة عائشة لتحقيق أهدافهم، ولكنهم عجزوا عن الذهاب إلى المدينة للثأر من قتلة عثمان الذين بايعوا علياً، ثم أقنعوا عائشة بالذهاب إلى البصرة، فشخصت مع طلحة إلى البصرة للطلب بثأر عثمان.

نصحتها أم سلمة أم المؤمنين الميالة إلى علي عليه السلام بعدم الخروج إلى البصرة، وكانت النصيحة مخلصاً في محلها، ولكن عائشة لم تستجب لهذه النصيحة، وخرجت بعد خروج طلحة والزبير من مكة إلى البصرة، وتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق (مقات العراقيين للإحرام بين نجد وثهامة) وكن باكيات على الإسلام أوله من ذلك اليوم، فسمي "يوم النحيب"، ثم رجعن إلى مكة وكانت

(1) المرجع السابق: ص (80).

(2) المرجع السابق: ص (83 - 93).

الجموع المستجيبية لأمر عائشة وطلحة والزبير في نحو ثلاثة آلاف، ومعهم أكثر الأمويين، وفي الطريق أذن مروان بن الحكم للصلاة، وجعل الإمامة في الصلاة متعاقبة بين طلحة والزبير، فلم ترض عائشة بذلك، وجعلت أمر الإمامة لابن أختها عبد الله بن الزبير<sup>(1)</sup>.

وحملت عائشة في هودج على جمل شديد قوي اسمه ((عسكر)) فسميت هذه الفتنة بيوم الجمل، نسبة إليه، فمروا في الطريق على الحوالب<sup>(2)</sup>، فلما عرفته، صرخت بأعلى صوتها، وأناخت بعيرها، وقالت: "أنا والله صاحبة كلاب الحوالب طروقاً، ردوني، ردوني، ردوني" وكان النبي ﷺ حذر عائشة من ذلك.

لكن الأستاذ الأفغاني شكك في هذا الخبر، لتباينت ظاهر فيه يستبعد معه التصديق، ورواية ابن أبي الحديد والمسعودي له رواية من حافذين متعصبين صاحبني هوى ضد عائشة. والحديث المذكور في كتب أخرى كالاستيعاب لابن عبد البر وسير النبلاء للذهبي، ومسند الإمام أحمد ولفظه في مخاطبة أمهات المؤمنين: "كيف بأحدكم تنبج عليها كلاب الحوالب" أو "أينكن صاحبة الجمل الأذنب<sup>(3)</sup> يقتل حولها قتلى كثيرون، وتتجو بعد ما كادت". قال الأفغاني: "في النفس من صحة هذا الحديث شيء، ولأمر ما أهمله أصحاب الصحاح". ولو كان هذا الخبر صحيحاً لرجعت عائشة من فورها، فليست بالتّي تلقي بنفسها في التهلكة على بصيرة، وسند الذهبي في هذا الحديث ينتهي - في إحدى رواياته - إلى ابن عباس، وابن عباس - أي إن صح النقل عنه، على عدالته - ممن خب وأوضع في الحزبية السياسية، فهو أكبر أنصار علي وألد خصوم عائشة في خلافها عليه<sup>(4)</sup>.

وهذا نقد علمي للمتن والسند بحسب قواعد التحديث، يدل على عقلية نيرة عند الأفغاني.

### لحاق علي بأصحاب الجمل:

عدل الإمام علي عن غزو الشام، حينما هاج أهل مكة للمطالبة بئار عثمان بتحريض عائشة وطلحة والزبير، واتجه لملاقاة أصحاب الجمل القادمين إلى البصرة، قائلاً بمقالة عثمان: "لا أخلع لباساً ألبسنيه الله ﷻ" وعقب عليه الشيخ عبد الوهاب النجار بقوله<sup>(5)</sup>: "وهو اعتذار لا يقبله من يريد له وللمسلمين السلامة، أو هو مثل اعتذار دول الاستعمار، بأنه لا مناص ليم من التبعة الملقاة على عاتقهم بإزاء الأمم التي يحتلون بلادها، ويبيمنون عليها، وعلى مرافقها ومقومات حياتها دون أهلها" نقد ردّ المرحوم الأفغاني على هذا قائلاً: ليس حكم هذا بسديد من وجود وهي بإيجاز:

(1) المرجع السابق: ص (83 - 93).

(2) ماء للعرب في طريق الذهاب من المدينة إلى البصرة.

(3) وهو الأذنب كما أذنب وهو الكثير وآثر الوجه.

(4) المرجع نفسه: ص (106 - 110).

(5) المرجع نفسه: ص (116) نقلاً عن "تاريخ الإسلام: الخلفاء الراشدين" للشيخ عبد الوهاب النجار: ص (414).



ومقاتلة علي وصحبه، وذلك في خمس ليالٍ من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين (36). وظل القوم في نشوة من استيلائهم على البصرة وإخراجهم منها أميرها (عثمان بن حنيف) مدحوراً، وقتلهم قتلة عثمان<sup>(1)</sup>.

### يوم الجمل الأكبر:

علي في طريقه إلى الكوفة وسفاراته:

خسرج الإمام علي من المدينة لمعارضة أصحاب الجمل في الطريق، وأقام في الرُبذة، وأنته وفود القبائل من طيء وبكر بن وائل وأسد، تعلن له الطاعة والخروج معه، فشكرهم وأثنى عليهم خيراً، ثم عبأ علي الجيش، وخرج من الرُبذة في سبعمائة وستين، واتجه إلى ذي قار يحكم فيها أمره، ويحاول أن يصل إلى توحيد الكلمة عن طريق الإقناع والنصح، بالكتب والرسول والسفارات<sup>(2)</sup>.

أرسل رسولين إلى أهل الكوفة، يستنفرهم لنصرتهم، فلم يجيبوا بشيء، بقيادة أبي موسى الأشعري الذي كان مذهبه مذهب طليحة والزبير في البعد عن المنطق، فكرر علي إرسال رسول ورسالة إلى أبي موسى، فأصر علي موقفه الأول، ثم حاول معه عبد الله بن عباس والأشتر النخعي، فلم يغير موقفه، ثم أرسل علي سفارة رابعة من ابنه الحسن وعمار بن ياسر، وعزل أبا موسى عن ولاية الكوفة، فالان موقفه قليلاً، ونجحت هذه السفارة، واستجابت لها الجماهير والرؤوس ومنها قبيلة طيء بقيادة عدي بن حاتم، وأجابوا علياً أمير المؤمنين<sup>(3)</sup>.

### سفارات علي إلى أصحاب الجمل:

وافى جموع أهل الكوفة علياً في ذي قار، فرحب بهم وأثنى عليهم وخطب فيهم، معلناً نفرتهم من القتال، ورغبته في الإصلاح والعافية، وأرسل إلى أهل البصرة القعقاع بن عمر أحد الصحابة سفيراً بينه وبينهم، فقابل السيدة عائشة، مظهراً رغبة علي في الإصلاح بين الناس، ونجح في النصح المخلص والتهديد برفق، وأقبلت وفود أهل البصرة من تميم وبكر نحو علي بذي قار، لمعرفة رأي إخوانهم أهل الكوفة، وتبادل الخريقان وحيات النظر، وسار علي حتى نزل إلى جانب البصرة، وقد خندق طلحة والزبير، ورجع القعقاع إلى علي بجواب عائشة وطلحة والزبير، فسرى عنه وأيقن بالعافية وجمع الكلمة، وارتحل بمجموعه التي بلغت عشرين ألفاً نحو البصرة، حتى نزل علي ((الزاوية)) ونزل طلحة والزبير في ((الزابوقة)) وتأمل الكل باجتماع الكلمة، ورغب الطرفان في الصلح، وسار علي من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة، وتراءى الجمعان في النصف من

(1) عائشة والسياسة: ص (137 - 150).

(2) المرجع نفسه: ص (151 - 155).

(3) المرجع نفسه: ص (151 - 165).



جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقال علي لطلحة: "يا طلحة تطلب بدم عثمان!! فلعن الله قتلة عثمان" وقال للزبير مذكراً له بقول النبي ﷺ في موقفه من علي: {ولتقاتلنه وأنت له ظالم} فقال الزبير: "اللهم نعم".

قرب هذا الاجتماع بين الفريقين، وتبادلا الرسل، عبد الله بن عباس رسول علي، ومحمد بن طلحة رسول طلحة والزبير، وأشرف الفريقان على الصلح والاجتماع، مما سرَّ الناس ما عدا فريق السبئية المؤلبة على عثمان والوالغة في دمه، وجمع ابن السوداء: عبد الله بن سبأ وخالد بن ملجم نفرًا من الفريقين، فحرضهما على بعضهما، وكأنه شيطان، بصير بطرق الفتنة وبث العقارب، مع أنه هو الذي ألَّب الأمصار على عثمان، وأريقت دماء المهاجرين والأنصار من الصحابة الكرام بكيد ومكره بالإسلام وأهله، قال الأفغاني:

وما يزال المسلمون من يومهم ذلك إلى الآن في شرور، أخذ بعضها برقاب بعض، يزجها إليهم أبناء السوداءات<sup>(1)</sup> في مختلف الأمصار والأعصار، وقد كتب الله على هذه الأمة ألا تظن إليهم إلا بعد أن يبلغوا منها ما أرادوا، ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً<sup>(2)</sup>.

### الدسيسة والمعركة الكبرى:

حرض ابن السوداء: عبد الله بن سبأ الفريقين على الاقتتال، واحتكم أهل البصرة وأهل الكوفة إلى السلاح، وتمكن أهل البصرة من صد المعتدين حتى ردوهم إلى عسكرهم، والسبئية يهيج الناس، وتدفع إلى القتال وأضرموا النار في الطريقين، فألجأتهم المعركة إلى الخندق، وعلي ينادي: "أيها الناس كفوا، فلا شيء". وطاف على أصحابه بيده مصحف، قائلاً: أيكم يعرض عليكم هذا المصحف وما فيه، فأخذه فتى من أهل الكوفة، بعد تأكيده على ذلك ثلاث مرات، فحمله الفتى ودعاهم، فحملوا عليه، فقطعوا يديه ثم قتلوه، فقال علي: "الآن حل قتالهم، وطاب لكم الضراب".

انهزم أصحاب الجمل بعد مقتل الفتى، وجملة أصحاب علي عليهم صدر النيار، واقتتل الناس - وقد غاب طلحة والزبير - وأقبلوا إلى البصرة، فلما رأوا ((الجمل)) وأطافت به مضر، عادوا للقتال، وأرادت عائشة وقد أصبحت في قلب المعركة القيام بمحاولة جديدة لوقف القتال، فأمرت قائد جملها كعب بن سور بالتخلي عن البعير، والدعوة إلى أعمال كتاب الله ﷺ بينهم، ودفعت إليه مصحفاً، وأقبل القوم، فاستقبلهم كعب بالمصحف بين الصفيين، يناشدهم الله في دمانيم.

لكن كانت السبئية أمام القوم يجتيدون في إنشاد القتال، ويتولون إضرامه كلما فتر خوفاً من أن يجري الصلح، ثم قتلوا كعباً، ورموا عائشة في هودجها.

كاد القتال ينتهي صدر النهار إثر غياب طلحة والزبير، لولا أن عائشة شددت وسطه وأخره،

(1) تعبير يشتم أصحاب الفتنة في كل عصر في المجتمع الإسلامي، كالأطيار الخامس، تسمية لهم باسم رأس الفتنة عبد الله بن سبأ، ابن السوداء.

(2) المرجع نفسه: ص (166 - 186).

واستمر القتل، وثبت البصريون بما كانت تحضيم وتخطيهم، واستمات الناس في القتال. فانترع علي الراية من يد ابنه محمد بن الحنفية صاحب راية علي، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً، وما زال القتلى يسقطون.

ثم حمى القتال وزاد شدة، وجعلت عائشة تشجع الناس، وتبثي علي حميتهم، فاقتتلوا أشد من قتالهم السابق.

وانتدب علي للجمل من يعقره، وهو هند بن عمرو المرادي، فقتله حارس الجمل عمرو بن يثربي قاضي البصرة قبل كعب بن سور، ثم قتل ثلاثة آخرين، ثم طعنه عمار بن ياسر وهو يومئذ ابن تسعين سنة، فحمل إلى علي، فأمر بالإجياز عليه.

وكان ابن يثربي قد انتدب رجلاً من بني عدي لإمساك زمام الجمل، فلما قتل ابن يثربي، طلب العدوي المبارزة، فخرج إليه ربيعة العقلي من أصحاب علي، ثم اضطرب الرجلان، وقتل كل واحد منهما صاحبه، فقام مقام ابن يثربي رجل من بني ضبة، ما رئي أشد منه قط.

حمى بنو ضبة حول الجمل واستماتوا، وأتوا بضروب من البلاء عجيبة، وتتابع الناس على خطام الجمل وهم يقتلون، وكان آخرهم محمد بن طلحة الذي اجتمع عليه نفر من أصحاب علي، فأنفذه أحدهم بالرمح. ثم تقدم من الزمام عبد الله بن الزبير، فوجد فيه سبع وثلاثون جراحة بين ضربة وطعنة من شدة ما لاقى من اليول، ثم تعارك مع الأشتر النخعي، واعتنق كل واحد صاحبه، وخرأ إلى الأرض، فصرخ عبد الله بأصحابه: "اقتلوني ومالكاً ومالك: اسم الأشتر، ليخلو جيش علي منه، لما له من البلاء العظيم.

### عقر الجمل وانتهاء المعركة:

اختلط العسكران، وحمى الوطيس، وتضرم القتال، ولاد الجميع بالصبر حفاظاً وأنفة، ولم يعد للرمح مجال، فنادى علي: "السيوف يا أبناء المهاجرين"، وكان علي يحمل الحسرات الصادقة، فتصدع لحملاته الصفوف، ويضرب بسيفه حتى ينثي، ثم يرجع فيقول: "لا تلوموني ولوموا هذا" ثم يقومه أو يأخذ غيره ويعود.

واستمات الناس أمام الجمل حتى كثرت القتلى حوله، لقد كانت نصره بني الأزدي وبني ضبة لعائشة بالغة المدى قوة وشدة واستماتة، على قدر ما يكون لها من إجلال وتوقير ومحبة واحترام، وقتل حوله سبعون من قریش خاصة.

وعلم علي ﷺ والناس أن القتل يستمر، ورأى أن الواجب إنقاذ الأرواح الباقية، فنادى "اعقروا الجمل"، وكان آخر من قاتل ذلك اليوم أمام الجمل زفر بن الحارث، زحف إليه الققعاع، وقال لنجير بن دلجة الضبي، وكان من بني ضبة في عسكر علي، وأخوه في عسكر عائشة: "يا بجير بن دلجة، صح بقومك فليعقروا الجمل، قيل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين" فنادى هذا قومه وأخاه من عسكر عائشة قائلاً: "يا آل ضبة، يا عمرو بن دلجة، ادع بي إليك" فدعا به، فقال: "أنا آمن حتى أرجع؟"

قال: "نعم" فمشى إلى البعير فاجتث ساقه، فرمى بنفسه على شقه.

وقال القعقاع لمن يليه: "أنتم آمنون" واجتمع هو وزفر بن الحارث على قطع بطان البعير، وإنزال اليهود عن ظهره، ونادى منادي علي: "أنتم آمنون" فكف بعض الناس عن بعض.

وأمر علي محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، فقطعا غرصة (حزام) الرجل، ونحيا اليهود في نفر من أصحابهما، فأدخل محمد بن أبي بكر يده فيه، وأنزل أخته عائشة منه.

كانت الموقعة من أول النهار حتى العصر، إذ تمت الهزيمة على أصحاب الجمل، وذلك يوم الخميس (أو الجمعة) في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة، وقتل طلحة والزبير في هذه الموقعة، ويكون عدة من قتل في المعركة الأولى (يوم الجمل الأصغر) وفي المعركة الثانية (يوم الجمل الأكبر) خمسة عشر ألفاً على أقل تقدير<sup>(1)</sup>.

وأن لي أن أقول: إن الإمام علي محق، وإن أصحاب الجمل لمخلصون صادقون، وإنها لفتنة عسياء حرض عليها الأمويون، وتابع تنفيذ المؤامرة السبئيون اليهود، الذين ولغوا في دم عثمان، وأنسى لأهل الإخلاص والصفاء ولرهينة اليهود أن يدركوا كيد المخططين وخبث المتآمرين، وحقد المعادين؟! وكان الأولى بعائشة - لولا إرادة الله - أن تلزم المدينة مع بقية أميات المؤمنين، فإن السياسة، وطوفان الفتنة، والتآمر على الجماهير صنعة وخبث وخسة وفسق، لا تكاد أي امرأة ميمما عظمت أن تدرك أفانين المؤامرة أو تستوعب سيل الفتنة الجارف، أو تلم بمخططات المتآمرين.

قال الأفغاني رحمه الله:

رحم الله أم المؤمنين، فقد كانت المرأة الغدّة في التاريخ: تزعمت (معارضة سياسية عنيفة) وزحزحت خليفة، وحاولت نصب خليفة، وزعزعت أركان خليفة، وقادت جموعاً، وخاضت حرباً، ثم أرادت تجنب القتال، فخرج الأمر من يدها إلى أيدي غوغائها، شأنها في ذلك شأن علي... وكان ماكان مما ترتعد له فرائض كل مسلم، كلما ذكر فتنة الجمل وما استتبعت من ويلات.

### عبرة الحوادث:

أورد الأستاذ المرحوم سعيد الأفغاني عبرتين اثنتين من تجربة عائشة ومغامراتها السياسية وآثارها القريبة والبعيدة في حياة المسلمين<sup>(2)</sup>:

الأول: أن المرأة لم تخلق قط لتدس أنفها في المنازعات السياسية، إن لها أن تتصح وتبصر القريبين منيا بعواقب الأمور، وليس لها أن تشارك في القلاقل والاضطرابات والفتن، إن بيدها مفاتيح خطيرة في التأثير في نفوس الجماهير، وفي استغلال حميتهم ونخوتهم ومشاعرهم، وهذا السلاح غير حميد في العواقب، ولا يصح استعماله بحال. ولولا

(1) المرجع نفسه: ص (187 - 224).

(2) المرجع نفسه: ص (341 - 352).

موقف السيدة عائشة في أمر عثمان ثم المطالبة بدمه من بعد، لتغير مجرى الحوادث في تاريخنا التغير كله، ولسارت سيراً مأموناً مطرد الرقي مباركاً، فيه الخير كل الخير للأقطار الإسلامية.

**الثانية:** لقد كان أمر المسلمين عجباً من العجب: امتلأت نفوسهم بكل ما حباهم ربهم من خير في الإسلام، فأحسنوا فهمه، وأحسنوا العمل به، وأحسنوا الاستجابة لرسوله نساءً ورجالاً، فوطدوا أركانه في الجزيرة العربية، ثم انتقل رسول الله إلى جوار ربه، واندفع هؤلاء الصحابة الأخيار يريدون إعلاء كلمة الله والحق، وإنقاذ عباد الله من كل الأجناس والأديان، من شرور الظلم والجهل وامتهان الإنسان، فحرر الله على أيديهم أقطاراً وشعوباً كثيرة.

أرأيت ما يفعل الخلفاء في الدولة القوية المتماسكة المتينة الأساس، إنه يُطمع فيها حتى الضعيف المغلوب المشرف على الدمار.

ولو أن هذه القوى المتطاحنة يوم الجمل وصفين اجتمعت على الخير، فسارت إلى عدوها في الشرق والغرب، لأكلت الدنيا بقوتها، ولأحالت العالم جنة يتحدث بنعيمها وسعادة أهلها الركبان. لكن الله الذي أيد هذه الأمة أول أمرها، قضى أن يكون بأسياً بينها، فامتألت تاريخنا بالحروب الداخلية ونحول عن مجراه السعيد الذي جرى فيه أولاً لخير الإنسانية عامة.

انقضت الخلافة والخلاف بخيرهما وشرهما، ولم يبق منهما إلا هذا التاريخ بين أيدينا مملوءاً بالعبير، فلنتعظ به، ولننتجنب أية تفرقة بيننا بكل ما نستطيع، ولنكن الدماء الذاهبة ضياعاً حافزة لنا على الوحدة وجمع الكلمة، فلا نعيد جذعة. تحقيقاً لعلوم راسمى

### أهم المراجع

- 1- الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1378هـ/1959م.
- 2- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الدكتور حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، 1961م.
- 3- السقايخ السياسي للدولة العربية - عصور الجاهلية والنوبة والخلفاء الراشدين، الدكتور عبد المنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، عام 1956م.
- 4- جزء خاص بترجمة السيدة عائشة من سير النبلاء، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، 1390هـ/1970م.
- 5- سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين مجد بن عثمان الذهبي، الطبعة الرابعة، 1406هـ/1986م، مؤسسة الرسالة بدمشق.
- 6- عائشة والسياسة، الطبعة الثانية، دار الفكر بدمشق 1391هـ/1971م.

## الأستاذ سعيد الأفغاني\*

يوسف الصيداوي

ما امتازَ علّم من الأعلام، ثم لاقى وجه ربه، إلا نهض - غالباً - عارفو فضلته فأبتوه في حفل، أو كتبوا عنه في مجلة أو صحيفة، يريدون بذلك نشر فضائله، وتوفيته بعض حقه على أمته، أن عمّل فُعرف له فضله. فإن كان موسيقياً عُزِف شيء من ألحانه، أو تشكلياً عُرض شيء من لوحاته، أو شاعراً ألقى شيء من شعره، أو ألقى بعض الشعراء قصائد تمجّده.

ويسبق أن يكون الفقيه أدبياً ناثرًا: كاتب مسرحية أو كاتب قصة أو ناقدًا أو كاتب مقالة. أو يكون من أعلام اللغة أو مؤرخًا أو متلفسًا. وهؤلاء لا سبيل إلى إسماع الناس روائعهم كما يُسمع اللحن الموسيقي، أو وضعها تحت ألباسهم، كما توضع اللوحة مثلاً. فإذا أتوا لم يكن عند من يؤتّبهم إلا أن يذكر متى جازوا شهادتهم. ثم يذكر أسماء كتبهم، ثم تاريخ وفياتهم، ثم من بعد ذلك شيئًا عامًا من الأخلاق التي تحلوا بها، كالتواضع والأمانة والاستقامة الخ...

وما سمعت يوماً خطبة في هذه المناسبة، ولا قرأت مقالة، زاد ما فيهما شيئًا ذا بال على هذا الذي ذكرته. وبتعبير آخر أقول: إن الذي يقال في العادة، لا يكشف عن شخصية الفقيه بل لا يدنو منها، لا بالسنن ولا بالنقري. ولا يقدر الخسارة حق قدرها في هذه الحال، إلا من يصحّ عنده أن الإنسان هو الإنسان، كان وما يزال وسيظل: لا بد من أن يغضب وأن يرضى، وأن يشدّ به الانفعال فيبكي، أو يضحك فيستغرق في الضحك، وأن يكون بخيلًا أو كريماً، وأن يقسو أو يلين، الإنسان هو الإنسان، ومن نفى عنه ذلك فقد نفى عنه إنسانيته، ورفى به إلى مراتب الملائكة. ومن قرأ السيرة النبوية عرّف ذلك وانحنى له. فصحيح أن رسول الله ﷺ كان لا يقول إلا حقًا، ولكنه كان يمزح. وصحيح أنه كان يحلم، ولكن الغضب كان يُعرف في وجهه، وصحيح أنه كان يعصب بطنه بالحجر من الجوع، ولكنه كان يستطيع فخذ الشاة، وإنه ليحار ويظل في حيرته، حتى يبين له الله الحقيقة، وإنه ليرتقي، ويكون الصواب في رأيه غير من ذوي المعرفة والتجربة. الإنسان هو الإنسان، ومن

\* هذه آخر مقالة كتبها المرحوم الأستاذ الصيداوي . وقد وافته الحية قبل بثاميا .

أبى فنفى عنه المزاح والحلم والغضب والجوع والعطش والحيرة وأكل الطعام والمشى في الأسواق، فقد خالف القرآن وأبى قول الله تعالى في وصفه له على لسانه ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾.

ولقد يُظنُّ أنني أريد ذكر ما لا يُستحبُّ ذكره من سيرة الفقيد، فأقول: "لا، ما إلى هذا قصدت". فلقد لام الناس يوماً صديقاً للفقيد أحمد راتب النفاخ أشدَّ اللوم، وأنكروا عليه أعظم الإنكار، وأن وقف يؤبَّنه فذكر أن الفقيد صرَّح له بأنه يهوى فلانة ويعشقها. فهذا ونحوه لا يكشف عن شخصية الفقيد، ولو كان يكشف عنها أو عن جانب منها، لما لامة على ما قاله أحد، ولا أنكر ذلك عليه أحد. فالعشق والهوى مغروس في أفئدة جميع البشر، ومن ذا الذي استعصى على الحبِّ والهوى؟! ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصبُّ إليهن﴾.

من أجل ذلك كنت وما أزال — إذا دعيت لتأبين علم — تركت لغيري أن يقول ما يشاء، وصرفت وجهي إلى شخصية الفقيد فذكرت ما أعرف من صفاته الذاتية، من خلال حديث أدرته معه، أو نكتة نقلها إليَّ عنه من أثق بصدقه، أو رأي كان يراد، الخ...

في عام 1947 — 1948 كنت ناظراً ومحاسباً في المدرسة المحسنية. فخصَّصت لي إدارة المدرسة غرفة أستقلُّ بها. فكان بعض الأساتذة ولاسيما مدرسو اللغة العربية، يُريحون عندي بين الحصنين، فيكون احتساء القهوة والتدخين وتداول الأحاديث.

منذ تلك الأيام عرفت أن في الجامعة أستاذاً من أساتذة اللغة العربية اسمه سعيد الأفغاني. فإذا ذكره ضيوفاً، صحب اسمه صفتان: علمه ومهابتة.

وتمرَّ الأيام، وأدخل الجامعة، وما في ذهني شيء أخطر من أن أرى ذلك الأستاذ وأسمعه. فلما كان يومٌ حصته الأولى، حضرت مبكراً، ودخلت المدرج من الخلف وجلست في النصف الأخير، أرى الأستاذ والطلاب، فلا تقوتني فائتة من قولهم أو فعلهم.

وعجبت يومها أن رأيت شواهد الدرس مكتوبة على السبورة، ثم عرفت بعد أن الأستاذ يكلف أحد الطلاب أن يكتبها كسباً للوقت، ولتكون تحت أبصارهم عند الحديث عنها والبحث فيها.

كنت حضرت الدرس الأول أحسن ما يكون التحضير. ومع ذلك كنت متيبِّياً، أخاف أن أسأل فلا أعرف الجواب، أو أجيب فأخطي.

ويدخل الأستاذ بعد لأي؛ رُبَّعة، إلى القصر أقرب، قد تجاوز الخمسين ودانى الستين، قصير شعر الرأس، أشبهه عند الصدغين. في حلة بنية، قد استغنى عن ربطة العنق. ولقد رأيتُه من بعد في الصيف يجتزئ بالقميص والبنطال.

ويقف على المنصة كأنه النسر، ويلتفت إلى اليسار فيرى في الصف الأول من المقاعد ثلاث فتيات وزميلات لهن، فيأمر الفتى أن يرجع إلى المقاعد الخلفية فيجلس مع الذكور، ويرجع الطالب إلى الوراء معجلاً يكاد يتعثَّر. ويظل الأستاذ صامتاً يتابعه بنظره، إلى أن يراد استقرُّ في مجلسه الجديد. وأما الفتيات فيقول لإحدهن وقد لبست ثوباً بلا كمين: أليس مع والدك ثمن متر من القماش فتخطي

لستوبك كمتين؟! بعد هذا يبدأ الدرس، وقد سُنتت فيه سنتان: ينقلهما من بعد لاحق عن سابق: انفصال الذكور عن الإناث، وليس الفتيات أثواباً بأكمام.

يشرح خطة الدراسة خلال السنة ويبيّن منهاجها. ثم يوجز الكلام على أسماء الأفعال - وهي البحث الأول من برنامج السنة الأولى - فإذا تمّ له ذلك شرع يحلّل شواهدهما: يبدأ بما يُحتجّ به فيبين مواضع الاحتجاج، ثم ينتقل إلى ما لا يُحتجّ به، فيبيّن أسباب عدم الاحتجاج. وينتهي الدرس، فيغادر المدرج أول المغادرين، يخرج كما دخل: كأنه الريح استقامةً وانتصاباً، لا يلتفت يمينا ولا يساراً، وجهه مرتفع، وصدرة منقّمة شيئاً، كأنه يقول للسخف والتفاهة: "لا".

ويتحلّق الطلاب في الممرّ حلقات، يتداولون ما رأوا وما سمعوا من الأستاذ، ويعلقون على ذلك!! أما الطالبات فمتأففات جميعاً من أستاذ لا يعرف وجهه الإبتسام ولا اللين، وأما الطلاب فقليل راض لا يعلن رضاه، وكثير ساخط بصريح بسخطه. على أن الذكور والإناث جميعاً، قد أنكروا على الأستاذ أن يأمر الطالب بمغادرة مكانه ليجلس مع الذكور بعيداً عن الفتيات.

هكذا كانت دروسه تمضي رحمه الله: جدّاً لا هزل معه، وإحكاماً لا يمازجه تضييع. على أنني أجانس الحقيقة إن اجتزأت من وصف دروسه بما قدّمت آنفاً. ولا أراني أستكملها إلا بالتعريج على ومضات من سيرته في أثناء تلك الدروس:

كان إذا ألقى نكتة على الطلاب، فضجّوا بالضحك دفعة واحدة، ظلّ ساكن التقاطيع كأنه يقرأ عليهم شاهداً نحوياً حتى ينتهي ضحكهم!! فإذا كان من يلقي النكتة طالباً - ولا بدّ في هذه الحال من أن يتلبّس بسبوس الجدّ - علق الأستاذ على ذلك كأنه يعلق على رأي لسبويه أو المبرد... ولقد أنعمت النظر في نكته وملحه، فرأيتها تقام على تعظيم صغير أو تصغير عظيم.

يقف يوماً عند قول الشاعر: بين مدّعيّ ومكرّديّ فيذكر أن الذئب هو شدة الوطء، وهو الطعن بالرمح أيضاً، والمكرّديّ من صرع وأوثق. فيقول أحد الطلاب:

إذا قول العامة: "أبو دعاس" فصيح، فيقول الأستاذ: نعم. فيقول الطالب: لماذا إذا ينفر الناس من هذه الكنية اليوم، وكانوا من قبل يكونون بها؟ فيقول الأستاذ: كانوا يكونون بها يوم كان الرجال يدعسون!! وأما اليوم فمن أين!!؟

وقد يتعاقل فيأخذ زمام المبادرة - كما يقال - فيقف الطالب مكتوفاً لا يستطيع تقدماً ولا تأخراً. يقف يوماً يقرر بحث "ربّ وما تدخل عليه"، فيقول: "لا تدخل ربّاً إلا على نكرة...". ثم يعالج دخولها على "من" في قول سويد اليشكري:

ربّ من أنضجت غيظاً قلبه قد تمنى لي موتاً لم يطع

فيقول له طالب!! "لكن أنا...". فلا يميله الأستاذ حتى يُنمّ عبارته، بل يقطعها عليه فيقول له: "لكن أنت لا يُستشهد بكلامك!!" ويمضي يتابع تقرير الدرس.

وكان له بأسماء الطلاب عناية.

يلقي يوماً على الطلاب سؤالاً، فلا يجد عندهم جواباً، ويظنون صامتين لا يجيبون، ما عدا طالباً يرفع إصبعه مستأذناً. ويأذن له الأستاذ فيحسن الجواب. فيسأله ما اسمك؟ فيجيب الطالب: "..... بلبل". وتمضي الأيام، فيجيب الطالب نفسه فيخطئ. فيقول له الأستاذ: يبدو أنك فقدت صوتك!!

في أواخر الخمسينيات، تنسب إلى كلية الآداب طالبة من مدينة حمص، اسمها: "ميجيت: muquette وهو بالفرنسية اسمُ صنف من الزهور". فإذا ذكر الأستاذ اسمها لسبب من الأسباب جعله عربياً: "أنسة مكبّة!!" اقرئي، "أنسة مكبّة!!" أحسنت، "أنسة مكبّة!! لا تقولي كذا وكذا الخ....، فكانت صديقاتها يتدرن فينادينها باسمها الجديد!! مزاحاً واستطرافاً.

كان ديكران بورسليان – أبو سمير – صديقاً لي. وكان عميق العروبة حتى نقي عظامه، شهماً في الرجال مخلصاً صادقاً أميناً، يندر أن تجتمع صفاته في رجل. وكانت ابنته "دعد" يوماً تلميذتي. وقد وجد في تسميته أبناءه تعبيراً عن انتمائهم القومي "سمير – دعد...". وقد غرس في نفوسهم حباً العربية، حتى لقد انتسبت دعد من بعد إلى قسم اللغة العربية، وغدت بعد تخرجها مدرسة لهذه اللغة. ويبدو أن الأستاذ رضي رضاً عميقاً عن اقتران "دعد" بـ"بورسليان" فقال لها بيدي إعجابه بذلك: ما أحسن أبوك إليك بشيء، إحسانه إليك بتسميتك "دعد".

وكان إذا أحسن رغبة في النكته، ورأها واقعة موقعها، لم يشه عن إيرادها شيء: فلقد كان أصدر كتابه السديع المتميز "في أصول النحو"، ونقل فيه عن كتاب "القراءات والهجاء" فقال: [كان أهل الشام يقرؤون "إبراهيم" بألف في مواضع دون مواضع "وهي قراءة أهل الشام قديماً" ثم تركوا القراءة بالألف وقرؤوا جميع القرآن بالياء... فرؤوا أنه قيل لمالك بن أنس: إن أهل الشام يقرؤون "إبراهيم" فقال: "أهل دمشق يأكل البطيخ أبصر منجم بالقراءة"، فقيل: "إنهم يدعون قراءة عثمان" فقال مالك: "ها مصحف عثمان عندي" ثم دعا به فإذا فيه كما قرأ أهل دمشق... وفي سائر المصاحف "إبراهيم" مكتوب بالياء في جميع القرآن إلا في البقرة فإنه بغير ياء] "في أصول النحو 38/ 37". وقد علق على ذلك في الحاشية فقال: "ثبت أن بصر أهل دمشق بالقراءة لا يقل عن بصرهم بأكل البطيخ".

كان كبت الحريات وكم الأفواه في بعض السنوات من الخمسينيات، قد بلغ أن يحاسب المواطن على اللفظة المهموسة، والكلمة المكتوبة، وكان من الملاحظ أن المسؤولين آنذاك – على كثرة ما كانوا يخطبون – ليسوا على شيء مذكور من التثقف، يستطيعون معه أن يقرؤوا أو يكتبوا أو يخطبوا، بلغة صحيحة. ويطلب الأستاذ يوماً من أحد الطلاب أن يقرأ نصاً لغويًا. فينهض واقفاً – لسوء حظّه – فيقرأ قراءة ملووءة بالأخطاء. فيزعق به الأستاذ زعقة تصح الأذان: "ما هذه القراءة المخزية؟؟ أنت وزير؟! أنت رئيس مجلس وزراء!! اهبط".

في عام 1946 كان صديقنا الدكتور مكّي الحسني تلميذاً في الحلقة "المنوسطة = الإعدادية". وكان الأستاذ الأفغاني آنذاك، معلماً للغة العربية في مدرسة "التحيز الأولى = جودة الياشمي



اليوم". فيكلف الطلاب أن يستظفروا عشرين بيتاً من الشعر من قصيدة عدّة أبياتها أربعون بيتاً. وقد أتقن صديقنا العشرين بيتاً إتقاناً حسناً – ولكن لسوء حظّه – لم يطلب إليه الأستاذ إلقاءها. ثم يكلف طلابه استظهار العشرين بيتاً الباقية من القصيدة. فإذا جاء موعد الدرس الثاني طلب من صديقنا أن يسمعه ما حفظ. فيبدأ بإلقاء العشرين بيتاً الثانية. فيقول له الأستاذ: بل ابدأ من البيت الأول. فيحاول فتخونه ذاكرته. فيدافع عن نفسه بأنّ القسم الأول للأسبوع الماضي والقسم الثاني لهذا الأسبوع. فيأبى الأستاذ إلا أن يلقي الطالب القسمين جميعاً، فيخفق. ويسأله: ما علامتي؟ فيقول له: "صفر". ويرى الطالب أنه مظلوم، فيحتج بأنه يتقن حفظ القسم الأخير أحسن الإتقان. فيقول له الأستاذ: أراك تظنّ أنّ الصفر قليل!! وهل كل طالب يستحقّ أن ينال الصفر؟! وهل يتاح الصفر لكل أحد كل يوم؟! ويرجع صديقنا إلى مقعده مبهتاً متهلّلاً الوجه!! يحمد الله على ما أنعم، وأنه نال ما لا يناله كل أحد!!.

ولقد يظنّ ظانٌّ أنّ الأستاذ حين قال ذلك قد كان ينكّت!! ونقول لمن يظنّ ذلك: كلاً فقد كان بجدة كل الجدة، وطلاب الجامعة يعلمون أنّ الأستاذ لا يقف بالعلامة عند الصفر، بل يهبط بها إلى -1، ثم -2، ثم -3، وهكذا..... فالإنصاف يقضي بأن يحاسب الطالب على جهله، كما يحاسب على علمه!!



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم رسلى

## سعيد الأفغاني مصادر أخرى

\* يوسف عبد الله الجوارنة

**ما** امتازَ علَم من الأعلام، ثم لاقى وجه ربه، إلا نهض - غالباً - عارفو فضله فأبتوه في حفل، أو كتبوا عنه في مجلة أو صحيفة، يريدون بذلك نشر فضائله، وتوفيته بعض حقه على أمته، أن عمل فُعرف له فضله. فإن كان موسيقياً عُرف شيء من ألحانه، أو تشكيمياً عُرض شيء من لوحاته، أو شاعراً ألقى شيء من شعره، أو ألقى بعض الشعراء قصائد تمجده.

ظاهرة إصدار السلاسل غدت اليوم واضحة بين المثقفين وأصحاب دور النشر الكبيرة والصغيرة على السواء، وهي ظاهرة حميدة إذا ما قيست بغيرها من الظواهر ذات الطرق المتوتية التي تحرص عليها بعض دور النشر؛ من إعادة طباعة الكتب دون إذن مؤلفيها، أو إصدار طباعات تجارية بأسعار منافسة لكتب محققة تحقياً علمياً محكماً بوضع أسماء مستعارة، بعد حذف جيود لا يمكن وصفها من التحري والتدقيق، أو طباعات مؤتة تشد الناظرين، أو تلاخيص مشوهة لكتب قضى أصحابها زمناً في تأليفها وتحبيرها، إلى غير ذلك من الطرق الفاسدة المجحفة بحق الثقافة والأخلاق والأدب، الهدف منها الحصول على قدر كبير من الأرباح الفاحشة، التي غدت ترهق جيوب المثقفين الكادحين.

وإن وقفة مع دور النشر العربية الكثيرة التي عرضت عناوين لا تحصي من الكتب في معرض الشارقة الدولي الأخير، تدل على هذه الأخلاق المسوخة التي باتت بعض دور النشر تتخذها سلوكاً لها، ضاربة بأخلاق المهنة ومسؤولية المواطنة عرض الحائط، متطية بذلك مسالك يندى لها الجبين حياءً، تدعو القارئ العربي أن يفقد ثقته بها، ليخلص في النهاية إلى هوة عميقة بينه وبينها.



الطنطاوي رحمة الله عليهما.

ويذكر المؤلف أن الأفغاني ولد في دمشق ونشأ بها نشأة إسلامية، مع أن أباه رجل يكاد لا يتقن العربية؛ فقد كان يصحبه معه إلى الجامع الأموي الذي كان مرآة دمشق وجامعتها في نشر العلم، وفيه تعلم على الشيخين صالح التونسي وأحمد النويلاتي، ثم التحق بمدارس دمشق وتخرج منها سنة 1928م، حيث التحق بمدرسة الآداب العليا في الجامعة السورية وتخرج فيها سنة 1932م.

وقبل أن ينتقل الأفغاني رحمه الله إلى الجامعة السورية أستاذاً مساعداً سنة 1948م، كان قبلها عمل مدرساً للغة العربية عشرين سنة، يوم تخرج من الثانوية العامة وعينه الأستاذ محمد كرد علي وزير المعارف آنذاك معلماً للمرحلة الابتدائية.

وفي الجامعة كانت مرحلة ثانية من حياته العلمية امتدت عشرين سنة أخرى، انتقل بعدها للعمل في جامعات عربية في لبنان وليبيا وعمان، وكانت آخر أعماله التدريسية في جامعة الملك سعود بالرياض، حيث بقي مدرساً حتى بلغ الخامسة والسبعين، فعاد إلى دمشق وخذل إلى الراحة، وكان سمعه وبصره قد كلاً وضعفاً، وظهرت عليه آثار الشيخوخة.

ولم تكن للأفغاني رحمه الله حياة اجتماعية زاخرة كغيره من الأساتذة والمعلمين، فقد اقتصر فيها على جوانب ضيقة لانشغاله بما هو أكبر من هذا، إضافة إلى صفة الجدية التي فرضها على نفسه، والتي لم ترق لكثيرين ممن شغلتم الدنيا بمناجياتها وزخارفها، يدرك على ذلك أنه عاش نصف عمره عزباً، على طريقة العلماء القدماء العرب الذين أثروا العلم على الزواج - فيو رحمه الله عشق العربية وصارت جزءاً لا ينفصل عن كيانه وشخصه، فلم يصرف همه لحياة ملؤها اليزل والخداع، بل هياً نفسه ليكون معلماً من أعلام الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة في العصر الحديث، فكان له ما رام وتمنى.

وقد نخص المؤلف أن مفتاح شخصية الأفغاني لا يعدو خصيصتين هما: إيمان صلب بالإسلام لا يتزعزع، وحسب للعربية لا يتواري. لذلك كانت علاقاته وصادقاته لا تخرج من عبادة هاتين الخصيصتين، فصادقة ترويحية اختارها من ذوي مهن متباينة، وأخرى علمية اختارها من كبار العلماء والأدباء، كالأساتذة محمد كرد علي وخليل مردم والتتوخي، أو ممن كان يرسلهم ويرسلونه كالأساتذة بهجة الأثري والبسيطار والزركلي وعمر فروخ ومحمود تيمور ومحمد محمد حسين وغيرهم.

وكان أكثرهم صداقة نديه الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله؛ فذكر الأفغاني منشور في ذكريات الشيخ بأجزائها الثمانية، لما كانت بينهما من مودة صادقة وخالصة، أدت بيما أن يكونا يوماً ما صهرين للأستاذ صلاح الدين الخطيب، صهر شيخهما محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني المتوفى سنة 1935م.

أما الفصل الثاني والذي كان جل الكتاب (81 صفحة)، فقد عقده المؤلف للتعريف بمؤلفات الأفغاني رحمه الله وجاء في قسمين: الأول الكتب المؤلفة والمحققة، والثاني البحوث والمقالات

والأحاديث الإذاعية.

وقد عدّ المؤلف عشرين كتاباً بين تأليف وتحقيق، عرف بها كلنا تعريفاً غير مخل، مبيّناً أفكارها والباعث على تأليفها، وتاريخ طبعاتها ومكان صدورها، يقف المؤلف من خلالها على تراث الأفغاني رحمه الله وقفة عجل تدعوه إلى القراءة والتأمل.

وعدّ له في القسم الثاني (31) واحداً وثلاثين عملاً بين بحث ومقال وحديث إذاعي، عرف بها كسابقاتها جميعها، مشيراً إلى مكانها في المجلات وتاريخ نشرها، مبيّناً الهدف من كل عمل ومغزاه. ولا يقوم بهذا العبء إلا من قرأ هذه الكتب واستوعبها، فكيف بمن كان تلميذاً وزميلاً لصاحبها، خبيراً وعرف طريقة مؤلفها ومنهجه في التأليف والتحقيق.

ثم جاءت الخاتمة لينهي بها المؤلف أعمال الأفغاني رحمه الله، وقد أفرد لها لإثبات ما نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، من مقالات ومدخلات ووقفات مع الكتب، إضافة إلى بعض مقالات نشرت في مجلة التمدن الإسلامي في دمشق.

وفي نهاية الكتاب ملحق لوثائق مهمة ارتأى المؤلف أن يدرجها في آخر الكتاب، "رداً على أولئك الذين كانوا يطيلون ألسنتهم بالباطل، ويفتتون عليه (رحمه الله) زوراً وبهتاناً".

وكنيت قبل صدور كتاب المؤلف الكريم، قد نشرت مصادر دراسة الأستاذ الأفغاني رحمه الله ببحث على الشبكة العالمية (الإنترنت)، في موقع صوت العربية (<http://www.voiceofarabic.com>) للدكتور السعودي عبد العزيز بن حميد الحميد، أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عدت فيه مصنفاً للمؤلفة والمحققة، وبحوثه ومقالاته ومدخلاته، ورحلته مع الكتب معزقاً وناقداً — ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وعند تصفّحي كتاب المؤلف وجدت بعض الآثار غابت عني وهي — تحديداً — الأحاديث الإذاعية وعددها ستة، ومقالان عن حافظ وشوقي منشوران ضمن كتاب الأستاذ أحمد عبيد (ذكرى الشاعرين)، وثلاث مقالات عن التمدن الإسلامي، والإمام الزرقي، والإمام ابن حزم — منشورة في مجلة التمدن الإسلامي في دمشق.

وفي البحث المنشور أشار غابت عن المؤلف الكريم نشرت في مجلات الرسالة والثقافة والأزهر القاهرية، ومجلتي العربية والبيان الكويتيتين، ومجلة حضارة الإسلام الدمشقية، ومجلة دعوة الحق المغربية، اعتذر عن غيابها بقوله: "ولا أكتم أنني لا أستطيع الجزم بأنني أتيت بكل آثاره، وإذا كنت استقصيت الكتب المحققة والمؤلفة، فإني لا أشك أنه فاتني بعض ما كتب من بحوث ومقالات وما أديع من أحاديث".

وثمة آثار أخرى لم نستطع الوصول إليها، أذكرها لعل أحد المهتمين عنده فكرة عنيا بمدنا بها، لتكون آثاره رحمه الله أقرب إلى الكمال كما تكون بين أيدي الباحثين، وهي:

1. مشاركته في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة سنة 1961م.
  2. مشاركته في المهرجان الأنفي لمدينة بغداد وذكرى فيلسوفها الكندي سنة 1962م.
  3. المحاضرتان اللتان ألقاهما في جامعة طهران سنة 1963م، وقد تكون له محاضرات أخرى لم أف أف عليها.
  4. مشاركته في ملتقى ابن منظور بتونس سنة 1972م.
  5. البحوث التي كتبها للموسم الثقافي الذي أقامه "المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي" في الرباط سنة 1967م.
  6. ما نشر له في مجلة رابطة العالم الإسلامي؛ إذ لم أستطع الوقوف عليها.
  7. مواد أخرى لم أستطع الوقوف عليها أيضاً استوحيتها من كلمات الدكتور محمود الربدابي حين ترجم لوفاة الأفغاني في مقاله (ورحل الأستاذ سعيد الأفغاني)، [المنشور في مجلة الفيصل السعودية، ع1997/246م] إذ قال: "رحل وبين يديه مخطوطات أعمال أَعده المرض عن إتمامها... وكنت أشعر بالأسى عندما كان يقول لي: غداً عندما يفارقني المرض سأكمل تحقيق هذا المخطوط، أو سأنتهي الفصل الأخير من هذا الكتاب، ويحدثني عن مشروعات كثيرة تنتظر الإنجاز".
- أما المواد التي فانت الدكتور المبارك في كتابه فهي:
- \* كتاب تعاليق على شواهد الموجز: (86ص)، وصدر عن دار الفكر سنة 1971م.
  - \* أغلاط المنجد والمنجد الأبجدي: تقرير كتبه في شباط سنة 1968م ورفع إلى الجامعة السورية، وطبع في دمشق بفصلة خاصة من (12) صفحة سنة 1969م. ونشر في مجلة حضارة الإسلام بدمشق (ن10/ع1969/8 – 1970م).
  - \* لقاء مجلة الفيصل السعودية [العدد (118)، سنة 1986] مع الأستاذ الأفغاني رحمه الله حول النحو العربي في سبع صفحات.
  - \* رسالة السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله (التي بعث بها إلى شيخه في الطريق محمود أبي الشمامات، الحنفي الدمشقي (المتوفى سنة 1922م)، شيخ الطريقة الشاذلية الشريفة، وبين فيها سبب خلعها عن الحكم) – نشرها الأفغاني في مجلة العربي الكويتية (ع169) سنة 1972م، وقدّم بين يديها معالم في سيرة السلطان، ومساومات هرتزل له والنخطيط لخلعه، وقصة هذه الوثيقة والهدف منها، ثم كلمة عن السلطان رحمه الله في ذاكرة شعبه.
  - \* التربية عند ابن حزم: ضمن كتاب "من أعلام التربية العربية الإسلامية" المجد الثاني، الصادر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، 1409هـ.



- من كتاب الأستاذ سعيد (عائشة والسياسة) الذي كان يعده للطبع، وصدرت طبعته الأولى فيما بعد سنة 1947م.
- \* كنوزنا في طريق الضياع: مجلة الأزهر (م/31ج/3/1959م).
  - \* في قرطبة العظيمة: مجلة حضارة الإسلام (م/29ج/37 - 40/1963م). وهو نفسه في مقدمة كتابه (نظرات في اللغة عند ابن حزم)، بعنوان: تحفة جامعة دمشق.
  - \* تاريخ مفترى للسلطان عبد الحميد: مجلة البيان الكويتية (ع/35/1969). وذكر المؤلف أن هذا المقال يبدو حديثاً إذاعياً كتب على هامشه مساء (1/9/1963م). (كتاب الدكتور مازن ص 114).
  - \* في سبيل العربية: مجلة دعوة الحق المغربية (س/13/العددان 9، 10/1970).
  - \* إنصافاً لظه حسين (دعوة لمراجعة كتابي حديث الأربعاء وبني الشعر الجاهلي): مجلة العربية (ع/218/1977).
  - \* استدرارك في مجلة الرسالة (ع/1941/422 ص 993) على ما جاء في مقال غزوة حنين المنشور في الرسالة (ع 417) حول ما نسب للرسول أنه سئل عن الخوارج...
  - \* تحقيق نشر في الرسالة (ع/1941/431) يمنع نسبة الحديث الوارد في مقال غزوة حنين في الرسالة (ع/417) المنسوب للرسول عن الخوارج.
  - \* تبرئة القضاء العربي من وصمة: رد نشر في مجلة الرسالة (ع/1942/450) على ما أورد صاحب مقال (التبعية والعقوبة في المجتمع البشري) المنشور في الرسالة (ع/445) من أن العرب أقرؤا شهادة الحيوان أمام القضاء.
  - \* أولسية سوق عكاظ: تصحيح نشر في الرسالة (ع/1942/454) لما ذكره الأستاذ علي حسن في الرسالة (ع/451) مصححاً لما في دائرة معارف وجدي عن افتتاح سوق عكاظ.
  - \* استدرارك لغويان نشر في الرسالة (ع/1942/479) على تصحيحات الكرملني للجزء الثاني من الإمتاع والمؤانسة المنشورة في الرسالة (ع/475).
  - \* تصحيح نشر في الرسالة (ع/1942/491) لبعض سقطات الكرملني في الرسالة (ع/487).
  - \* الكرملني في قبضة الحق: نشر في الرسالة (ع 492/1942).
  - \* تصحيح: نشر في الرسالة (ع/1942/493) لرواية الحديث الذي رواه الكرملني ونشره في الرسالة (ع 487) عن الرسول ﷺ.
  - \* إرشاد: نشر في الرسالة (ع/1944/554) لمن طلب في الرسالة (ع/549) معومات عن الشيخ محمد الطنطاوي.
  - \* تعقيب: نشر في مجلة العربي (ع 239/1978) على ما جاء في استطلاع (البحث عن مواقع



- التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية المنشور في العربي ع 234 / 1978) عن سوق عكاظ.
- \* تعقيب: نشر في مجلة العربي (ع 239 / 1978) على ما جاء في مقال الدكتور محمد الدسوقي (عندما تحدث طه حسين عن كتبه) المنشور في المجلة نفسها (ع 234 / 1978) من نسبه للأفغاني أن طه لم يرجع عن رأيه في كتابه (في الشعر الجاهلي).
- \* كمال أتاتورك لمحمد توفيق: كتب عنه في مجلة مجمع دمشق (م 14 / 1936).
- \* مصطلح التاريخ لأسد رستم: كتب عنه في مجلة الثقافة المصرية (س 2 / ع 90 / 1940).
- \* الأعلام العربية لإبراهيم السامرائي: بعض ملاحظات نشرها في مجلة مجمع دمشق (م 44 / 1969).

وقبل أن أنهي حديثي أجدني مضطراً للإشارة إلى:

- \* مقالة الدكتور محمد إبراهيم البنا المنشورة في مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة (المجلد الرابع والعشرون / الجزء الثاني / 1978م)، التي نقد فيها عمل الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله في تحقيقه كتاب (الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب)، من خلال نص الإفصاح، وتعليقات المحقق رحمه الله، وتخريج الشواهد، وجاءت في أربع وثلاثين صفحة.
- \* ومقالة الدكتور صلاح الدين المنجد المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد الثالث والثلاثون / الجزء الرابع / 1958م) - وتعقب فيها الأفغاني رحمه الله في تحقيقه كتاب (تاريخ داريا) الذي اعتمد فيه على مخطوطة واحدة وصدر في طبعته الأولى عن المجمع العلمي في دمشق سنة 1950م.
- \* وتقريظين للأستاذ عز الدين التنوخي لأسواق العرب وملخص إبطال القياس في مجلة مجمع دمشق، وآخرين للأستاذ عبد القادر المغربي للإسلام والمرأة وسير أعلام النبلاء (الجزء الخاص بالسيدة عائشة) في مجلة مجمع دمشق أيضاً، وتقريظ للأستاذ أحمد الصاوي لأصول النحو في مجلة الثقافة القاهرية، وكلها من آثار الأفغاني رحمه الله فانت الكاتب الكريم الإشارة إليها.

وبعد، فيبقى هذا الكتاب صورة حية ناطقة لعلم حي في نفوس محبي اللغة والثقافة والأخلاق، - كتبها يراع تلميذ بارئ مخلص، عرفاناً منه ووفاءً لأستاذه الذي قدر علمه وفضله أناساً، وجدهما آخرون، يدعو فيه المؤلف طلبة الدراسات العليا للنبوض بعبء الكتابة عن هذه الشخصية، التي أريد لها أن تبقى في غياهب المجبول.



(هـ) والزمخشري (ت: 538هـ) وابن الأنباري (ت: 577هـ) وابن يعين (643هـ) وابن مالك (ت: 672هـ) وابن هشام (ت: 761هـ) وغيرهم.

وإني لأعترف بأن أستاذنا الأفغاني كان له أثر بعيد جداً في تكوين فكرنا النحوي، وأن أكثر ما نعرفه من أصول تدريس النحو والصرف يعود إلى هذه السنة الجامعية الأولى التي كان الأستاذ الأفغاني الريان الماهر لسفينتيا، والقائد الحكيم لمسيرتها.

لعل من العسير أن أحصي كل ما تركته محاضرات العلامة الأفغاني في تكويننا الثقافي، غير أنني ألقت الانتباه، على سبيل المثال لا الحصر، إلى أبرز القواعد الأساسية التي كانت خير مرشد لنا في دراستنا الجامعية من بعد، ثم في عملنا مدرسين في مختلف مراحل التعليم الثانوية والجامعية.

يقول شيخنا في مقدمة كتابه "الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدا": (جريت في تفصيل مواد الكتاب على خطة غير بعيدة، فعُنت بالشواهد، وانتقيتيا بليغة من عيون كلام العرب في عصر السليقة، تنميه لملكة الدارس، وتوسيعاً لأفاقه في إدراك أحوال أمته، لتكون هذه الشواهد مصورة أحوال مجتمعات أصحابها أصدق تصوير، تصويراً لا نجده - بهذه الدقة والصفاء - حتى في كتب التاريخ نفسها، وهي متى استوعبت، أعوذ على الملكات من كثير من القواعد المحفوظة والتعليقات المتكلفة. وجنبت الدارس الأقسوال الموجهة والمذاهب الضعيفة، مختاراً ما ثبتت صحته على الامتحان<sup>(1)</sup>).

وقد التزم في تدريسه لنا أن يرسخ في عقولنا هذه القواعد في البحث والاستقصاء لتكون خطواتنا في تحصيل العلم. ثم في إيصاله، سليمة في مقدماتنا ونتائجها.

لقد عرفنا في دروس أستاذنا الأفغاني ما معنى الشواهد، وما الفرق بينها وبين الأمثلة؟ وماذا يعنون بعصور الاحتجاج؟ وكيف نحدد موضع الشاهد ووجه الاستشهاد؟ وقد تعلمنا منه الصبر على تتبع مناقشات كبار النحاة، وتوجيه آرائهم، وفهم حُجج كل فريق منيهم، وأحطنا - بتوجيهه - إلى حد كبير بالمدارس النحوية المختلفة التي كان لها الفضل في استقرار كلام العرب، واستنباط القواعد العربية التي دونوها في ضوء طرائق ارتضاها كل فريق منيهم، فنشأت مدرسة البصرة، والكوفة، والمدرسة البغدادية. ونحو الأندلس، ونحو المغاربة....

وكان في تدريسه يكره الإسهاب الممل، فكان يوصل ما يريد أن نتعلمه بعبارات موجزة، ولعله كان يعتقد أننا اخترنا قسم اللغة العربية لأن فينا استعداداً لسرعة الفهم، ولذا كان ينكر على بعض الطلاب أو الطالبات أسئلتهم عن أشياء يفترض أنهم عرفوها في مراحل سابقة، وقد جعلنا ذلك نشق أحياناً من السؤال خشية سخريته اللادعة، ونفزع إلى أستاذنا العلامة عز الدين التتوخي رحمه الله، أستاذ البلاغة، فنسأله ما نشاء، فنسمع منه ما يفسر الغامض، ويفصح عن المقصود.

وكان لأستاذنا الكبير فضل كبير في إعدادنا لتكون مدرسين، وإن ما أصابه بعضنا من نجاح

(1) انظر كتاب "سعيد الأفغاني" للأستاذ الدكتور مارون المبارك (ص 101) نقلاً عن مقابلة "الرحمن" المطبوع عام 1970م.



إصراره بأضرار كان يمكن دفعها، وقد عبر هو نفسه عن ذلك بقوله: "وفي طبعي هيام بالحرية والصرامة، وكثيراً ما أنكب الطريق الأسلم في سبيل الجبر بما أرى أنه الحق في العقائد والأشخاص، متحملاً بصير وطمأنينة ما أجز على نفسي من عناء وعداء... وهذا بلاء حتم لا مفر منه لمن خلق حراً صريحاً، ولو حاول غير ذلك ما استطاع"<sup>(1)</sup>.

وقد جرت لي معه حادثة طريفة تفصح عن أسلوبه في النظر إلى الأمور والحكم عليها، فقد أنيينا امتحانات السنة الأولى في النحو والصرف، وأعلنت أسماء الناجحين، وكانت الدرجة العليا (20/13)، وقد استحقها ثلاثة من الطلاب كنت واحدا منهم، وقد عجبت لهذه الدرجة، وأعدت النظر في إجاباتي فلم أر فيها من الأخطاء ما يمكن أن يبوي بدرجتي إلى هذا الحد... ثم دعانا أستاذنا الأفغاني إلى اجتماع نطلع فيه على أوراقنا، ونتأكد من صحة جمع الدرجات الموزعة على الأسئلة، وتناولت ورقتي وجمعت درجاتها، فإذا هي (20/16)، وكنت أعرف في أستاذنا الدقة المتناهية، فاستعنت برفاقي. وطلبت إليهم جمع الدرجات، فأجمعوا على أنها (20/16). فذهبت إلى الأستاذ وأنا مطمئن إلى أن الخطأ واضح، وذكرت له الأمر فكان جوابه صريحا سريعا: (ما بصير) ثم أخذ الورقة، وقلب صفحاتها، وأطال النظر فيها، ونظر إلي بعد ذلك وهو يقول: ألم أقل لك؟!.. الجمع صحيح... فقلت له: لقد قام الطلاب جميعاً بجمع مفردات الدرجات فكانت (20/16)، فأشار إلى أحد الأسئلة وقال: إنك أخطأت في الإجابة عن هذا السؤال، فقلت: نعم، وقد وضعت لهذا السؤال ثلاث درجات، وحرمتني من درجة أخرى لإهمالي كتابة همزة قطع.. فقال بسخرية مرّة: الحساب لا يجري هكذا... لو أخطأ خطأك فلان (طالب ضعيف في النحو) لحرمته درجة السؤال، أما أنت فطالب مجده، وأنت ابن الشيخ محمد بيضة البيطار، ولذا ينبغي أن تعامل معاملة تليق بأمالك، فتحرم درجة السؤال، وتعاقب بحذف ثلاث درجات أخرى، لأنك أخطأت خطأ لا يقبل منك.... وأدركت أن الاحتجاج غير مفيد، وأن النقاش عقيم... فعدت إلى مقعدي وأنا أقول: هل هذا معقول!!!

على أن هذه الحادثة كان ليا أثر بعيد في دراستي بعد ذلك، فقد غدوت أكثر أناة في القراءة والفهم، وأشد حرساً على التأمل العميق، والانتباه الشديد لكل سؤال يطرح، وقديماً قالوا: رب ضارة نافعة.

رحم الله أستاذنا الجليل الأفغاني، وجزاه عن إخلاصه وصراحته ودقته أفضل ما يجزي به عبادة العاملين الصادقين، وجعله في أعلى عليين مع من رضي عنهم من الأنبياء والصدّيقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.



(1): "عاشقة والسياسة" بين يدي الكتاب من: 5. (مأخوذ من كتاب "سيد الأفغاني" للدكتور مازن المبارك من: 3، 30).

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی





4- وفي ربيع عام 1936 م أقيم "معرض دمشق وسوقها" في ظروف الاحتلال الفرنسي، والأجواء السياسية والظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت تمرّ بها البلاد في سورية، وكان هذا المعرض -برغم تلك الأجواء والظروف- يمثل ذكاء العربي وتقدّمه في جميع المناحي، وشاركت فيه كل بقاع الوطن "سورية" بكل ما فيها من تحف فريدة في بابها، وصناعات عبقريّة تجلّت في الفكر الخصب واليد الصنّاع. وافتتح هذا المعرض مساء الأحد 1936/6/21 في مدرسة التّجيز الجديدة (ثانوية جودة الهاشمي اليوم)، حيث أجمل بقعة في دمشق وأنزهها، وأحفظها بأثار العرب في القديم والحديث<sup>(1)</sup>.

ذلك بعض ما ذكره المؤلف في مقدمة الطبعة الأولى لكتابه "أسواق العرب"، وهي مقدّمة قيّمة ومهمّة لأنها تؤرّخ نواحي اجتماعية واقتصادية وسياسية في حياة الشّام (سورية) في غمرة من الغمرات، وتشير إلى ظاهرة روحية قلقة سادت البلاد إبان قيام تلك المعارض الأربعة، وخصوصاً الأخير "معرض دمشق وسوقها" سنة 1936م، وهي في الوقت نفسه -أعني المقدّمة- تأريخ لظروف تأليف ذلك الكتاب بما تجلّى في تلك المعارض -التي أقيمت في أكبر المعاهد العلمية وصادف آخرها في ذكرى المولد النبوي- من أثرين مزدوجين مرتبطين أشد الارتباط وهما: عبقريّة الفكر والعلم، وعبقريّة اليد (الصناعة)، وبذلك كله يستعيد العرب والمسلمون ذكريات ما قدّموا للإنسانية من نظم وحضارة وعدل وسعادة. وهكذا تتصل حلقات السلسلة التي انقطعت، ويعود مجدنا الصناعي والتجاري، لتنبؤاً أمّناً مكانها من جديد.

وهذا ما أوحي إلى الأفغاني رحمه الله بخواطر متدفقة عبّر عن بعضها بقوله: (ص10)

"كنت في هذا الجوّ من الغبطة والذكرى والتأثير، لما عرضت في ذهني حلقات تاريخنا، وأين انقطعت في كل حلقة، ومتى عيّننا بوصلينا؟ فكان أول ما جال في خاطري - وأنا في معرض دمشق وسوقها - أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، وكيف كانت تزخر بالناس من تجار وصنّاع، وأدباء وشعراء وخطباء، وساسة وأشرف، عجبت لهذه الذكرى، وقد أعاد هذا المعرض لنا أسواقنا مع مراعاة الفارق بين الزمانيين - وذكرت أن المجمع العلمي بدمشق .. سيقيم بميرجان للمتنبّي في آخر أسبوع من تموز ... لتتم لنا صورة عن أسواق العرب ومحافلهم فيها، فكملت بهذا أداة هذه السوق العربية الكبرى بما سيُلقي فيها من أدب وشعر وعلم، وبمن سيؤمّننا من العلماء والأدباء من المشرق والمغرب: عربياً وأجانب ومستشرقين، وأصبح من كان يتمنى أن ينعم بمراى عكاظ في الجاهلية يستطيع أن يشهد عكاظ العرب في القرن العشرين، فينظر كيف انقلب الزمن؟ وكما قطعت الحضارة بين العكاظيين من أسواط".

ومن هنا ولدت لدى الأستاذ الأفغاني فكرة تأليف كتاب "يعرض لأسواق العرب وما كانت عليه في الجاهلية والإسلام، وما قامت به من عمل في خير العرب ولغنتهم، ليقف (القارئ) على شأنها في

<sup>(1)</sup> المصدر نفسه ص 6 وجاء فيه أن هذا المعرض افتتح "مساء الأحد الحادي والثلاثين من حزيران سنة 1936م" كتابة، وهو سيور، صوابه "الحادي والعشرين".



ومعروف أن هناك رحلتي الشتاء إلى اليمن والحبشة، والصيف إلى مصر والشام والعراق (ص44). فلا بدع في أن تكون التجارة من أول أسباب المعاش للحجازيين، فعكفوا عليها، وتمادحوا بكسب المال، وأخذوا يضربون في الأرض ابتغاء الرزق، وبذلك عرفوا قبل الإسلام كثيراً من مدن الشام كبصرى وجزّة، ومدن العراق واليمن ومصر. وكانت مكة نفسها المركز التجاري العظيم في جزيرة العرب، وكان على تجارة مكة اعتماد الروم في كثير من شؤونهم. واشتهر كل بلد بما يصنع أو يصدر، وخصه الله بشيء منعه غيره.

فالسيف والبرود لليمن، وديباجة الجاد في الطائف حيث يصدر إلى الحبشة. واشتهرت هجر والبحرين بالتمر الجيد المنقطع النظير. وكان يحمل من الشام إلى الجزيرة العربية: الزيت والزبيب والخمر، وغيرها.

وهذا الاختلاف والتنوع في المحصول هو الذي ضمن استمرار الحركة التجارية، الداخلية والخارجية، في جزيرة العرب. وفي القرآن الكريم إشارات ودلالات بعيدة على عظم ما شغلت أمور التجارة من أفكار العرب وخواطرهم، ومن ذلك آية الجمعة التي تقرأهم حين تركوا الرسول ﷺ في "المدينة" يخطب على المنبر، وبادروا إلى تجارتهم قبل أن يفوتهم الربح، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا، قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة الجمعة 11).

ثم دخلت أحوال العرب التجارية في طور جديد بعد ظيور الإسلام، الذي اهتم بأمر تجارتنا وشرع ليم ما يحتاجون إليه من أحكام البيع والشراء والاحتكار والديون والربا.. الخ. كما أن اللغة والأشعار والأمثال تكشف لنا ما كان عليه القوم من عادات وأحوال في هذا الميدان، ومن أمثاليهم التي تتعلق بأموالهم التجارية وأسفارهم قولهم: "عند الصباح يحمد القوم السرى" و"كمتبضع التمر إلى هجر".

وبعد ذلك يتحدث المؤلف عن "بيوع الجاهلية" (46-59) وأراد بيا الأنماط الخاصة التي ألفها العرب في جاهليتهم من البيع، يتخذونها في أسواقهم، وهذه البيوع تصور لنا ما كان عليه تفكير فريق منهم، في بعض الأسواق دون بعض، وهي اثنا عشر نوعاً رئيسياً، نذكر منها:

1- الرمي بالحصاة (أو إلقاء الحجارة)، ومن صورته الكثيرة أن يقول أحد المتبايعين للآخر: ارم هذه الحصاة، فعلى أي ثوب وقعت فيو لك درهم. أو أن يقول: بعتك من الأرض إلى حيث تنتهي حصانك (أي في رميها) ص46، 47.

2- المنايذة: ومن صورها أن يرمي أحد الرجلين إلى الآخر بثوبه وينبذ الآخر إليه ثوبه، ولا ينظر أحدهما إلى ثوب صاحبه. فيكون ذلك بيعهما، من غير نظر ولا تراص (ص48).

3- الملامسة: بيع الثوب عن طريق الملامسة، وذلك بأن يكون مطوياً، أو في الظلام، فيلمسه المستام، فيقول له صاحب الثوب: بعنك بكذا، بشرط أن يكون لمسك مقام نظرك، ولا خيار

لك إذا رأيته (ص49).

ولما جاء الإسلام أبطل معظم هذه انبيوع الغريبة والفاسدة وشرع للمسلمين السهولة والسماحة والتبیین والوضوح في البيع.

ويأتي كلام المؤلف بعد ذلك على "ربا الجاهلية" (60-69) الذي انتشر في جزيرة العرب، حتى ألفه الناس وصاروا يأخذون به ويُعطون، ومتى انتشرت عادة قبيحة ستر فتوها فبحها فلم يترفع عنها أحد. وقد شنع القرآن على كل من تعاطى الربا، وحرّمه جملة واحدة، وأوجد الحلول لجميع العلاقات والمعاملات الربوية السابقة، كما حسم الرسول ﷺ الأمر في حجة الوداع، في خطبته البليغة المأثورة، حين قال:

"ألا إن ربا الجاهلية موضوع كله، وأول ربا أنتدئ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب".

ويختم المؤلف الباب الأول من كتابه "أسواق العرب" بالكلام على فئات من العرب في الجاهلية وهم "المُحلّون والمحرمون والخُمس" (70-87) فيذكر أن العرب كانوا يعظمون أمكنة خاصة وشهوراً معينة، يضعون فيها سلاحهم حتى يزاولوا المكان الحرام أو الشهر الحرام. وكان من بُعد النظر أن جعلوا أكبر أسواقهم يقام في الأشهر الحرم الأربعة، وكان من أعظم العار أن يتعدى المرء حدود الشهر الحرام والبلد الحرام.

على أن رعاية الحرم -على ما تقدم- ليست مطردة، إذ أن هناك قبائل معدودة لا تتقيد بهذه المحرمات. أما قريش فقد حظيت بين العرب بمكانة سامية وزعامة تجارية لأنها تسكن الحرم، حيث الأمن والسلم، ولأنهم سدنة البيت والقائمون بأمر الحجّج أيام الحج، فأذعننت ليم العرب بذلك، ومن ثم ضرب القرشيون في أنحاء جزيرة العرب متاجرين لا يعرض لهم أحد. وتبعاً لهذه المكانة والتعظيم لهم تلقوا بالخُمس، هم وأحلافهم من قبائل أخرى، ومنحوا أنفسهم من الامتيازات ما ليس لغيرهم.

وهذا التزيّد من قريش علم الناس الاحتيايل وارتياذ المنافع والاستيانة بالحرّمات، بشتى الأساليب، ليجدوا في حرمة الشهر والحرم خير ملاذ. ومن ثم كثر هؤلاء حتى سُموا (بالمُحلّين). وبالمقابل هناك قبائل أخرى حفظت للمكان نفسه وللشهر حرّمته، وأنكرت على المُحلّين استخفافهم، فسُموا (بالذادة المحرمين) وهم أغلب العرب، حتى إن نفراً منهم أخلوا قتال المُحلّين بالسلاح ودفَعوا عن الناس شرهم وأذاهم.

-6-

أما الباب الثاني من كتاب "أسواق العرب" فقد كان موضوعه أحداث قريش التجارية" (89-190) وتناول فيه أربعة أمور، وهي:

قريش التجار، إيلاف قريش، حرب الفجار، حلف الفضول.

ففي حديثه الأول ذكر سبب تسمية "قريش" بهذا الاسم، وأورد ثمانية آراء في ذلك، أشهرها أنهم كانوا أهل تجارة وتكسب في البلاد، يتقرشون (أي يجمعون) البياعات فيشترونها، أو لتجمعهم إلى الحرم بعد تفرقهم في البلاد، ولم يكونوا أهل زرع وضرع.

وقريش في الأصل طبقتان -من حيث السيادة- فهناك (قريش البطاح) وهم الذين نزلوا بطحاء مكة وبطنها، من بني هاشم وبني أمية، وهم سادة القرشيين. وهناك (قريش الظواهر): نزلوا أعلى مكة وانتشروا حولها في ظواهرها (ضواحيها) وهم دون قريش البطاح شرفاً وشأناً.

ولقريش -بعد ذلك- مكانتها التجارية والاجتماعية والدينية، وأشهر رجالها: قصي بن كلاب، وهاشم بن عبد مناف، والمطلب بن عبد مناف، وعبد المطلب بن هاشم.. وبقيت هذه المكانة لأولادهم وأحفادهم في الإسلام، وهي أشبه بالوظائف الرسمية.

ففي التجارة كان القرشيون يسيرون قوافل عظيمة، معها حامياتها وأدواتها وأدلاؤها، وأدى ذلك إلى اختلاطهم بالأجانب المتحضرين كالروم والفرس والحبشان، وإلى تميزهم بأمور منها: اللباقة والكياسة، والفصاحة في اللغة، والعلم والثقافة، وتعلم فريق منهم الكتابة، كما كان أكثر كتّاب الوحي منهم. وقل أن تجد قرشياً ذا شأن في الجاهلية والإسلام إلا كان تاجراً.

أما مكانتها الدينية بين العرب فتتجلى في أمرين: أولهما الرفاذة، أي تقديم الطعام للحجاج، وهذا ما أغراهم بالقدوم إلى مكة والإقبال على تلك الأسواق التجارية، وبذلك تضمن قريش رواج تجارتها التي هي قوام أمورها في الحياة. وثاني الأمرين: كسوة الكعبة وما يتصل بذلك من أمور، وكان ذلك مدعاة لتباهي قريش به أمام سائر العرب، حتى إن أفراداً آخرين من غير قريش راحوا يشترطون إلى تحقيق ذلك الشأن.

وفي القسم الثاني من هذا الباب يتحدث المؤلف عن "إيلاف قريش" (174-161) وهو ما يمكن أن يسمى في عصرنا بالمعاهدات التجارية.

وهو أبرز حدث في تاريخ العرب التجاري قبيل الإسلام، وقد أخبر به القرآن الكريم. وهناك آراء في تحديد معنى "الإيلاف" (148)، ومنها الرّبح المخصوص الذي جعله هاشم بن عبد مناف لرؤساء القبائل لكي يكفّهم مؤونة الأسفار، وكفي قريشاً الأعداء، ومنها: العيد، وشبه الإجازة والخفارة، مما هيأ لقريش - حين أخذ لنا الإيلاف (العيد) من الملوك - أن ترحل إلى الشام والحبشة واليمن والعراق...

ثم ذكر المؤلف الإيلافات أو المعاهدات التجارية التي عقدتها قريش مع العرب والروم والحبشة وفارس، وبذلك خرجت تجارة قريش من طابعها المحلي وأفتقا المحصور إلى رحابة الأفاق الأجنبية، فالتسعت تجارتها وارتقت مكانتها الاجتماعية وكثرت أموالها، بفضل الإخوة الأربعة هاشم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل، أبناء عبد مناف. وهم أصحاب الإيلاف الذين رفع الله بهم قريشاً ونعتش فقراءها، وبنى تجارتها على أسس قوية، حتى صارت شبه دولية بعد أن كانت محلية.

ويأتي، بعد ذلك، القسم الثالث من هذا الباب الثاني، فيخصه المؤلف (بحرب الفجار)، (162-180) وهي الحرب التي وقعت في الأشهر الحرم التي تعظمها العرب وتحرم فيها القتل والقتال، فلما خرج المتحاربون فيها على سرعة العرب كانوا فاجرين بذلك. وهذه الحرب تتصل بأحداث سوق عكاظ قرب مكة، وما حولها. وأيامها خمسة تفرقت على أربع سنين، وكانت في حقيقتها نزاعاً وتزاحماً على الكسب والنفوذ التجاري والأدبي، بين قريش وأحلافها من جهة، وهوازن المعروفة بعددها وبطشها حول عكاظ من جهة أخرى، على الرغم من أن قريشاً لم تكن تؤد وقوع هذه الحرب، لأسباب تجارية واجتماعية. وقد حضرها الرسول ﷺ بنفسه وكان فتى يافعاً. وأخيراً تداعى الفريقان إلى السلم، على أن يذروا الفضل في الدماء والأموال ويتعاهدوا على الصلح، وعقدوا على ذلك موثقيهم.

وبقيت هذه الأحداث للذكرى والفخر، يتمجد كل شاعر قوم بما فعل قومه وبما ليم من محامد ومآثر.

ويختم المؤلف حديثه عن حروب الفجار بقوله (180): "وهكذا كانت تجارة العراق في (عكاظ)، وما يفيد من يجيرها من أرباح مادية ومعنوية، هو وقبيلته، سبياً مغرباً في هذه الحروب، ولا بدع في ذلك فنحن ما نزال إلى اليوم نرى أكثر الحروب في حقيقتها تطاحناً على النفوذ الاقتصادي والتنافس التجاري، إن لم يكن بصورة جلية، فمن وراء الستار".

ويأتي حديث المؤلف عن (حلف الفضول) في نهاية هذا الباب (181-190). وهذا الحلف ينفرد عن بقية العيود والأحلاف عند القرشيين بأهمية خاصة، ورعاية مقدسة، وتبجيل وشرف، لا يحظى بها حلف آخر. وهو حلف تجاري بمقدماته ونتائجه، حفظ سمعة قريش، وصان ازدهار أسواق مكة، وحفظ حق الضعيف بعد أن كاد الأمن فيها يتعرض للخطر، وأوشكت ثقة الأعراب وتجار النواحي بأسواق مكة تنزعزع.

واستمرت ثمرة هذا الحلف في الإسلام وازدادت تأييداً وقوة ومنعة، وقد أثنى عليه صاحب الرسالة ﷺ بعد أن شهده وهو فتى في العشرين من عمره، وكان به جذلان مغتبطاً.

وكسان هذا الحلف منصرف قريش من حروب الفجار لعشرين سنة من عام الفيل. وسمي بذلك لأنهم تحالفوا على رد الفضول لأهلها، وعلى دفع الظلم وأخذ الحق من الظالم مهما كان شأنه، وكان هذا التحالف والتعاهد في دار عبد الله بن جدعان.

والمتمثل في هذا الحلف وملابساته وأسبابه يجد أن الداعي الأول له هو حرص قريش على سمعة بلادهم التجارية أن تظل بين العرب فتتزعزع تقويم بقريش وبلادهم. ولذلك عظموا أمر ذلك الحلف واهتموا به كل الاهتمام فقام لهم مقام المحاكم التجارية، والقوة التنفيذية معاً.

وقد امتد في حياة المسلمين بعد ذلك، وكانت له آثار وفوائد جمة في العلاقات بين الناس والحكام وفي رعاية الحقوق.

-7-

ونصل أخيراً إلى الباب الثالث من كتاب "أسواق العرب" وهو أهم أبواب الكتاب (191-454) وأكبرها. وقد جعله مؤلفه في ثلاثة أقسام:

1- الكلام على أسواق العرب عامة (193-229)

2- أسواق العرب في الجاهلية (231-389).

3- أسواق العرب في الإسلام (391-452)

ففي تمهيده عن "أسواق العرب عامة" يبدأ بالجانب اللغوي لكلمة "السوق" وأنها اشتقت من سوق الناس بضائعهم إليها، وتذكر الكلمة وتوثق، والغالب عليها التأنيث. والمقصود بالأسواق هنا ما كان منها موسمياً (سنوياً) يقام في شهر معين أو أيام معينة منه.

وأسواق العرب منها المحلي الذي يقتصر على ما يجاوره من القرى القريبة كسوق هجر، ومنها ما كان عاماً يقد إليه الناس من أطراف الجزيرة كلها كسوق عكاظ. فإذا كان لإحدى الأسواق موقع جغرافي ذو بال - كأن تكون على ساحل البحر، مثل سوق عدن، وصنعاء وعمان - كان شأنها أكبر من بقية الأسواق التي في قلب الجزيرة لشبوع الاتجار فيها مع الجيران، من هند وحبشة وفرنس، في حين أن الأسواق الداخلية تقتصر على القبائل المتاخمة لها.

أما الإشراف على أمور تلك الأسواق وشؤون الناس التجارية فكان يتولاها في بعض هذه الأسواق - أمراء يأخذون الضرائب من الناس، أو رؤساء يبيطون الأسواق لجمع الإتاوات، أو أشرف يقدون على الأسواق التي تكون تحت سيطرة أمير من الأمراء، ليستوفوا نصيبهم من الربح الذي جعله لهم ذلك الأمير. بل إن بعض الأسواق كان يقع تحت سيطرة دولة أجنبية، كسوق المشقر، التي تحكّم كسرى بأهلها وتجارها.

وأما عروض التجارة التي كانت تحمل إلى الأسواق فأكثرها لا يتعدى التمر والزبيب، والزيت والسمن، والأدم (الجلد) والوزن (نبات يصبغ بورقه) وأنواع الطيب، والبُرود، وبعض ضروب الحيوان، كالماشى والإبل والخيل، حتى القروود أحياناً، وذلك على اختلاف بين سوقٍ وأخرى فيما يغلب على عروضها التجارية بالقياس إلى غيرها.

وهذه الحركة التجارية حملت إلى العرب كثيراً من ألوان الترف التي لا عهد لهم بمثلها، فتغالى أشرفهم بالثياب والبُرود والطيب والسلاح، وشرب الخمر التي أمعنوا في استحضارها من مصادرها المشهورة، من بلاد الشام والعراق، وتمدح الشعراء بشربها والإنفاق عليها، والتردد على حوانيتها، كقول عنتره:

ولقد شربت من المدامة، بعدما ركد الهواجر، بالمشوف المعلم

بسزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مفدّم

فإذا شربت فإنتى مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم<sup>(1)</sup>

وهذه الأسواق يغشاها عامة العرب، لأن شغل أكثرهم التجارة، أو الكسب والشراء. وكان أعظم ما يدفع العرب في الجاهلية إلى قصد تلك الأسواق: قيام كثير منها في الأشهر الحرم، وشيوع الأمن حرمة للشهر، ولأن مواسم بعض الأسواق كعكاظ ومجنة وذئ المجاز تقع في أيام حجهم، ويأتونها من كل أوب ومعهم خيرات بلادهم.

ويضاف إلى الأهمية التجارية والأمنية، وإني تحقيق مختلف الغايات في هذه الأسواق أن فيها، أو في بعضها تناشد أشعار، وتفخرا وتكاثرا، وكان لهم حكما يفضون المشكلات بين القبائل، ومحكمون يحكم إليهم الناس في مفاخراتهم وأشعارهم، كما لهم خطباؤهم أيضا. ومن حكامهم في الجاهلية: أكتم بن صيفي، والأقرع بن حابس، وعامر بن الظرب، وصفوان بن أمية.

وهناك نشاط آخر في تلك الأسواق لا يقل شأنًا عن النشاط التجاري، وهو أثر ذلك الاختلاط بين القبائل في اللغة، والعادات، والدين:

فالشعراء في عكاظ يتوخون اللغة المجمع على فصاحتها، والتي صار لها من النفوذ والشيوع ما للغات العامة اليوم، فكان لهجة قريش هي اللهجة الرسمية بين لهجات الجزيرة كلها، لأن قيام هذه القبيلة على الأسواق أعواما طويلة قبل البعثة مكنها من أن تتبوأ في اللغة المكان الأعلى، ولأنها اختارت من لغات القبائل الوافدة عامة ما يحسن، ونفت ما يتجح، حتى خلصت لها - بعد زمن طويل - هذه اللغة الممتازة التي نزل بها القرآن الكريم.

أما العادات: فقد سرى التأثير والتأثير بين القريشيين على هذه الأسواق، من حجازيين، ونجديين، ويمانيين، وعمانيين، يقبس بعضهم من بعض ألوانا من العادات.

وكذلك أمر الدين، ولعل أثر الاختلاط في الدين أبلغ، لقيام الجميع بمناسك واحدة، يؤمنهم فيها قريش أهل الحرم. فأعظم آثار الأسواق قبل البعثة هو هذا التوحيد الذي جرى بين القبائل العربية من عامة الأقطار، ولا سيما التوحيد اللغوي المتمثل في انتقاء الألفاظ والأساليب، وشيوعها بوساطة الرواة في القبائل. بل إن نية الشعر مدينة للأسواق عامة، ولعكاظ خاصة. عرف لنا هذا الأمر منذ الجاهلية حتى اليوم.

فلما جاء الإسلام ضعف الشعر لأسباب شتى، وصول أمر عكاظ، ثم احتل مكانها سوق المربد في البصرة، وراح يتم رسالتها في الأدب والشعر، بل زاد عليها بما استجد من أمور في حياة العرب المتحضرة، وألوان في المعاش والحياة الاجتماعية والأدبية.

ثم أقل نجم تلك الأسواق يرسوخ العرب والمسلمين في الحضارة، ونشوء المدن الكبرى

(1) انموذج: جمع ماحرة، وهي حر نصف النهار - والشرف: الإناء الخمر والجار والمخروب - بالشرف متعلقان بشربت - والمعلم: ما عليه علامة - والأسرة: الحظوظ - والأرهر: يعني لإبريق الأبيض - والمعلم: ما عليه القيام وهي الصناديق تجعل على نم الإبريق.



المتناهية في الحضارة. فعكاظ أهملت سنة 129هـ (قيل زوال الخلافة الأموية 132هـ). وآخر ما انقرض من تلك الأسواق سوق حُباشة في تيمامة، بين الحجاز واليمن، وذلك سنة 197هـ.

أما عدد الأسواق عند العرب، وتحديد أوقاتها، فليس هناك اتفاق بين المؤلفين القدامى على هذين الأمرين ولا سيما تاريخ قيام الأسواق، لعدم التزام العرب كل سنة بيوم ثابت لإقامتها، ويوم آخر محدد لتقويضها. وقد استطاع المرحوم الأفغاني أن يبلغ بها العشرين سوقاً، وهي ثلاثة أصناف:

1- أسواق خاضعة لنفوذ أجنبي: فارسي، كَهَجَر وُعْمان، أو روماني كما في بصرى وغازة. ويتولى أمرها كلها عمال عرب لأخذ الضرائب فهم معيّنون من قبل ولاة الفرس، وولاية الرومان.

2- أسواق أنشأها العرب أنفسهم بحكم الحاجة، فصارت مع الزمن تمثلهم أصدق تمثيل في عاداتهم وبيوعاتهم، ولا يشرف عليها إلا سادة أهلها. وخير ما يمثل هذا الصنف: سوق عكاظ.

3- أسواق ذات صبغة مختلطة، نظراً إلى موقعها الجغرافي، وهي التي تكون على البحر: كعدن، وصُحار. وفيها يجتمع تجار الحبشة والهند والصين وفارس، ويضوّل فيها الطابع القومي بمقدار ما يقوى شأنها التجاري.

### 8.

ثم ينتقل المؤلف إلى الكلام على "أسواق العرب في الجاهلية" (231-389) وهي عنده عشرون سوقاً واقعة في أماكن تضاف إليها، وهي:

(دومة الجندل، المشقر، هجر، عُمان، حُباشة، صُحار، ذبي، الشحر، عدن أئين، صنعاء، حضرموت، عكاظ، مجنة، ذو المجاز، نطاة خيبر، حَجْر، دير أيوب، بصرى، أدرعات، الحيرة).

ويلاحظ أن اسم كل سوق مرتبط بالمكان أو البلد الذي تقام فيه، وأن من هذه الأسواق ما هو داخل جزيرة العرب وهو الأكثر، ومنها ما هو خارجها.

وفي حديث المؤلف عن كل سوق يفصل الكلام على اسمها وموقعها الجغرافي وحدودها وتطورها على مر السنين، وصاحبها أو المشرف عليها، ومن يقد إليها أو يجاورها من القبائل، وما يباع فيها من بضائع وبلغ وأمتعة ومؤن، وزمن انعقادها، ومتى تفتت حركتها وينقضي موسمها، وما قيل فيها من الأشعار. وقد يعرض لنا مشاهد ومنافرات ومواقف فيها كأنك تراها. وحديثه عن السوق يطول أو يقصر، يفصل أو يوجز، بحسب أهمية تلك السوق وشهرتها، أو بحسب ما يتوافر له من مصادر عنها.

على أنه يخصّ سوق عكاظ بأوفى نصيب وأوسع تفصيل، حتى يصل حديثه عنها إلى نحو

السبعين صفحة، ولا يمكن إيفاؤها حقاً من الكلام في هذا البحث. فلنكتفِ بأهم ما ذكر عنها في الكتاب:

فمن الناحية الصرفية يجوز صرف اسم "عكاظ" ومنعه. وقد جرى المؤلف على منعه لأنه رأى المنع هو الأكثر فيه والأشهر.

أما اشتقاق كلمة "عكاظ" وسبب تسميتها بذلك، فللغويين في ذلك مذاهب، وأقربها أن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضاً في المفخرة، أي يقهره. وقيل إنها من التعاكظ أي التفاخر. والزمّن الرسمي لهذه السوق هو شهر ذي القعدة. والأكثرين على أنها تبدأ من أول ذي القعدة وتستمر حتى العشرين منه. ولكن هذا لا يمنع تقاطر الناس إلى عكاظ قبل بداية الشهر، ولا تأخرهم عن العشرين حتى اقتراب موعد الحج.

وموقع عكاظ واد واسع مستو ذو نخيل ومياه، بين مكة والطائف، جنوبي مكة إلى الشرق. ويؤم هذه السوق معظم قبائل العرب، قادمين من العراق والبحرين واليمامة وعمان واليمن وسائر أطراف الجزيرة يختلط بعضهم ببعض، فهي عامة لا تخص قبيلة أو قبائل بعينها، وهذا من أهم مزاياها فضلاً عن أن قربها منحها حرمة عظيمة.

وفي هذه السوق تقام القبائل، قبيل قيامهم بالحج، يتبايعون السلع والبضائع، ويتاشدون الأشعار، ويتعلمون ويتنازلون وكانست الحكومة في الشعر للنايعة الذبياني، كما كان بنو تميم وأفخاذهم يرمسون أمر الحكومة عامة والفضل والقضاء بين الناس، وضبط أمورهم من خلال الإشراف على السوق كما تضبط أمور كل قبيلة أشرفها وقادتها.

سوق عكاظ ابن مجمع ضخّم حافل لم يكن للعرب أحفل منه سياسةً ومفاخرةً وفداءً أسرى، وأدباً وحرّاً ومناجزة، وهي المعرض العربي العام أيام الجاهلية، بل هي مجمع أدبي لغوي رسمي، يضم الشعراء والرواة من عامة الأقطار العربية، وكل منهم يحمل أدبه ولغته وألفاظه، فما تزال عكاظ بتلك اللهجات غربلةً ونخلاً واصطفاءً حتى يبقى الأنسب الأرشق، ويُطرح المَجْجُو الثقيل.

وعكاظ هي السوق التجارية الكبرى لعامة أهل الجزيرة، يُحمل إليها من كل بلد تجارته وصناعاته وأدبه: من خمر بلاد الشام والعراق، وبزود اليمن المؤشاة، وأنواع الطيب والسلاح، ويباع فيها الحرير والأحذية، وزيت الشام وزبيبها، حتى الرقيق الناسي عن الغزو، وسبي الذراري يباع فيها بيع المتاع التجاري.

ثم إن هذه السوق معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعية التي سبقنا الإشارة إلى بعضها: من خطب ومناقرات وتحكيم بين الخلافات، ومصارعة بين الأبطال من الفتيان، ووجود فئات أخرى غير أولئك، من كاهن وعراف وعائف وقائف<sup>(1)</sup> وقرّذ وغنم وصحيفة وكاتب.

(1) العائف: من يحرر الطير، فيكون طيراً سبياً للشتائم أو التفاؤل. ومثله العيافة. والقائف: من يحسن معرفة الأثر وتعمده. وتسمى حرفته: القيافة.

وهناك أناس من غواة الشهرة: هذا يمدّ رجله متحدثاً وينشد شعراً ويقول: "من كان أعزّ العرب فليقطع رجلي". وآخر يأتي عكاظ بيناته ترويحاً لزواجهن، وأناس قدّموا إليها ليختاروا من يتزوجون إليه. وهكذا تكون في عكاظ أشياء لا تُعهد في أسواق العرب الأخرى.

وعكاظ أيضاً ندوة سياسية عامة، تُقضى فيها أمور كثيرة بين القبائل: من جمع الإتاوات، وإعلان المآثر شعراً، وإعلان الحرب على عدو، والتشهير بمن يأتي عملاً شائناً، واستحقاق أحد بنسب رجل، أو التبرؤ علناً من قريب لسبب ما، حتى لا يتعامل معه أحد.

والخلاصة أن هذه السوق الكبرى، سوق عكاظ، تمثل لنا - بما يكون فيها - أحوال العرب وعاداتهم الاجتماعية في جوانب كثيرة كما رأينا. وهناك شبه كبير بين عكاظ ومعارض عصرنا هذا، بل إن عكاظ لأوسع مدى، فهي لا تقتصر على مواد التجارة والصناعة، بل تتعداهما إلى الأدب والشعر والحرب والسلم والعادات السائدة. وما يجري في عكاظ كان يجري قريباً منه في بقية أسواق العرب، ولكن بصورة مصغرة.

وبعد الكلام المفصل على عكاظ، وأحوالها. وتاريخها، مما سبق بيانه، يعرض المؤلف لنا مثلاً ومشاهد ونصوصاً عما كان يجري في عكاظ (293-337) استمدّها من مصادر شتى قديمة، نكتفي منها بالمشهد التالي بعنوان "ما رأيت شيخاً أكذب" ص(337):

"مرّ المستوغر بن ربيعة<sup>(1)</sup> - شاعرٍ معمرٍ - بعكاظ يوماً، وعلى ظهره ابنُ ابنه شيخاً هرمًا، فأعيا من حمّله، فوضعه بالأرض وقال: عنيّني صغيراً وكبيراً. فسمعه رجل فسأه ذلك، فالتفت إليه ناصحاً: يا عبد الله، أتقول هذا لأبيك؟ أحسن إليه، فطالما أحسن إليك. قال المستوغر: أكثرني من هو؟ قال الرجل: نعم، هو أبوك أو جدك. قال: هو والله ابنُ ابني. قال الرجل: ما رأيت شيخاً أكذب. لو كنت المستوغر بن ربيعة ما زدت. قال: فأنا المستوغر بن ربيعة".

وبعد أن يعرض المؤلف هذه المشاهد المختلفة لعكاظ والتي جعلتنا نعيش أجواء هذه السوق، ونستحضرها في أذهاننا خلال قراءتنا الأدبية أو التاريخية، عن ذلك العصر، يقول:

"الآن تستطيع أن تقيم: لم يعد مؤرخو الأدب عكاظ في أول ما وحدّ ليجات القبائل العربية قبل نزول القرآن الكريم بأكثر من قرن، وهياً لقريش تلك الزعامة والتحكّم في اللغة والانتقاء، فسلمت من عيوب اللجيات، وعرفت أيضاً أن عكاظ دنيا تعجّ بالقاصدين من كل فجّ عميق... فأنت إذ تجول في عكاظ يتقدم سمعك خطبٌ وقصائد ومفاخرات ومنافرات وخصومات، وأنماط من البيع لا تتشابهه وأزياء في اللبس والتكلم والمراكب... تجمعت من كل صوب".

ويختّم كلامه على سوق عكاظ بقوله: (ص342):

<sup>(1)</sup> عُمر طويلاً جداً، وأدرك صدر الإسلام. ولقد بالغوا في عمره حتى أوصلوه إلى (320) سنة، وقد سمع حياته وكثير أحفاده أصغار. ومن شعراء:

وازدودت من عدد الشيبور سينا

سنة أتت من بعدها مئةان لي

"لسنا نعلم لهذه السوق بداية محددة، إلا أننا نرجح وجودها قبل القرن السادس الميلادي. ولما جاء الإسلام وتوطدت أركانه في الجزيرة والعراق والشام، بدأ شأنها يضؤل. ولم تزل قائمة إلى أن خرجت الخوارج الحرورية مع المختار بن عوف بمكة سنة 129 للهجرة، فنهبوا، فتركت إلى الآن.

وعلى هذا تكون هذه السوق قد عمّرت أكثر من قرنين ونصف القرن<sup>(1)</sup>.

## 9.

وفي القسم الثاني من الباب الثالث، يتحدث سعيد الأفغاني رحمه الله عن "أسواق العرب في الإسلام" ص 393-452 ويميّد لذلك بالإشارة إلى أن العرب تحضروا في الإسلام وسكنوا المدن الكبيرة من بلاد الشام والعراق ومصر وفارس والروم، كالكوفة والبصرة وبغداد والقيروان، فصارت كل مدينة تستغني بأسواقها المحلية الدائمة عن الأسواق السنوية الموسمية، وكفى الله العرب مؤونة الترحال بين أسواق الجزيرة، بما فتح الله عليهم، وما سئل من تجارات تأتيهم إلى مدنها من البلدان الأخرى.

فأمحت أسواق الجاهلية قبيل انقضاء القرن الثاني للهجرة، ورسخت أقدام التجارة في المدن والشعور.

ولكن سوقاً واحدة نشأت في الإسلام، واحتظت بكثير من خصائص أسواق الجاهلية، وزادت عليها بميزات واسعة، جاءت بها الحضارة الحديدية والرقى المستحدث، تلك السوق هي سوق المرند في البصرة. وقت استطاعت هذه السوق أن تصير الحياتين معاً: الجاهلية والإسلامية، في يؤتقة واحدة لتصوغ منها هذه الحلية العجيبة.

كانت هذه السوق إذن تقام في مدينة البصرة، وهي سوقها العامة. ولهذه المدينة (البصرة) مكانتها التجارية، فهي ثغر العراق في الإسلام، بعد أن استحدثت وخطت سنة 17 هـ بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، وكانت موضع اهتمام الخلفاء من بعده حتى عُدت من أكبر شعور الإسلام قاطبة، ومن أغنى المدن وأحظيا بأسباب الحضارة والرقى، وهي ميناء العراق الأكبر، وسوق العراق العامة.

ولا ننس هنا أن نشير إلى شهرتها الأخرى، وهي ما استفاض فيها من علوم ولغة وأدب وشعر حتى صارت تقصد نالئك من دون سائر البلاد، وكثر فيها العلماء والشعراء والأدباء والكتاب والفقهاء والقراء كثره تستعصي على الإحصاء. ويكفي أنها أظيرت ثلاثة من فرسان البلاغة والعبقرية الذين شاركوا في صفتها وهم: خالد بن صفوان التميمي، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والجاحظ.

(1) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ص 342-343.

وقد اشتهرت البصرة بسوق المرید الموسمية، التي ورثت سوق عكاظ، وقضت على ما كانت تتمتع به من ميزات منذ عصر الراشدين فما بعده، حتى أصبحت "عكاظ الإسلام".

كان موقع المرید في الجهة الغربية من البصرة إلى البادية، ليكون أول ما ينزلون به إذا قصدوا البصرة، وآخر ما يتركون إذا رحلوا عنها. ومعنى "المرید": مَحْبِس الإبل ومربطها، ويدير التمر. ويبدو أنه كان في الأصل كذلك، ثم صار في العصر الأموي سوقاً عامة كسائر الأسواق الموسمية في الجاهلية: من نعاطي البيع والشراء، وسماع الشعر والأدب والخطب واللغة، إلى جانب تفاخر الأشراف، وتياجي الشعراء وتساور الناس، وإحياء ما أماته الإسلام من حمية جاهلية وعداوات وثرات.

وهذه السوق تقع حوادثها ونشاطها بين سنة 36 هـ (في أول خلافة الإمام علي) وأواخر القرن الثاني الهجري (في خلافة الأمين بن هارون الرشيد)، إذ اضمحل شأنها مع سوق خبائشة آخر أسواق الجاهلية انقراضاً وزوالاً.

ولهذه السوق "المرید" أثر بعيد في اللغة العربية من وجود كثيرة فاقت فيها أثر عكاظ. وكانت تعج بأعلام اللغة والأدب والشعر والنحو، الذين يفدون على المرید ومعهم محابرههم ودفاترهم يكتبون عن فصحاء الأعراب هناك، بعد أن انتشر اللحن والعجمة، وبدأ التدوين والتأليف على نطاق واسع. وكذلك الشعر وحلقاته، فلكل شاعر حلقة، ولكل متهاجين مجلس، ولكل قبيلة ناد وشاعر يزود عنها.

ثم إن المرید يتفرد بأنه ريف اللغة بمادة كثيرة، عليها أسس النحاة قواعدهم وضبطوها عن طريق الاتصال وملازمة فصحاء الأعراب للاستفادة والتعلم. فكان المرید ينبوعاً ومصدراً لأكثر مواد كتب الأدب واللغة والأخبار: كالأغاني، والأمالي، والبيان والتبيين، والكمال...

وهكذا جمع المرید بين التجارة والأدب واللغة والسياسة والحرب أيضاً، إذ كان مسرحاً لموقعة الجمل، وثورة عبد الرحمن بن الأشعث أيام ولاية الحجاج على العراق، وفي المرید ألقى ابن الأشعث خطبه في حضن الناس على الثورة. واتسع أمر المرید وكثر قاصدوه وازدان بأفضل الرجاز والشعراء الذين أخرجهم العهد الأموي: كجرير والفرزدق والأخطل والراعي النخيري، ومن الرجاز: أبو النجم العجلي، ورؤبة وأبوه العجاج.

واستمر المرید في العصر العباسي، على شيء من الاختلاف عما كان يؤديه في العصر الأموي، وتبدلت الحياة الاجتماعية للناس، وظهرت العلوم تزاماً مع الأدب والشعر، وبدأ الفساد واللحن يسريان إلى اللغة فتحول المرید ليؤدي غرضاً يتفق وهذه الحياة الجديدة، وأصبح مقصداً للأخذ عن الأعراب: اللغة والشعر والأخبار لتدوين ذلك كله، فيقصده أمثال بشار بن برد، وأبي نواس، والأصمعي، وأبي عمرو بن العلاء. وخرج النحويون ليسمعوا من أهل المرید ما يصحح أغلاطهم، ويؤيد مذاهبهم، من كوفيين وبصريين، كما خرج الأدباء ليأخذوا الأدب، من جمل بليغة، وشعر رصين، وحكم وأمثال، مما خلفه عرب البادية أو توارثوه عن آبائهم، كما فعل الجاحظ.

كل ذلك نجد في المرید الذي أصبح أيضاً منشرةً للمحامد والمساوي، لتكون أشيع وأستبر وأبلغ

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

ولم يكن عمله — على عظم قدره وجليل محتواه — مجرد تأريخ لأسواق العرب في الجاهلية والإسلام، فحسب. ولذا نراه يحرص في كل مناسبة على التذكير والتنبيه وإثارة الهمم والعزائم. وأكتفى من ذلك بمثال واحد، وذلك حين تحدث المرحوم الأفغاني عن أيام حروب الفجار، إذ ختم كلامه عليها بقوله:

"هكذا كانت تجارة العراق في عكاظ وما يفيد من يُجيرها من أرباح مادية ومعنوية هو وقبيلته، سبباً مغرباً في هذه الحروب. وأي بدع في هذا؟ فإننا ما نزال إلى اليوم نرى أكثر الحروب في حقيقتها تطاحنا على النفوذ الاقتصادي. وتكاد أحداث القرن العشرين كلها تكون حول التنافس التجاري، إن لم يكن بصورة جلية، فمن وراء الستار"<sup>(1)</sup>.

••

طبع كتاب "أسواق العرب غير مرة. وأولى طبعاته سنة 1355هـ / 1936م. وثانيها نشرت مسنقة ومزينة في 526 صفحة مع الفهارس وصدرت عن دار الفكر بدمشق سنة 1379هـ / 1960م. ثم ظهرت الطبعة الثالثة سنة 1413هـ / 1993م عن دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة. وأخيراً صدرت الطبعة الرابعة سنة 1416هـ / 1996م في الكويت قبل وفاة مؤلفه رحمه الله.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

أهم مصادر البحث

- 1- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: سعيد الأفغاني — الطبعة الثالثة بالقاهرة 1413هـ / 1993م.
- 2- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألويسي (الطبعة المصورة). بيروت
- 3- تاج العروس: الزبيدي - طبعة الكويت.
- 4- القاموس الإسلامي: أحمد عطية الله — القاهرة. 1383هـ / 1963م.

□□□

(1) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص 180.



## مُعَلِّمٌ وَتَلْمِيزٌ

د. محمد رضوان الداية\*

**كان** يجذب انتباهي -وأنا أطلع كتب التراجم- وصَفَ أحد الأعلام بأنه كان يشتغل بالتعليم. وكان يُعجبني جداً أن يكون في صفة بعض المُشْتَغِلين بالتعليم أنه مُعَلِّمٌ نَاجِحٌ، أو مُدَرِّسٌ بَارِعٌ، وأن تلامذته كانوا يلتفون حوله، ويُداومون على حضور حلقات دروسه ومُحَاضراته؛ وأنه مُعَلِّمٌ حَسَنٌ التَّعْلِيمِ، جَيِّدُ التَّفْهِيمِ.

ولفت نظري أيضاً أن هؤلاء المعلمين الموصوفين بالإحسان والإتقان في مِنتَةِ التَّعْلِيمِ كانوا يُتَقَنُونَ التَّصْنِيفَ وَالتَّأْلِيفَ؛ ومن هؤلاء علي سبيل المثال: الأَعْلَمُ الشَّنْتَرِيّ شارح الأشعار الستة، وشارح حماسة أبي تمام؛ وابنُ البَيْتِ البَطْلُونُوسِي شارح لَزُومِيَّاتِ المَعْرِيّ، وهما من أشير أدياء الأندلس وعلمائها.

### (1)

أتيسح لي في سنوات دراستي في الجامعة السورية (التي تحوّل اسمها على أيامنا إلى جامعة دمشق) أن أتسلّم على عدد من الأساتذة الذين يصح أن يطلق عليهم اسم المُعَلِّمِ، ويصح أن تُطْلَقَ عليهم الألقاب الأخرى لو كان في إطلاقها زيادة -مثل: المُرَبِّي، والأساتذ، والمحاضر، والمُوجِّه.

على أن إيراد كلمة "المعلم" وحدها يكفي -عندي- للدلالة على أرقى درجات الخبرة والمعرفة وسائر ما يتعلّق بالتلقين والتفهيم وفتح الأذهن، والتبصير بالمنهج، والدلالة على الأصول، والقدرة على الارتقاء بالدارس في مدارج العلم، والموضوعية في إعطاء المعلومات، والجود بالرأي والخبرة، والنصح في القول، والرفق بالمتعلم، والتسوية بين الطلبة، والسير بسير أوسط الطبيعة في السدرس والمحاضرة، ونقل الخبرة إلى الطالب بسير وسبولة، والثقة بالدارس، ورفع معنوياته، والأخذ بمبدأ الثواب والعقاب من مقاصد التربية الإسلامية.

\* باحث من سورية، عضو اتحاد الكتاب العرب.

ومن صفات المُعلِّم الذي نَصَفُهُ في الجامعة السُّورية في ذلك الزَّمان: أنه يُتَّبع الجديد الذي يظهر في مجاله (ونقول في بعضهم: في مَجالاته) من نظريات مُستحدثة، وآراء جديدة، وكتب مُتوالية.. ويحتك بأمر الحياة فيُصل بين طلابه وبين شؤون الدُّنيا من حولهم، ويجعل ذلك كله مصبوحاً في بوتقة واحدة، أو صادراً عن حديقة متناسقة الألوان والطيوب... فإذا بالدارس يزداد علماً ومعرفة، ويترقى خبرة ومقدرة، وتفتح ملكاته، وتُمو استعدادُه، ويعرف أحوال الدُّنيا وشؤون الحياة تدرجاً: مثلما يترقى في اكتساب المعرفة، وتوسع الخبرة علواً وارتقاءً.

وكان في هؤلاء المُعلِّمين النَّاصحين، والعارفين النَّافعين، والذين تجتمع فيهم خصال عظيمة من خصال المعلم، ويتميز كل واحد فيهم بمزية أو مزايا خاصة تلون ثقافته وتخصص أسلوبه، وتكون عنواناً عليه: الدكتور عمر فروخ، والأستاذ عمر الحكيم، والدكتور عبد الكريم اليافي، والدكتور شكري فيصل، والأستاذ سعيد الأفغاني، إلى معلمين آخرين أذنا منهم، وفتحوا لنا من آفاق العلم والمعرفة..

## (2)

كان أول درس جامعي حضرته من محاضرات قسم اللغة العربية من كلية الآداب أوائل العام الدراسي 1956-1957 درساً في النحو في القاعة الرابعة في المبنى القديم للكلية (الكنة الحميدية قديماً) وكان المحاضر هو: الأستاذ سعيد الأفغاني وقد عرفنا اسمه من جدول المحاضرات:- رجل معتدل القامة، إلى القصر أقرب، بدا في وجهه أبيض مشرب بحمرة، أخذ الزمن من شعر رأسه كما أخذ من سواد ذلك الشعر. وتمكن من جلسته، ووزع نظراته على الطلبة، وتحدث بحيث يسمعه الحاضرون وهم سكوت. وألقى حديثه ببدوء وأناة، ومزج الحديث بابتسامه طبيعية تنم عن ذاته الشخصية، وخيل إلينا أنه مفظور على هذه المظاهر التي رأيناها فيه منذ مقبل حياته!

كان عدد الحضور من الطلبة في ذلك اليوم قليلاً، كالعادة في أيام التدریس الأولى، فجعل الأستاذ الأفغاني التدریس فرصة لعرض الخطة الدراسية للنحو في ذلك العام، وأشار علينا باقتناء الكتب المطلوبة، وأجرى بعض التدریبات الإعرابية حتى لا يخلو الدرس من فائدة، من أول يوم دراسي. وأذكر أنه كتب على اللوح قول جرير:

تَمْرُونَ الدَّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا  
كَلَامِكُمْ عَلَيَّ إِذَنْ حَرَامُ!

وسأل عن خَلل في البيت: أين هو؟ وما وجهه؟ فاستأذنت للإجابة وقلت: إن البيت يعطف ماضياً (لم تعوجوا) على مضارع (تمرون) وهذا لا يستوي. فأعجبه الجواب، وسأل عن اسمي؛ وقال لنا إن رواية الديوان: "مررت بالديار... هي الوجه، وردد علينا مذهبه في الأصول المقررة، المعتمدة عنده، في النحو؛ المُثبت في صدر كتابه: "مذكرات في قواعد اللغة العربية".

ومنذ هذا اليوم الأول من لقائي بالجامعة، ومحاضرات قسم اللغة العربية شعرت بأنه سيكون لي ارتباطاً قاعدياً بالعلم والتعلم- مع هذا المعلم الذي افتتح لنا دروس الجامعة، وانتظرتنا في محرابها.

(3)

تدرّجَت علاقتي مع الأستاذ سعيد الأفغاني منذ مرحلة الدراسة عليه، على امتداد ثلاث سنوات غنيّة لا يُنسى شيءٌ منها، ثم الاستقلال بظّله وهو رئيس لقسم اللغة العربية وآدابها وأنا معيدٌ أنشأ مع زملائي الذين اختارهم هو معيدين يجتدون حياة القسم، ويكونون النسخ الجديد؛ وبعد العودة من الإيفاد، وهو رئيس للقسم ومعيد لكلية الآداب حتّى أُحيل على التقاعد سنة 1968. وبقيت على صلة به مع إمكان الظروف فقد كتب عليّ السّفر ضرباً في الأرض، وسعياً وراء الرزق، واستراحة من المُبرّعات، وعرف أستاذنا الاغتراب كبيراً في السنّ بعد التقاعد: فقد استجاب لعدد من الجامعات في لبنان، وليبية، فنَهَضَ بأعباء التدريس والإدارة، وختّم اغترابه بالتدريس في جامعة الرياض وظلّ يدرس حتّى بلغ الخامسة والسبعين (ولد 1909 وتوفي 1997).

لقد كانت مرحلة الدراسة الجامعية الأولى على يدي الأفغاني هي مرحلة التعلّم وحُسن التلقّي من قبلنا نحن الطلبة، وكانت مرحلة التعليم الجامعي في أعلى مراتبه من قبّله.

وكان التفاهم على أعلى درجته بين الأفغاني وبين طلبته وطالباته: من مُعلّم ليس عنده غير الجِدّ في التعليم، والرغبة المتمكّنة في التّفهيم، وإذا كان لكلّ طالبٍ من هذا المُعلّم نصيبٌ فإنّه كان يَرضى من بعيد: المتفوّقين من طلابه وطالباته، ويجتهد في معرفتهم، ويتابعهم عاماً بعد عام، ويرضى عن ظهور النّوابع أو النابئين فيهم.

وكان هذا التّناغم والتفاهم بين المُعلّم وتلاميذه قائماً دائماً ببدوء وثقائية، وتراضٍ، وكأنّه عقْدٌ في وثيقة مكتوبة، وعهد مُبرّم، وصكّ مُوثق!...

(4)

لا أعرف أستاذاً معلماً للعربية -كالأفغاني- يوصل إلى طلبه مقاصد المادة التي يدرسها، ويُثري فكرهم وذهنهم بمضمونها، ويعطيهم ناصية مفرداتها، ويُسلّس لهم قيادها، ويجعل مياراتها ملكاً لهم يعرفون كيف يفيدون منها، ويجعلونها في محفّوظهم الذي يبقى، وعلمهم الذي يَحيا، وقدراتهم التي تظهر آثارها عليهم، ومعارفهم التي تبدو خصائصها فيهم.

فالنحو والصّرف وأصول النحو والمسائل الخلافية النحوية والصرفية ومعاني الأدوات وغيرها من جليل المسائل والقضايا إلى صغارها وبسائطها تنتقل من المُعلّم إلى تلاميذه، وهي تنفد إلى فيم المدارس، وتستقرّ في وجدانه، وتصبح في جُملة معلوماته، ثم تكون متحرّكة: لتضبط له أسلوبه، وتصوّب عبارته، وتنطلق من عنده إذا أراد أن يُعيد المعلومات أمام أصحابه، أو إذا أراد تقرير شيءٍ منها على تلامذته حين يدرّس في المدارس الإعدادية والثانوية...

وهكذا، فقد كان في طلب قسم اللغة العربية من جامعة دمشق من يستطيع -ويستاهل- أن يدرّس وهو ما يزال على مقاعد الدرس في الجامعة، ويكون له اسمٌ ذائع وشيرة واسعة!...



اللغوي والفهم الأدبي من جهة أخرى.

(6)

تدرّجنا في دراسة النحو والصرف وما يلحق بهما تدرّجاً زمنياً متوافقاً مع التدرّج في المستوى: نظرياً وتطبيقياً. وتعاملنا مع هذا "الاختصاص" قواعد وإعراباً: حفظاً، وتدرّجاً، ومحاورة. وكان إنجازنا السنة الثالثة إيداناً باستواء الواحد فينا على قدمين ثابتين في "علوم العربية". وظهر هذا لنا حين أوفدنا إلى القاهرة، وقدمنا امتحان درجة الدبلوم.

لقد تكوّنت لدراسي علوم العربية في الشام سمعةً حسنةً في المعرفة بها، وإتقان تعليمها، وشهدت البلدان المتخلفة بزيارة معلومات خريجي الجامعة السورية (دمشق بعد ذلك). ومرّ هذا إلى خصائص قسم اللغة العربية (في تلك الأيام) عامّة، وسمعة أ.الأفغاني معلماً ناجحاً؛ خاصّة. وإلى هذا اليوم، إذا ذكر النحوي في بلاد الشام ذكر معه اسم لامع في تاريخ التعليم: سعيد الأفغاني.

وقد انتقلت سمعة هذا المعلم الناجح، إلى حيث انتقل هو بنفسه -بعد تقاعده من جامعة دمشق- فعرفه الدارسون عن كُتب؛ وإلى حيث ذهب كتبه التي قرّر عددٌ منها في عددٍ من الجامعات، واعتمد بعضٌ منها مراجع أساسية أو مساعدة.

(7)

حين حقّق الأستاذ الأفغاني كتابي ابن الأنباري: الإعراب في جمل الإعراب، ولمع الأدلة، وزع أوراقاً منهما على عددٍ من الطلبة تدرّجاً وتعليماً. وكنت واحداً فيهم، وكانت هذه الأوراق بداية معرفتي بعالم المخطوطات. ثم عزّزت في العام التالي بمخطوطة عند الدكتور شكري فيصل -ولها حديث أخسر- وأوراق من كتاب "الإفصاح" الذي طبع أولاً باسم: توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب، من تحقيق أ.الأفغاني.

وقد سهّلت هذه التجارب عليّ، في رحلة المعيدية (1961-1963) أن أختار لنيل درجة الماجستير مخطوطة أندلسية وحيدة للأمير ابن الأحمر.

وكانت هذه المرحلة مجالاً للتدريب تحت نظر الأستاذ الأفغاني، وكان النظام القديم في الجامعة يقتضي من المعيد أن يجتاز التجربة لسنتين متواليين؛ يقمّ رئيس القسم بعد كل سنة تقريراً عنه. فإن اجتازه استمر. وكان المعيد يكلف مهمّة التدريس رديفاً لأحد الأساتذة، ويعرّف -عملياً- إلى الجانب الإداري، وشؤون الامتحانات من أولها إلى آخرها، ويُعدّ نفسه تدرّجاً على مُرور الأيام للتخصّص الذي سيكون مجال دراسته وتحصيله وعمله.

لقد كانت مرحلة العمل معيداً -في ظل إدارة أ.الأفغاني ورعايته- من أكثر سنوات العمر: استفادةً واستماعاً، وتربية علميةً وتبينةً مستقبليةً. وأحسن اختصار لهذه المرحلة أن يقال فيها إنها مرحلة التدريب.

وكانت مدة العمل بعد العودة من الإيفاد، تحت نظره، مدة تدريج. كان يحرص على أن يحمل أحدنا المسؤولية، وأن يحمل أعباء "عضو هيئة التدريس" شيئاً فشيئاً، وأن يعطي العملية التعليمية اهتماماً عظيماً، وأن يستمر في البحث، والدرس، ومتابعة تخصصه، وأن يتمكن من ذلك كله: في توازن، واجتهاد متواصل.

وكان لا يدخر نصحاً أو توجيهاً، وكان أيضاً يحمي الجيل الجديد من أعضاء هيئة التدريس من عصف عاصف بهم أو عصف متعسف. لقد كان التدريج يقتضي ذلك. ومع التدريج منه؛ وقاية وحماية؛ و"العلم" لا يأتي فجأة.

### (8)

شخصية "المعلم" العظيم سعيد الأفغاني من الشخصيات الواضحة. وجانب الوضوح هذا يقرُّ به أصحابه وعارفوه، ولا يستطيع أن ينكره الذين يختلفون معه. ومن معالم هذه الشخصية:

- الأخذ بالجد في القول والعمل. وكان من مقتضيات هذا الجد في العملية التعليمية: الفصل بين مقاعد الطلبة والطالبات في الدروس والمحاضرات.

- الانضباط التام؛ وظهر ذلك في تعامله مع الإدارة، ومع زملاء العمل، ومع الطلبة داخل الدرس وخارجه.

- ترك الفضول من القول والعمل. فإن اقتضى الأمر، أو نداعى الكلام فالقليل الذي يفي، أو الضروري الذي يكفي.

- العدل في المعاملة (يصدق هذا على زملاء العمل كما يصدق على الطلبة). ومع العدل إنصاف يقرُّ به الطلاب الذين لم ينجحوا، كما يعتدُّ به الذين جازوا الامتحان ونجحوا فيه.

- الانقطاع في وجوه النشاط غير التعليمي إلى البحث والتأليف والمراجعة والمطالعة.. والانقطاع إلى الذات.. والأهل، وقلة من الأصدقاء.

- وكان في طبع الأفغاني الجِدْو، والأنأة؛ يستغني بالصوت الخفيض عن العالي، وبالابتسامة دون الضحكة، وبالضحكة الخفيفة دون المجلجلة.

- واشتهر بالتعليق الخاطف، والجواب اللاذع: على شيء يراه أو شيء يسمعه، أو شخص يذُر منه أمر، وتعليقاته دائماً قصيرة، سريعة، حارة. وهي تذكر من القدماء - بالأجوبة المسكتة، وعبارات التوقيعات..

### (9)

لقد كان الأستاذ الأفغاني من الأساتذة الذين لا يخترق الطلاب الحاجز الوهمي الذي ينظم العلاقة بين المعلم والتلميذ أو الأستاذ والطالب. ولكنه حاجز رقيق يتيح انفتاح الأستاذ على طلابه في

كل ما يخص العلم والتعلم داخل قاعة الدرس وخارجها... ومن هنا كان للأفغاني في نفوس الطلاب رهبة الاحترام، ورهبة الإحساس بانفاصل الموضوعي بين المعلم وطلابه، كما كان له في نفوسهم التقدير لتلك الشخصية التي توحى إليهم بقدر عظيم من العلم والمعرفة. لقد كان يقترب إليهم حتى كأنه لا حاجز، وهو يجيب عن أسئلتهم، ويعلم، ويُنَبِّه، ويفهم؛ وكان يسمو عندهم حتى كأن بينهم وبينه سداً منيعاً.

لقد كان معلماً مختلفاً، متميزاً، وهو من أولئك المعلمين والعلماء الذين كان يقال فيهم: "لا نظير له".



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

## سعيد الأفغاني منافحاً عن العربية عرض لآرائه ضدّ دعاة العامية في بلاد الشام.

د. عبد الإله نبهان\*

كان أساتذنا سعيد الأفغاني<sup>(1)</sup> - رحمه الله - متعدد الاهتمامات، متنوع الإنتاج، ترك آثاراً تنتمي إلى التاريخ كأسواق العرب؛ وعائشة والسياسة، وكتباً في النحو وتاريخه وأصوله وحقق كتباً أخرى ككتاب القراءات لابن زنجلة، وسيرة ابن حزم، كما كتب في الإسلاميات ككتابه الإسلام والمرأة. وكان من جملة ما كتبه ردوده على دعاة العامية وأعداء العربية، وقد رأيت أن أجعل من هذه البحوث موضوعاً أستعرض فيه أفكار الأفغاني في هذا الميدان.

إن التأمّر على اللغة العربية والتهمج عليها، والتخطيط لإفصائها عن ميادين الحياة، ليس أذعاء يدعيه أناس يطيب لهم أن يختلفوا أعداء يردّون عليهم ويجادلونهم، وليس هوساً من أناس بلغتهم يرحمون كل من يقرب منها أو يقول فيها برأي.. إن هذا التأمّر حقيقة وقد ذُبر له بليل ونهار، وأنفقت عليه السفقات الهائلة، وقد ظهرت الوثائق وبرزت الحقائق التي تثبت وجود هذا التأمّر وتكشف عن وجه المخططين له. بل إن هناك من صرح معترفاً بما كلف به، وأذكر في هذا السياق اعتراف الدكتور لويس عوض<sup>(2)</sup> في مقدمته لما سماه ديوان شعر ووسمه بـ"بلوتولاند وقصائد أخرى" وذلك عام 1947 فقد ذكر أنه "قد عاهد الثوج الغزيرة المنشورة على حديقة مدمر في خلوة مشجودة بين أشجار الردار عند الشلال بكامبريدج ألا يخط كلمة واحدة إلا باللغة المصرية. وقد برّبعه في العام الأول بعد عودته فكتب شيئاً بالمصرية سماه "مذكرات طالب بعثة" ولكنه استسلم بعد

\* أساتذ في قسم اللغة العربية بجامعة اليعت. عضو اتحاد الكتاب العرب.

(1) - سعيد الأفغاني 1909 - 1997. انظر ترجمته في إتمام الأعلام 109، وأعلام التراث في العصر الحديث: 206 وفيه ذكر لمراجع أخرى.

(2) - لويس بن حنا عوض 1914 - 1990 كاتب مصري، وقف من الحضارة العربية موقفاً معادياً. انظر: ذيل الأعلام 160 وكتاب أباطيل وأسماخ محمود محمد شاكر.



ذلك وخان العهد، فلتغفر له التلوج الطاهرة التي لم تدنسها حتى أقدام البشر<sup>(1)</sup>."

ولكن قبل هذا بزمن، وفي عام 1893 كان ول كوكس<sup>(2)</sup> قد ألقى محاضرة في نادي الأزيكية بالقاهرة عنونها: "لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن" زعم فيها أن العامل الأكبر في فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدامهم العربية الفصحى في القراءة والكتابة وقدّم نصحه لهم ليستخدموا العامية في الكتابة كي يصيروا من المخترعين<sup>(3)</sup> قال ول كوكس: "أنتم أيها المصريون لن تزلوا قادرين على إيجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت إنجلترا، فإنه يوجد فيكم أناس كثيرون توفرت فيهم الشروط المارة، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمي مشهور فيما بينكم لم تتحصلوا على شيء، وأضعتم أعمالكم سدى، والسبب في ذلك أن الكتب العلمية الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال، وفي آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فأراً صغيراً، وما نشأ ذلك إلا من كون اللسان العلمي غير مشهور فيما بين العامة، فبمجرد وضع الأفكار في الكتب تموت ولم تعد تحيا، فكأنهم يكفونونها في الورق ويدفونونها في جلود الكتب. واللغة العربية الأصلية كانت قوية جداً مشحونة بالألفاظ الشهيرة كما أنها كانت مشتملة على ألفاظ كثيرة ضعيفة، وعلى مر الزمان غلبت القوية الضعيفة وكونت لغة قوية. ولكنكم أيها المصريون أصبحتم تقولون إنها لغة دارجة لا ينبغي اتباعها وجنحتم في مؤلفاتكم إلى اللغة الضعيفة الخفية التي ماتت منذ زمن بسبب مزاحمة القوية لها، وأقول لكم: إذا جنحتم إلى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم وتركتم هذه اللغة الضعيفة تتجحون كثيراً"<sup>(4)</sup>

وبعض النظر عما في هذا الكلام من ركافة وإسفاف أسلوبياً وفكرياً فإنه يمثل تحريضاً من مهندس بريطاني لمعلمي المصريين آنذاك ليكتبوا بالعامية ويتخلوا عن العربية. ولنا هنا بسبيل التأريخ للمؤلفات الداعية إلى نبذ الفصحى واستخدام العامية ولا التأريخ لأولئك الذين نصبوا دعاء.. وإنما أردت أن أشير إلى مدى جدية هذه الدعوات وارتباطها بالاستعمار.. فقد ارتبطت بالاستعمار الإنكليزي في مصر، وبالأستعمار الفرنسي في بلاد الشام وكان زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة بالعامية وبالْحرف اللاتيني الاستعماريون الفرنسيون وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية لويس ماسينيون<sup>(5)</sup>، ولقد حاول ماسينيون أن يبيت دعوته هذه في المغرب وفي مصر وفي سورية ولبنان خاصة، وكذلك سعى لهذه الغاية مبشرون واستعماريون من أمم أخرى<sup>(6)</sup> وقد أشبعت القول في تاريخ الدعوة إلى العامية وأثارها في مصر

(1) - لوتيولاند: 13.

(2) - ول كوكس: مهندس ربي بريطاني آل إليه ترويس مجلة الأزهر سنة 1893.

(3) - تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر: 100.

(4) - المرجع السابق: 36.

(5) - لويس ماسينيون 1883 - 1962. مستشرق فرنسي من أعضاء جمعي القاهرة ودمشق وكان من موظفي وزارة

المستعمرات في شباه ثم مستشاراً لما بقية حياته. الأعلام 5: 247.

(6) - البشير والاستعمار: 225.

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی



این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی

این صفحه در اصل محله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات پژوهش علوم اسلامی



الأحرف اللاتينية<sup>(1)</sup>

أشار الأفغانسي إلى أن أصحاب هذه الدعوات المشبوهة قد انحصروا في ساحل الشام (لبنان) وأن هذا الساحل "قد شهد من أبطال الحفاظ على اللغة في القرن الماضي ما لم يشهد مثلهم في الداخل، وكان يجب أن يكون هذا محطّ العجب لولا ظهور السبب، فالعرب في ساحل الشام (لبنان بلغة الإدارة) كالعرب في داخله دماً وأصولاً وآمالاً وآلاماً لكنّ حملة ذكية خبيثة قامت بها دول الغرب الطامعة في بلادنا خلقت من الساحل جواً قلقاً موبوءاً حتى اليوم"<sup>(2)</sup> ويذكر الأفغانسي الفتنة التي افتعلها الاستعمار عام 1860<sup>(3)</sup> وما تلاها من تنازلات الدولة العثمانية، ثم يذكر تشجيع فرنسا لهذه الدعوات المشبوهة بعد احتلالها ساحل الشام (لبنان) عام 1919 ويشير إلى استمرار هذه الدعوات في ذلك الساحل إلى وقت قريب من الوقت الذي كان يكتب فيه كتابه وهو عام 1961 قال:

"إن هذه الدعوات التي ولدت ميتة في داخل الشام وجدت في الساحل الهواء الذي تننفسه ولو هواءً مخلخلاً وفي بيئات ضيقة قليلة أجنبية قلباً وقلباً أو قلباً فقط. فقد عرفت أن نشرتين صدرتا في الأعوام القريبة بالهجة العامية والحرف اللاتيني، الأولى للأب رافائيل نخلة والثانية بقلم سعيد عقل وأن رسالة عقيت عليهما وعلى الدعوة الدائمة من أساسها للدكتور سعيد شهاب الدين"<sup>(4)</sup> وهنا يثني الأفغانسي على أطروحة الدكتور شهاب الدين ويرى أنها فندت وأبطلت حجج هؤلاء...

ويعرّج الأفغانسي في آخر بحثه على "فتنة" عبد العزيز فهمي التي تركزت في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1943 وكنا أشرنا إليها، ويخلص الأفغانسي تلك الواقعة بقوله: "واستمرّ الجدل شاعلاً المجمع عن أعمال ثلاث سنين كوامل. انتهى برفض الدعوة" ويعلق قائلاً: "وكان حريّاً أن يكون هذا إخفاقاً لا نجاحاً، لكننا إذا عرفنا أن غاية هذه التسييس إما الهدم وإما عرقلة البناء وأنها آلت إلى الثاني أيّناً أن عدونا نجح، وأن الله إلى النجاح أعوان متطوعون منا عن سوء نية أو غفلة وسذاجة، ولو حسينا ما أنفقت الدولة على المجمع هذه السنين الثلاث وما أضاع أعضاؤه ومتنبعو أخباره من جيد ووقت، وما شغلت الناس هذه الفتنة عن مصالحهم هالنا عظم الخسارة علينا وغنيمة أعدائنا منا، ولولا أن الشام شغلت بأصداء هذه البلبل في مجمع القاهرة، وهمّها أمرها بل غمّها أيضاً، ما عرضت له، ولكن البلاد العربية تعيش اليوم (1961) كالبلد الواحد، لا يتلقى في حيّ من أحيائه بقديفة إلا تجاوبت الأصداء في كل الأحياء:

إذا ألمت بوادي النيل نازلةً باتت لها راسيات الشام تضطرب"<sup>(5)</sup>

(1) حاضر اللغة 184-185.

(2) حاضر اللغة العربية 185.

(3) نظر "تاريخ الدولة العلية العثمانية" 251 وما بعدها، و"انتشار والاستعمار" 137 وحاضر اللغة 185.

(4) حاضر اللغة العربية: 187.

(5) حاضر اللغة العربية 189.

### ثالثاً: صعوبة القواعد والإعراب في اللغة العربية:

اقتربت الدعوة إلى العامية بالصراع بين دعائها وبين حُماة الفصحى، وقام مَنْ يدعو إلى التجديد والإصلاح والتيسير في مجال اللغة والنحو، وانحرف بعض الدعاة فدعا إلى تَمصير اللغة العربية كأحمد لطفي السيد<sup>(1)</sup> ومحمد تيمور<sup>(2)</sup> وعبد العزيز عبد الحق<sup>(3)</sup>، ودعا بعضهم إلى تيسير نَحْو العربية وكتابتها ومادتها وذلك لصعوبتها<sup>(4)</sup>. وقد اتجه الأستاذ الأفغاني في بحثه إلى بيان الأسباب الكامنة وراء ما يظهر أنه صعوبات في اللغة العربية فرآها في طرائق التعليم وكتبه فقد كانت قواعد اللغة العربية تدرّس حتى منتصف القرن التاسع عشر في الكتب القديمة الصغرى المتقلّة بالحواشي والشروح والتقارير والردود، فإذا أضفت إلى ذلك عَقْم التدريس وأخذ الطلاب باستظهار المتن في النحو والصرف أدركت العناء الذي كان يلقاه الصغار في تعلّم العربية، هذا شأن العرب فما بالك بالأجانب الذين يتعلمون لغتنا<sup>(5)</sup>. لقد وضع الأستاذ يده على العلة، إنها ليست في اللغة، لأنه يعرف أن اللغات الأخرى فيها من المشكلات مثل ما في اللغة العربية أو أكثر... وقد تمّ الاتجاه إلى التغلب على هذه الصعوبات أو المشكلات بأمرين:

1- ألّفت كتب قواعد العربية بأساليب جديدة.

2- تمّ تغيير طرق التدريس.

"نشأت أجيال الطلاب بعد ذلك على كتب حديثة ميسرة واضحة لا صعوبة في عباراتها ولا التواء، غنية عن الشرح والتعليق"<sup>(6)</sup>

إن الأمر لم يكن في حقيقته أمر صعوبة في القواعد، لكنه أمر من كان يسهر ويدبّر للكيد والتخريب. وما يرويه الأفغاني يؤكد صدق نظرية المؤامرة في هذا المجال، وقد مرّ بنا خير "مرجسيو" وسنقل الآن خير "ماسينيون" قال الأفغاني: "أول ما أعرف من محاولات الأجانب في هذا الموضوع ما حدثني به المرحوم الأستاذ محمد سليم الجندي<sup>(7)</sup> أيام الاحتلال الفرنسي قال: "هبط المستشرق المسيو ماسينيون دمشق في أوائل سنوات الاحتلال، فاتصل به - بطبيعة الحال - زملاؤه من أعضاء المجمع الذين بينه وبينهم معرفة فألقى إليهم في جملة ما ألقى "أن إهمال

<sup>(1)</sup> أحمد لطفي السيد 1870-1963 رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة. كان يسمى أستاذًا حينئذ. ترجمه بعض تلامذته إلى العربية. الأعلام: 1: 200.

<sup>(2)</sup> محمد تيمور 1892-1921 كاتب قصصي مصري، مولده ووفاته بالقاهرة. الأعلام: 6: 22.

<sup>(3)</sup> عبد العزيز عبد الحق، ثم ألقب له على ترجمته. وانظر تاريخ الدعوة إلى العامية 149-123.

<sup>(4)</sup> انظر تاريخ الدعوة إلى العامية 144-146.

<sup>(5)</sup> حاضر اللغة العربية 192.

<sup>(6)</sup> حاضر اللغة العربية 192 وقد ذكر الأفغاني الكتب الميسرة وهي كتب اشتروني والبستاني والغلابي في ساحل الشام والنحو الواضح في مصر وغيرها جميعاً كتاب (الدروس النحوية) لحفي ناصف ورفاقه...

<sup>(7)</sup> محمد سليم الجندي 1881-1955، شاعر، مدرّس عام بالأدب، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. الأعلام: 6: 148.

الإعراب يبسر تعليم العربية على الأجانب ويكون في الوقت نفسه تجديداً يليق بمؤسسة كالمجمع فناقشه بعض وسكت بعض، إلا أن أهدأ لم يعر هذه المقالة اهتماماً ما<sup>(1)</sup>

وذكر الأفغاني أن الفرنسيين أدركوا أنه لا جدوى من هذه المحاولة في الشام الداخلية (سورية) لكنه أشار إلى أن أحد أعضاء المجمع - لم يذكر اسمه - تربص قليلاً حتى نسي أعضاء المجمع دعابة المستشرق الفرنسي، ودرس في مجلة المجمع على غفلة من أهلها كلاماً عنوانه: "أقرب الطرق إلى نشر الفصحى" فردد ما كان رده الأجانب على أسماع أجدادنا من تفضيل العامية، وزعم أنها اختزال للفصحى وعدول إلى ما هو الأنسب وأن إبدال الكلمات الفصحى والإعراب بالعامية غير ممكن لأنه مقاومة للطبيعة، وانتهى إلى أنه لا يصح التثاؤم بالعامية إلى حد إمانتها<sup>(2)</sup>

وعلق الأفغاني على المقال المشار إليه بقوله: "وكل هذا الباطل بلي من كثرة التردد الممجوج، لكن الجديد الذي أضافه الكاتب هو اللعب بالتاريخ والافتراء على حديث الرسول ﷺ حين حمله على نصر هذه الدسيسة الأجنبية التبشيرية فقال: في نهي الرسول عليه الصلاة والسلام عن التشذق والستقر: "وماذا عساه يكون أسلوب التكلف والتشذق المنهي عنه سوى الذي يمط به المتكلم صوته ويحرك شفاهه بحركات الإعراب، وهذا تطوع لتأييد الافتراء بتزييف التاريخ وتزوير المعاني على الألفاظ - ومصادمة البداهة عجيب غريب"<sup>(3)</sup> أقول: وكان الأعجب من ذلك بالنسبة لي أن يكون صاحب المقال الذي لم يذكر الأفغاني اسمه هو الشيخ عبد القادر المغربي<sup>(4)</sup> فمثل هذا الرجل في علمه وفهمه وإتقانه لم يكن له أن يورط نفسه في مثل هذا الخط. قال الأفغاني "ولا أشك في أن الكاتب يعتقد عكس ما كتب إذ هو على حظ من العلم والفهم، ولكن الذوبان وقابلية التسخير للقوة المحنلة يقينان ذراعاً كلما قامت هي إصبعاً، وأي استجابة أمرع من أن ينتهي الكاتب إلى الحكم الفاسد الآتي حين جلس مجلس القاضي من الإعراب فقال: "على أن في مراعاة قواعد النحو من إلحاق علامات الإعراب بالجميل التي تتألف منها أحاديثنا ومحاوراتنا تقريباً في الوقت وتضييعاً له... وفي عدم مراعاتها توفيراً للوقت وحرصاً عليه"<sup>(5)</sup>

وقد نال الكاتب الذي لم يذكر الأفغاني اسمه وسام "اللجيون دونور" الفرنسي مكافأة له<sup>(6)</sup>. واخترقت هذه المحاولات بعد ذلك حتى تسلّم الكاتب نفسه إدارة المجمع والمجلة فمرر مقالاً فيه غمز للعربية، فاستعظم نشر مثله في مجلة المجمع واضطر الشيخ المغربي أن ينشر ردوداً كتبها بعض

(1) حاضر اللغة العربية: 192.

(2) المرجع السابق: 193 وعنه: مجلة المجمع العلمي العربي 3: 236.

(3) حاضر اللغة العربية 193-194.

(4) عبد القادر بن مصطفى المغربي الطرابلسي 1868-1956 نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق. أصله من تونس وولد

بالاندلس ونشأ في طرابلس الشام ثم استوطن دمشق الأعلام 4: 47.

(5) حاضر اللغة العربية: 194.

(6) المرجع السابق 194.

الكتاب الآخرين رداً على المقال المذكور وكان منهم سعيد الأفغاني<sup>(1)</sup>.

ويبدو أنه حتى ذلك الحين كان هذا الصوت - صوت المغربي - نشازاً في بلاد الشام (سورية) ليس له ثاب ولا ثالث، فقد جُوبه برود صارمة وردة فعل عرّفت الآخرين أنه لا مجال للدخول إلى إفساد اللغة في بلاد الشام مهما كان العنوان براقاً والدعوة مخادعة، وإذا كانت هذه الدعوة قد انتهت في بلاد الشام عند هذا الحد فإنها لن تثبت أن تطل برأسها في مناطق أخرى في ساحل الشام وفي مصر، فبعد ذلك بزمن سيعلو صوت الدكتور إبراهيم أنيس<sup>(2)</sup> في كتابه "من أسرار العربية" ليزعم أن حركات الإعراب لا صلة لها بالمعاني<sup>(3)</sup>، ويدعو إلى استخدام الوقف<sup>(4)</sup>، ويزعم أن هذه العربية هي من صناعة صنّاع الكلام<sup>(5)</sup> (النحاة) وقد ردّ عليه وفند مزاعمه الدكتور مازن المبارك<sup>(6)</sup> في كتابه "تحو وعي لغوي".

على كل فقد اكتفى الأستاذ الأفغاني بعرضه لادعاء صعوبة الإعراب عند هذا الحد، ثم أفصح عن موقفه تجاهها، وكان موقفه موقف المتفائل، فإنه كان يعتقد أن مثل هذه الدعوات لا مستقبل لها، وأن المشكلات المعلن عنها هي مشكلات حقيقية لكن حلولها عديدة بل ناجزة، فمشكلة صعوبة المؤلفات تصدّى لها نفر من المخلصين، وأصبحت كتبهم هي المعول عليها في التعليم العام، ككتاب جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني<sup>(7)</sup> وكتاب الدروس النحوية لحفني ناصف<sup>(8)</sup> ورفاقه. وكان الأفغاني شديد الإعجاب بكتاب حفني ناصف على وجه الخصوص، قال: "مهما يكن فقد أحسن فضلاء بوجود صعوبة واندفعوا يطّون لها؛ فكان لها من ذلك علاج ناجع منطقي هو الذي فعله الأساتذة الأجلاء (حفني ناصف ورفاقه) في مصر بتأليف هذا الموجز المركز السليم لطلاب المدارس الابتدائية. بحيث لا يحتاج غير المختصّ طول عمرة إلى أكثر من الحلقة الأخيرة في النحو والبلاغة وهي نحو مئة وأربعين صفحة من القطع الصغير، وفعل قريباً منهم بعض المؤلفين في الشام قبلهم وبعدهم. هؤلاء انفصلوا عرفوا أن العلاج في تيسير التأليف وتسهيله وحسن عرضه واتباع الأساليب التربوية الحديثة لا في القواعد ذاتها"<sup>(9)</sup>.

<sup>(1)</sup> المرجع السابق: 195.

<sup>(2)</sup> إبراهيم أنيس 1906-1978 لغوي من أهل القاهرة. كان عضواً في مجمع القاهرة اللغوي. انعام الأعلام: 14.

<sup>(3)</sup> من أسرار اللغة: 225.

<sup>(4)</sup> المرجع السابق: 224.

<sup>(5)</sup> المرجع السابق: 183.

<sup>(6)</sup> مازن المبارك ابن عبد القادر ولد في دمشق 1930. درس في كلية الآداب بقسم اللغة العربية بجامعة قطر. وكلية الدراسات

الإسلامية والعربية بادي. انظر معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين: 464.

<sup>(7)</sup> مصطفى بن محمد سيم الغلاييني 1886-1944 نحوي شاعر، أديب. مولده ووفاته بيروت. من أعضاء المجمع العلمي العربي

بدمشق. الأعلام: 7: 244.

<sup>(8)</sup> حفني ناصف 1856-1919. تولى تدريس في الأزهر. الأعلام: 2: 265.

<sup>(9)</sup> حاضر اللغة العربية: 197.



إن دعوات الدخلاء من الخارج والمخدوعين بهم أو المأجورين لهم في الداخل لم تذهب هباءً، بل فعلت فعلها وانتقلت إلى مجال وزارات التربية وجرت محاولات في التيسير والتبسيط كلفت وقتاً ومالاً ثم انكشفت الحجب عن الخدعة "ونجح أرباب الخرافة في شيء واحد هو اهتمام الناس بها، فثار حولها جدل ومعارك قلمية عوّقت الناس زمناً وشغلتهم عمّا ينفعهم وأهتّم عن المضي في الجدد. ولا يخفى قيمة هذا على مكر العدو المتربص البيظ"<sup>(1)</sup> وقد انتهى الأمر بهذه المشاريع المشبوهة إلى أن رفضها المدرسون في مصر وسورية.

لم يعرض الأفغاني لتأريخ الدعوة إلى العامية في ساحل الشام إلا اماماً وفي بعض حواشيه، وكان على ثقة بالمخلصين الذين يتصدّون لهذه الدعوات. ومع ذلك فما زال هناك في ساحل الشام عملاء حقيقيون مأجورون مسخرون إلى يوم الناس هذا يجأرون بدعواهم وينفقون المال - ليس من جيوبهم - ليطبعوا كتباً بالعامية بالحرف اللاتيني وقد رأيت واحداً منها وعانيت معاناة قاهرة في قراءة صفحة منه، ومنذ سنوات سمعت الشاعر سعيد عقل يقول للجمهور في أبو ظبي إنه ينظم قصائده بثلاث لغات هي: العربية والفرنسية واللبنانية، وهو يعني باللبنانية عامية منطقتة التي يعرفها والتي تختلف عن عامية طرابلس وصيدا والبقاع!!!

ووضع هذه الفئة الآن أقل بكثير مما كانت عليه أيام كتب المرحوم الأفغاني كتابه (1961) وكان اجتزأ بتعليق موجز عن المشكلة في ساحل الشام: "أما في ساحل الشام فليس في الأمر انخداع، إن الذين تعرضوا لعباب اللغة العربية ونصبوا أنفسهم مصلحين ليا مخادعون سخرهم الأجنبي في عداوة اللغة والكيد لها، ومهدوا لهم منابر التدريس في كلياتهم وإرسالياتهم التبشيرية التعليمية، وأمدهم بنفقات النشر والمكافآت، بقطر الكره والحقد والتشفي من أعلامهم على الأسطر حيناً وبين السطور أحياناً، فلنتركهم لما بهم، يغتلبم غيظهم بطيئاً، فالطبيعة ماضية لطبيعتها، غير عابئة بضغن ذوي الأهواء الذين لا يشفيهم إلا أن تنقلب الأمة العربية الواحدة شعوباً بسبعين لغة، كلين غير لغة القرآن، وهيئات..."<sup>(2)</sup>

هذا عرض لجانب هام من جيود الأستاذ الأفغاني في خدمة العربية والتأريخ ليا، وقد أثرت أن أعرض لدفاعه عن العربية ضد دعاة العامية وكتابة العربية بالحرف اللاتيني ودعاة إلغاء الإعراب... ومن لف لفهم وانتيج سيليم، لأنهم على الرغم من هزيمتهم المحققة أمام تطور الحياة ونمو التعليم لا يزالون يطؤون برؤوسهم في كل مناسبة تسنج ليطعنوا في العربية بحجة العلم تارة وبججة المصطلحات تارة أخرى وبما يتراءى لهم. والمشكلة ليست في العملاء المسخريين، فيؤلاؤ يكشف أمرهم سابقاً أو لاحقاً، وإنما المشكلة في أولئك المغرر بهم الذين يتبرعون بالجدل والمناقشة ليكونوا خدماً بالمجان لأغراض استعمارية هدامة.

(1) المرجع السابق: 198.

(2) حاضرة اللغة العربية: 198.

رحم الله أستاذنا الأفغاني الذي لم يأل جهداً في خدمة العربية وتاريخ العرب، وفي تعليم نحو اللغة وصرفها وأدبها طوال حياته في الشام ثم في بلاد عربية أخرى.



### مراجع البحث

- 1- أباطيل وأسما: محمود محمد شاكر. ط2 - مط المنني. القاهرة 1972.
- 2- إتمام الأعلام: د. نزار أباطة - محمد رياض المالح. دار صادر. بيروت 1999.
- 3- الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت 1979.
- 4- بلوتولاند: لويس عوض. مط الكرنك بالفجالة - 1947.
- 5- تاريخ الدعوة إلى العامية وأثارها في مصر. د. نفوسة زكريا سعيد. الإسكندرية 1964.
- 6- تاريخ الدعوة العلية العثمانية. محمد فريد بك المحامي. دار الجيل. بيروت 1977.
- 7- التبشير والاستعمار في البلاد العربية: د. مصطفى الخالدي. د. عمر فروخ ط2. المكتبة العصرية - صيدا 1957.
- 8- حاضِر اللغة العربية في الشام. سعيد الأفغاني. معهد الدراسات العربية العالمية القاهرة 1961.
- 9- حياة اللغات وموتها؛ اللغة العامية. الخوري مارون غصن. المطبعة الكاثوليكية. بيروت 1925.
- 10- ذيل الأعلام: أحمد العلونة. دار المنارة - جدة - 1998.
- 11- فيرس مجلة المجمع العلمي العربي. ج1. وضع عمر رضا كحالة. مطبوعات المجمع دمشق 1956.
- 12- معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين. عبد القادر عياش. دار الفكر - دمشق 1985.
- 13- من أسرار اللغة. د. إبراهيم أنيس. ط3 مكتبة الأنجلو - القاهرة 1966.



## سعيد الأفغاني عالماً وإنساناً

(1327 - 1417هـ) - (1909 - 1997م)

جمانة طه

**سعيد** الأفغاني حامل لواء العربية وأستاذ أساتذتها، هو عنوان كتاب من تأليف د. مازن المبارك، جاء في سلسلة علماء ومفكرون معاصرون (19)، من إصدار دار القلم بدمشق عام 2002م.

يوثق الكتاب مسيرة الأستاذ الأفغاني علمياً وإنسانياً في فصلين يندرج تحتهما عدد من العناوين المختلفة، وخاتمة وملحق وثائق مصورة.

ولد سعيد الأفغاني عام 1909 من أم شامية وأب من كشمير التي كانت تابعة للأفغان في ذلك العهد، ومن هنا اكتسب هذا العلم لقبه (الأفغاني).

ويشير الكتاب، إلى أنه نشأ في أحياء البزورية والنوفرة والقيصرية والعمارة المحيطة بالجامع الأموي، لذا تفتحت عيونه على ما كان يشاهد في الجامع الأموي من دروس لا تتقطع.

ومن خلال هذه الدروس تتلمذ على الشيخ أحمد النويلاتي الذي بدوره تتلمذ على الشيخ طاهر الجزائري الذي كان يدعو إلى محاربة الفساد في جميع أشكاله ومراضه.

وقد أفاد الأفغاني من الشيخ النويلاتي فوائد لا تقدر في علوم الدين واللغة وتأثر بدعوته الأخلاقية الإصلاحية.

أما مسيرته العلمية، كما وردت في الكتاب، فقد بدأها في مدرسة الإسعاف الخيري، هذه البداية التي يذكرها الأفغاني في كتابه (حاضر اللغة العربية في بلاد الشام)، فيقول: "كنت طفلاً في السابعة من عمري في مدرسة الأمينية والإسعاف الخيري، أخرج العبد التركي. فأذكر أن المدير وبعض المدرسين يلتزمون الفصحى دأباً في حوارهم معنا، وفي إلقاء الدروس وفي التنبهات العامة حين يجتمعون الطلاب صباحاً وقبل الانصراف مساءً. وحين يقرأ التفقد صباحاً كان المقروء اسمه يجيب

بـ (البيك)، وحين يجيب الداخلون حديثاً في المدرسة بما ألفوا في مدارس الحكومة وهي كلمة (أفندم) يصرخ بهم المدير، وينظر إليهم الطلاب شزراً كأنهم كفروا بالله، فسرعان ما يستدركون بـ (لبيك) وتمر العاصفة. ص16

أتم دراسته الابتدائية في مدرسة التطبيقات، وتابع دراسته الإعدادية والثانوية في مكتب عنبر. ثم التحق بمدرسة الآداب العليا في الجامعة السورية، وكان مديرها الأستاذ شفيق جبري، ومن أساتذتها الأستاذ سليم الجندي والشيخ عبد القادر المبارك.

وبعد تخرجه عين الأستاذ الأفغاني أستاذاً مساعداً في كلية الآداب. وفي عام 1946م أوفد إلى جامعة فؤاد الأول في القاهرة للتحضير لدرجة الدكتوراه، لكنه لم يتابع الدراسة مفضلاً العودة إلى دمشق ومتابعة تدريس اللغة العربية في كلية الآداب.

امتد نشاطه التدريسي إلى بعض الجامعات العربية، مثل الجامعة اللبنانية في بيروت والجامعة الليبية في بنغازي، وجامعة الملك سعود في الرياض وبقي يدرس فيها إلى أن بلغ الخامسة والسبعين من عمره.

وقد أوفدته وزارة المعارف في سورية إلى مصر وليبيا والجزائر والمغرب للاطلاع على طرق تدريس اللغة العربية في جامعاتها، وإلى إسبانيا وفرنسا وإنجلترا لزيارة معاهد الاستشراق فيها. فسي عام 1970م انتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي عام 1990م، انتخب عضواً عاملاً.

كان الأستاذ الأفغاني جم النشاط العلمي محاضراً وباحثاً وكاتباً مفاةً ومولفاً ومحققاً، ألف في اللغة والنحو: حاضر اللغة العربية في تلاء الشام، نظرات في اللغة عن ابن حزم، مذكرات في قواعد اللغة العربية، في أصول النحو، الموجز في قواعد اللغة العربية. وشواهدنا، من تاريخ النحو. وفي موضوعات أخرى ألف: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ابن حزم الأندلسي، الإسلام والمرأة، عائشة والسياسة.

ولـه في التحقيق كتب عديدة نذكر منها: المفاضلة بين الصحابة لابن حزم، تاريخ داريا لعبد الجبار الخولانسي، الإعراب في جدل الإعراب لابن الأنباري، حجة القراءات لابن زنجلة، ملخص إبطال القياس لابن حزم.

\*\*\*

اتصف الأفغاني بالأنفة والكبرياء، وبكرهه للمحاباة والنفاق. لم تفتته يوماً سلطة قوي، ولم بأسره مظهر أو منصب. كان نبياً مع أصدقائه وفياليم، يخشى الله ولا يخشى الأذى من الناس. وفي كتاب عائشة والسياسة، يصف الأفغاني نفسه، فيقول: "في طبعي هيام بالحرية والصراحة، وكثيراً ما أنكب الطريق الأسلم في سبيل الجبر بما أرى أنه الحق في العقائد والأشخاص متحملاً بصبر وطمانينة ما أجر على نفسي من عناء وعداء. وهذا بلاء حتم لا مفر منه لمن خلق حراً

صريحاً، ولو حاول غير ذلك ما استطاع.

\*\*\*

يعدد الدكتور مازن المبارك في كتابه الكتب التي ألفها الأفغاني أو حققها، وتوقف عند كل واحد منها. فلو أخذنا منها كتاب (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام) لرأينا أنه يضم مقدمة وثلاثة أبواب. يتحدث في المقدمة عن معارض الشام في عصره ويمهد للكلام على الأسواق ثم ينقل القارئ إلى جو تلك الأسواق. وفي الأبواب فصل الحديث عن التجارة عند العرب، وبيوع الجاهلية وموقف الإسلام من هذه البيوع. ثم تحدث عن قریش وما عرف به القرشيون من مهارة في التجارة، وما عرفوه في حياتهم من أسفار واختلاط بأقوام آخرين.

وقد تحدث عن أسواق العرب في الجاهلية، ثم في الإسلام. وأشار بتفصيل إلى البصرة وسوق المربد، وما فيه من عادات وأشعار ومنافرات.

وفي (كتاب عائشة والسياسة) الذي يضم مقدمة وستة أبواب وخاتمة، يُعرف الأفغاني بالسيدة عائشة منذ ولدت إلى بداية خلافة عثمان. ويبحث في العصر الذي عاشت فيه والذي شهد أعنف نشاط سياسي شديده الجماعة الإسلامية.

ثم يتناول موضوع المرأة والسياسة ويخلص إلى القول بأن المرأة لا تصلح للسياسة، وعدّ مشاركتها فيها مشاركة ذميمة، لأنّ "من شأن السياسة المزالق الخفية الخطرة، فهي على المرأة حرام صيانة للمجتمع من التخبط وسوء المنقلب".

ويتوقف عند أبطال الفتنة الحقيقيين ونصيب السيدة عائشة منها، ويرى أنها مؤامرة واسعة كان وراءها عبد الله بن سبأ. وأفرّد الباب الخامس من الكتاب للحديث عن حياتها بعد حرب الجمل، مبيناً ندمها واستغفارها وانقطاعها إلى العبادة والصدقة ونشر العلم.

أما كتاب (في أصول النحو)، فيضم محاضرات كان الأستاذ قد ألقاها على طلابه في قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، تناول فيها موضوعات الاحتجاج والقياس والاستقاق والخلاف. ففي موضوع الاحتجاج أفاض الأفغاني في الحديث عن الاحتجاج بجميع القراءات القرآنية، وبين مواقف النحاة من القراءات الشاذة، وحمل على من عدّ الشذوذ في القراءة شذوذاً في العربية.

وحول القياس ذكر المؤلف نبذة من تاريخ هذا العلم، وتحدث عن أبرز القياسيين من النحاة، من أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني.

أما الاستقاق فعرفه وعدد أنواعه وذكر بعض ما يتعلق به من أحكام، ودعا إلى إعادة النظر في باب الاستقاق للإفادة مما تتصف به العربية من مرانة وطواعية.

وفي موضوع الخلاف تحدث عن مدرستي البصرة والكوفة، وتناول نشأة الخلاف بين الكسائي والأصمعي، وأشار إلى أن رجال البصرة كانوا أكثر علماً في هذا المجال من رجال الكوفة. وتحدث عن أثر العصبية في الخلاف وانتهى إلى أن السياسة ليست عاملاً في تكوين النحو الكوفي، وأن

صورة الخلاف بين الكوفيين والبصريين وحدة التدافع بين مدرستيهما مبالغ فيها. ودعا الأفغاني رجال العلم والنحاة إلى تجنب المآخذ التي أخذت على القدماء ليستطيعوا إعادة بناء القواعد العربية. وقد أعيد طبع هذا الكتاب مراراً لفائدته الكبيرة لدارسي اللغة والأدب.

\*\*\*

ومن الكتب المحققة، كتاب (تاريخ داريا) للقاضي عبد الجبار الخولاني. فداريا التي تبعد عن دمشق نحو ثمانية كيلو مترات جنوباً، كانت حاضرة علم وأدب وكانت وفقاً لعامة فقراء دمشق توزع عليهم غلاتها.

ويضم الكتاب سبعة وأربعين ترجمة موجزة نادرة لمن نزل بداريا من أصحاب رسول الله (ص) والتابعين وتابعي التابعين، وأهل العلم على طبقاتهم وأزمانهم.

وإذا كان القاضي الخولاني لم يرتب التراجم على حروف المعجم، فقد استدرك المحقق الأفغاني هذا النقص وأثبت في آخر الكتاب مسرداً بأعلام الناس والأماكن والكتب والأيام مرتباً على الحروف.

هذا غيض من فيض العلم الذي تركه لنا الأستاذ الأفغاني، غير ناسين المقالات التي كتبها وأغنى بها المكتبة العربية والباحثين ونشر معظمها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ومجلة النمنن الإسلامي ومجلة دعوة الحق. وأشير في هذا السياق إلى أن كتب الأستاذ الأفغاني غير مستوفزة في المكتبات لنفاد طبعاتها القديمة، ونتطلع إلى يوم تتبنى فيه إحدى الجهات الثقافية مشروع إعادة طبع هذه الكتب القيمة التي هي حاجة ضرورية للأجيال على مر العصور.

هذا هو أستاذ الأساتيد الذي قضى عمره في خدمة اللغة العربية وتخرجت علي يديه عشرات الأجيال. هذا هو الأستاذ سعيد الأفغاني الذي أمضى حياته منافحاً عن الحق ملتزماً به وداعياً إلى كلمة سواء.

وهذا هو التوفاء الذي دفع الدكتور مازن المبارك إلى تأليف هذا الكتاب عن أستاذه، موثقاً معلوماته بصور ورسائل ومصدقات رسمية.

رحم الله أستاذنا الأفغاني، وحفظ الله أستاذنا المبارك.

□□□



الغلط، كأن الدعوة كانت إلى استبدال الأدنى بالذي هو خير، ظناً أنهم يتفاحسون... إلخ ما هنالك.

\*\*\*

ليست كلمتي اليوم في شيء من هذا، بل في زلة سها فيها رواة قداماء فضلاء حين أثبتوا في تأليفهم لكاتب النصوص الأدبية المختارة، أخطاء، نقلها خالف عن سالف، صارت هي التي نأخذ تلامذتنا باستظهارها على خطئها، ونبه بعضهم إلى خطئها فأخذته العزة بالإثم فافتعل تعليقات صناعية لا أساس صحيحاً لها، ولو اعترف بخطئه وبادر إلى التصحيح كان أفضل، اعترافاً بالحق وحماية للغة من الإفساد.

تلك التي في أكثر طباعات ديوان امرئ القيس، حيث ضبطت مطلعها بالفاء وهو خطأ فاضح:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل

وجمهرة المشتغلين بالأدب حتى اليوم يروونها بالفاء خطأ: (بين الدخول فحومل) التي لقنونا [ياها] في الحداثة كما في أكثر النسخ المطبوعة منذ حياة الشيخين الإمام الشنقيطي والزوزني، أول من عني بطبع شروح المعلقات فيما أعلم. والظاهر أن ما أمّن به الاقتصاديون اليوم، أن (البضاعة الرديئة تطرد من الأسواق البضاعة الجيدة) ليس قاصراً على الاقتصاد، بل تسرب إلى ميادين شتى. ومسألتنا اليوم من أشهرها عند أهل اللغة.

\*\*\*

معروف عن الأصمعي رحمه الله أنه يتحري في السماع، ولا يعتمد من الروايات إلا ما خلص عنده من الشوائب، ووثق بضبط روايه وعدائته. وهنا نراه مستمسكاً بعلمه وملكته في العربية؛ فقد ابتدأ أولاً بمحفوظه بشأن (بين)، ما طبيعتها اللغوية؟ ما استعمالاتها المختلفة في كلام العرب؟ فلما لم يظفر بشاهد صحيح عنده عن العرب يشبه ما ورد في رواية الفاء لم يقف عندها قط.

أرجع إلى شروح المعلقات، فأبدأ بشرح المعلقات وأخبار شعرائنا للشنقيطي، فقد جاء فيه:

(... وقوله "بين الدخول فحومل" على رواية الفاء أنكروه الأصمعي، لأنه لا يقال هذا بين زيد فعمرو) وقد صحت الرواية (!) بالفاء وإن كانت رواية الواو أشهر.

قال ابن السكيت: إن رواية الفاء على حذف مضاف، والتقدير (بين أهل الدخول فحومل)

وقال خطاب: إنه على اعتبار التعدد حكماً، والتقدير [بين أماكن الدخول فحومل]، وهما موضعان).

والذين نصرروا هذا القول اصطادوا له علة (مفتعلة) لا أساس لها، فزعموا أن (الدخول) مواضع عدة. ولا بأس بالبدء بنظرة الأصمعي في رد رواية الفاء:



- 1- المعروف المألوف من كلام العرب أن (بين) تفصل بين شئين أو أشياء متجاورة، وهذه المتعاطفات في هذه الأبيات الثلاثة بالفاء بالترتيب المذكور أسماء لأعلام أماكن معروفة.
  - 2- ومعناها نص على الترتيب المتتابع، والمعطوف بالواو نص على وجود مصحوبها في هذا الموضع فقط.
  - 3- والعطف بالواو نص على وجود مصحوبها في هذا الموضع فقط.
- فظهر أن رواية الفاء لا تصح إلا على تأويل المفرد بالجمع. وأزيد: أنه لا بد ليصح هذا الاحتمال الضعيف أن يكون بيدنا مصور يبين أماكن المواضع التي إلى يمين (سقط اللوى) وأخرى إلى شماله، وهو ما لا سبيل إليه. ولأذكر كلمة الأصمعي بحروفها:
- قال الأصمعي<sup>(1)</sup> في كتاب (التصنيف):
- "... تكلم الناس في قوله "بين الدخول وحومل"، ولا يكون (فحومل) لأنك لا تقول (رأيتك بين زيد فعمرو) وهذا سمعه السريدي من الأصمعي، فسألت ابن دريد عن الرواية فحكى ما قال الأصمعي ولم يزد عليه، فسألت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل فقلت: قال الأصمعي: لا يجوز أن يقال: (رأيتك بين زيد فعمرو) وكان ينكر (بين الدخول فحومل)، فأملى عليّ الجواب فقال:
- "إن لكل حرف من حروف العطف معنى، فالواو تجمع بين الشئين نحو (قام زيد وعمرو) فجائز أن يكون كلاهما قاما في حال واحدة، وأن يكون قام الأول بعد الثاني، وبالعكس. والفاء إنما هي دالة على أن الثاني بعد الأول، ولا ميالة بينهما، فقال الأصمعي - وكان ضعيفا في النحو -، غير أنه كان ذا فطنة... انتهى.
- ثم جاء شارح آخر للقوائد العشر (المعلقات) للبريزي فكان ممن اختار رواية الفاء في مطلع قصيدة امرئ القيس:

بقفا نسبك من ذكرى حبيب ومنزل

بمسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومشى على أذيال من قبله فقال:

اعتراض الأصمعي على رواية الفاء يمكن أن يجاب عليه بأن (الدخول) هو عدة مواضع، فسقط<sup>(2)</sup> اللوى هو هذه المواضع، وبذلك حل الإشكال!! وقد ردّ هذا الجواب الذي مر آنفاً ولم يحل إشكالا، ثم جاء شارح آخر فلم يزد شيئا على أنصار رواية الفاء فعلق على هذا الموضع محاولا ما حاولوا فقال:

"مبني الاعتراض على شئين: الأول أن (بين) لا يضاف إلا إلى متعدد، وهذا التعدد إما أن

<sup>(1)</sup> كما خط الأستاذ الأفغاني في مقاله هذا: وهو سبّ منه: والشواهد "العسكري" وذلك في كتابه "شرح ما يقع فيه التصحيف والتعريف" والحصص الشول منه هو في ص 269 (ط المجمع) وقد رجعنا إليه لتقوم النص الذي اختصره الانعالي اختصاراً شديداً - هيئة التحرير.

<sup>(2)</sup> شرح أبيات مغني اللبيب للغدادي ط دمشق 21/4.

يكون بالثنائية، نحو (جلست بين الرجلين) أو بعطف مفرد على مفرد، بحرف يقتضي مصاحبة أولهما لثانيهما أو ثانيهما لأولهما نحو (جلست بين زيد وعمرو).  
الثاني: أن واو العطف قد تقتضي مصاحبة المعطوف للمعطوف عليه وفاء العطف لا تقتضي ذلك.

الجواب عن هذا الاعتراض التأويل في (الدخول) بجعله ... إلخ فبقي الإشكال حيث هو (1).

\*\*\*

ولأذكر بشيء من مكانة الأصمعي وقيمة حفظه وأمانته عند أهل الحديث خاصة، فقد عرف عنه امتناعه عن تفسير ما يتعلق بهما تورعاً فلذلك ضرورة في مثل بحثنا:  
سأل أبو قلابة الأصمعي عن كلمة (سَقَب) في قول رسول الله "الجارُ أحق بسقب جاره" فقال: "أنا لا أفسر حديث رسول الله" ولكن العرب تقول: (السقب: اللصيق).  
وسئل عن قول النبي ﷺ "جاءكم أهل اليمن وهم أبخع نفساً" قال: "يعني أقتل نفساً" ثم أقبل على نفسه كاللائم لها: من أخذني بهذا؟ وما علمي به؟



وكان يتقى أن يفسر القرآن على طريق أهل اللغة.  
وأكثر سماعه عن الأعراب وأهل البادية.. (2)  
وكان المبرّد يقول: كان الأصمعي أمد الشعر والتعريب والمعاني.

أما المحدثون فقد قال التّوزي: كنا عند الأصمعي وعنده قوم قصود من خراسان، وأقاموا على باب، فقال له قائل منهم: "يا أبا سعيد إن خراسان ترجف بعلم البصرة، وعلمك خاصة، وما رأينا أصح من علمك".

فقال الأصمعي: لا عذر لي إن لم يصح علمي، دع من نقيت من العلماء والفقهاء والرواة والمحدثين، لقيت من الشعراء الفصحاء (فعدّهم...) ثم قال: وأولاد الفصحاء وما عرف هؤلاء غير الصواب، فمن أين لا يصح علمي؟ وهل يعرفون أحداً له مثل هذه الرواية؟ وكان الأصمعي صدوقاً في الحديث. عنده ابن عون وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وغيرهم، وعنده القراءات عن أبي عمرو ابن العلاء وناقع و و إلخ.

وسئل عنه أبو داود فقال: "صدوق" بل مذهبه أن من روى حديثاً فيه لحن فقد كذب لأن الرسول لم يكن يلحن".

ومن قول الشافعي فيه: "ما رأيت في ذلك العسكر أصدق لهجة من الأصمعي" وما عبّر أحد

(1) أخبار الصحريين البصريين ص 59.

(2) مختصر تذهب تاريخ دمشق لابن عساکر 15/210 و 206 ط 1 دار الفكر بدمشق سنة 1988.

عن العرب بأحسن من قعادة والأصمعى. (1)

وأخبر أبو أمية الطرسوسى: سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يتشيان على الأصمعى فى السنة ويروون قولته المشهورة: "من روى لحناً فى حديث فقد كذب" وليس بعد هذا التوثق والتشدد احتياط. وزكى الأصمعى من المحدثين خاصة أكابر.

ولأختم بمجلس قصير كان فى حضرة الرشيد بين الكسائى والأصمعى:

سأل الأصمعى.. إلخ (2)

\*\*\*

وبعد، فقد كان هدف هذا البحث الوصول إلى طمأنينة فى جزئية ضئيلة:

هل قال امرؤ القيس فى مطلع معلقته (بين الذخول وحومل) أو (بين الذخول فحومل) كما يرويه خطأ ناشرو الأخطاء والمتمسرون؟



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم رمدى

(1) مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر. 206/15.

(2) لم يذكر الأستاذ الأفغانى هذا المجلس وكان على نية ذكره

## قراءة في كتاب "من تاريخ النحو" لسعيد الأفغاني

د. أحمد عزوز

### مقدمة

إذا كان العلامة النحوي سعيد الأفغاني يقول في مقدمة كتابه "من تاريخ النحو":  
"إذا وجد المختصون في علم ما فائدة و متعة حين يخلون بأنفسهم إلى تراجم من سبقهم في هذا العلم، فإن متعتهم بتاريخ العلم نفسه أحفل وأعظم"<sup>(1)</sup>، فإنه يمكنني أن أدلي بهذه الشهادة العلمية قبل العرض والتحليل فأقول: إنه مؤلف في أصول النحو العربي، لا غنى عنه للطالب والأستاذ والباحث الذي يود التطرق إلى نشأة هذا العلم و علمائه الأوائل.

وقد كان هذا الكتاب دوماً من المراجع التي أعتد عليها حين أكلف بتدريس النحو ومدارسه ومذاهبه على الرغم من اختصاره لمسيرة العلم، لا لشيء - حسب رأبي - سوى أنه يعطي الأسس الدقيقة لمنطقتي هذه المسيرة الثرة والباركة.

وهو كتاب موجز في موضوعاته، متنوع في جزئياته وعناصره، سيل الأسلوب، واضح الرؤية، آراؤه مدعومة بالحجج والنصوص، فيه تحليل للظواهر التي يستوعبها الذهن، فقد لخص علماً لا يلخص، ومع ذلك فمن يقرأه يفهم تاريخ النحو ومراحل تطوره.

وبعد:

لقد وسم العلامة كتابه بـ "من تاريخ النحو - تاريخ ونصوص -" وطبعته دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت في لبنان سنة 1398هـ / 1978م، ويقع في مائتين وخمس عشرة صفحة.

(1) - سعيد الأفغاني، ص: 3.

تتألف من عدة محاور أساسية:

-الأول: عنوانه "مسرد البحوث، واحتوى على:

-توطئة تاريخية تضمنت بؤادر الحن، ونشأة النحو.

-والمدرستين الأوليين، وهما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، وتطرق إلى الطبقة الأولى من البصريين ثم الثانية منهم، ونشأة الخلاف واحتكاك المدرستين، والفروق بين المذهب البصري والمذهب الكوفي، وأعطى نماذج من هذا الخلاف كما أشار إلى المذهب البغدادي والمدرسة الأندلسية، ثم خاتمة.

-وذكر في المحور الثاني الذي عنوانه "كتيب ونصوص" المصادر التي استقى منها ما يؤرخ للنحو العربي، وهي كثيرة ومتعددة.

وقد أطلق على فهرس الموضوعات "مسرد البحوث" وهو ما يكثف للقارئ أن العمل تطالب منه البحث والتفتيش والتقيب والترويض لتجلية الغموض من المسائل التي عالجه.

### أسباب تأليف الكتاب

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه أن الثناء منصب دوماً حيال من يؤلف كتاباً في حياة وترجمة عالم، فتعريف عائلته، ويتمتع الناس بنضاله، ويتخذ أسوة في تدليل صعاب الدنيا التي يتعرض لها، وكيف يقاوم الحساد والخصوم والجاهلين الذين يسعون إلى تغيير صفو حياته مع من اتخذهم عشيرة وأصدقاء وأقرباء.

وهو يقول: "إن في حياة كل عالم من هذا لتصنيا"<sup>(1)</sup>، لكن سعيد الأفغاني كرس بعضاً من حياته للتأليف في تاريخ العلم، وهو عمل ليس هيناً ولا يسيراً لأنه يتطلب الجهد وطول العمر، ومن ظن أن حياة باحث في تاريخ علم فقد ظن باطلاً"<sup>(2)</sup>، لأن تاريخ العلم لا يقدر عليه عالم واحد أو شخصية بمفردها، وإنما يحتاج إلى تضافر جيود الباحثين والعلماء خلال عصور متعاقبة، وأجيال متتالية، "يسلم كل جيل تراث من قبله ويعمل في دأب وروية لينتقد به قليلاً أو كثيراً"<sup>(3)</sup>.

### أهداف تأليف الكتاب

إن أول سؤال يضطه كسل عازم على تأليف كتاب هو ما الغايات والأهداف التي من أجلها سينسج الليالي ويراجع المصادر والمراجع لتأليف مؤلف، والسؤال نفسه يطرحه من يقرأ هذا الكتاب أو ذلك، ويصرح الباحثون بذلك في أغلب الأحيان في مقدمة ما يكتبون، وهو ما نلمسه لدى سعيد الأفغاني حين سجل: "فماذا يراد من كلمة "مذهب" أو "مدرسة"، حين يقال في علوم اللغة العربية،

(1) -سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو، ص: 3.

(2) -المرجع نفسه، ص: 3.

(3) -المرجع نفسه، ص: 3.

مذهب البصريين أو مدرسة الكوفيين؟" (1).

إنها مصطلحات جديدة بتوضيحها والتفرقة بينها وبخاصة عندما نؤلف في تاريخ العلم. ومن هنا قال: "هذه الصفحات محاولة في وضع الأمور في نصابها حيال ما يسمّى بالمدارس أو المذاهب النحوية من جهة، ووقفه تاريخية فاحصة متروية عند نشأة هذا الفن من جهة أخرى" (2).

إنه يطلق على عمله "المحاولة" وهذا من تواضعه، وهو حكم يدل على اجتهاده في تصحيح بعض ما علق بأذهان القراء الكرام والدارسين، كما يجعل وقفته "فاحصة متروية" وهما صفتان تبرزان عدم تسرعه في إطلاق الأحكام على إسناد نشأة النحو لهذا العالم أو ذلك، أو لهذه المدرسة أو تلك، ولكنه سيعالج المسائل بموضوعية وبما تتطلبه المنهجية العلمية.

وللبرهنة على هذا التاريخ الطويل للنحو العربي يسرد مجموعة من النصوص من مصادر أساسية لعلماء أجلاء يشهد لهم كل من جاء بعدهم بالشموخ والإسهام في بناء صرح مملكة النحو العربي.

## بحوث الكتاب

تعرض في التوطئة التاريخية إلى مكانة اللغة العربية في العصر الجاهلي والإسلامي في نفوس العرب وقلوبهم، واعتبر "اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها" (3).

ويتتبع تطور اللحن منذ ظهوره على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حين لحن رجل بحضرته فقال: "أرشدوا أحاكم فإنه قد ضلّ مزوراً أبعيد صحابة الرسول الكريم ثم الخلفاء الأمويين. وقد وضع الكاتب الخارطة اللغوية للاحتجاج بالكلام العربي فعّد القبائل التي يستشيد بلغتها، وكذلك الزمان الذي ينبغي عدم تجاوزه في الاستشهاد، ويقرّر: "أن إحداث اللحن حمل القوم على الاجتهاد لحفظ العربية وتيسير تعلمها للأعاجم، فشرعوا يتكلمون في الإعراب وقواعده حتى تمّ لهم مع الزمن هذا الفن" (4).

ويرى أيضاً أن المصادر تجمع على أن النحو نشأ بالبصرة، وبها نما واتسع وتكامل، وتلّسف، وأن رؤوسه بنزعتيه السماعية والقياسية كليهما بصريون" (5).

وهو لا يخالف من عدّ أبا الأسود الدؤلي (ت 67هـ) واضعاً للنحو العربي بدليل أنه يقول: "ومن يقرأ بامعان ترجمة أبي الأسود الدؤلي في (تاريخ دمشق لابن عساكر) مثلاً، ثم يفكر في

(1) - المرجع نفسه، ص 3.

(2) - المرجع نفسه، ص 4.

(3) - سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص 8.

(4) - المرجع نفسه، ص 26.

(5) - المرجع نفسه، ص 27.

توارد أكثر المصادر على جعله واضع الأساس في بناء النحو لا يستبعد ذلك، فالرجل ذو ذكاء نادر، وجواب حاضر، وبديهة نيرة، ثم هو بعد بليغ أريب، مرن الذهن، وحسبك اختراعه الذي عرف بنقط أبي الأسود للدلالة على الرفع والنصب والجر والتوين، وهو ما أجمعوا عليه قديماً ولم يشك فيه حديثاً أحد" (1).

ثم يضع المؤلف عنواناً فرعياً كالآتي: المدرستان الأوليان: وهما البصرة والكوفة، فيشير إلى الطبقة الأولى من البصريين، ومنهم عنبة الفيل، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وكذلك إلى الطبقة الثانية ومنهم أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

أما الطبقة الثالثة فمنها الخليل، وأبو زيد الأنصاري، وسيبويه، وأبو جعفر الرؤاسي الذي صار إمام الكوفيين، وخلفه تلميذاه الكسائي والفراء.

وتأسست المدرسة الكوفية على ما تعلمه العلماء عن البصريين مثل أبي جعفر الرؤاسي.

وقد نشأ خلاف بين المدرستين فكان علمياً في بدايته، وكما يقول سعيد الأفغاني: "ولم تدخل الدنيا بين المشهورين من رجال هذه الطبقة، فالخليل والرؤاسي مثلاً كلاهما صالح عفيف، ومتى خلت المناقشات العلمية مما يؤرثها من حوافز المادة أو الجاه، بقيت هادئة جميلة صافية" (2)، ولكن تغيرت الأمور بعدما قرب العباسيون الكوفيين، "فوقفوا بالمرصاد للبصريين الذين يفوقونهم علماً" (3).

ويحصر الكاتب الفروق بين المذهبين البصري والكوفي في أمرين مهمين وهما: السماع الذي عرفت به الكوفة، والقياس الذي اشتهرت به البصرة، ويعلل كل ذلك بالأمثلة والشواهد. وقد قال يحيى بن المبارك اليزيدي وهو بصري:

كسناً نقيس النحو فيما مضى  
على لسان العسرب الأول  
فجاءنا قوم يقيسونه  
على لغى أشياخ قطربل  
فكأنهم يعمل في نقض ما  
به يصاب الحق لا يأتلي  
إن الكسائي وأشياعه  
يرقون بالنحو إلى أسفل (4).

ويدلي العلامة برأي طريف في المذهبين حيث يقول: "وبهذا لا يكون من الدقة في رأيي - إطلاق النزعة السماعية على المذهب الكوفي، والنزعة القياسية على المذهب البصري. والدقة التي يؤيدها التاريخ والإمعان فيه وفي أقوال الكوفيين والبصريين ألا يكون مذهب بصري يقابله مذهب كوفي، بل نزعة قياسية. ويختلف حظ كل منها صحة وحالاً ومقداراً بين البلدين، بل بين نحاة كل بلد

(1) - المرجع نفسه، ص 27-28.

(2) - المرجع نفسه، ص 45.

(3) - المرجع نفسه، ص 46.

(4) - المرجع نفسه، ص 72.

على حدة. على ذلك الأساس يصح أن نعيد النظر في النحو وتاريخه ورجاله، بهذا التصنيف الجديد، بعدما علمنا أن النزعتين تتمثلان على حقيهما بالبصرة لا بالكوفة" (1).

وختم ما سبق برصد بعض المسائل الخلافية بين المدرستين.

كما أعطى ملامح المدرسة البغدادية والأندلسية وذكر بعض أعلامها ومؤسسيهما.

أما في خاتمة هذا المحور فيرى الباحث "بعد التقصي أنه قد تضمّ البلدة الواحدة نحاة من منازع مختلفة، يطغى عليها أحياناً مذهب أهل البصرة، وأحياناً مذهب الكوفة تبعاً لنزعة العالم ذي الأثر فيها" (2).

وقد كان المحور الثاني موسوماً بـ "كتب ونصوص"، فاعتمد فيه على ستة علماء وهم سيبويه وابن جنبي والزمخشري وابن الأنباري وابن مالك وابن هشام، وكان يسجل حياة العالم ومؤلفه وطبعاته وموضوعاته، ثم يأخذ منه نصاً أو نصين، ويضع له شرحاً بسيطاً في الهامش أو تعليقا.

### \*مكتبة العلامة النحوي سعيد الأفغاني\*

نقصد بالمكتبة في هذا المقام المصادر والمراجع التي كانت المنهل الذي استقى الكاتب منه معارفه وأفكاره، وقد وجدناها غنية وثرية، وتظهر جلية في التوثيق واليوامش التي جاءت شارحة لكثير من القضايا الواردة في المتن، ويذكر منها: القرآن الكريم - الكتاب لسيبويه - البيان والتبيين للجاحظ - الخصائص لابن جني - الصحابي في فقه اللغة ولسان العرب في كلامها لأحمد بن فارس - عيون الأخبار لابن قتيبة - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - المزهرة والافتراح للسيوطي - الأضداد لابن الأنباري - تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر - التفسير لابن النديم، بالإضافة إلى بعض المراجع الحديثة والمجلات المتخصصة مثل مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وغيرها من مصادر اللغة والنحو والتفاسير والموسوعات الأدبية التي تنمّ على ثقافة الكاتب وسعة اطلاعه، وهي ثقافة أصيلة تراثية عريقة ممتدة الجذور في فكر الحضارة العربية الإسلامية ونهضتها وبنائها، ويفهم منها أنه متابع لما ينشر في واقعه، سواء في الكتب أو المجلات، ومؤمن بالحدائث التي لا تؤدي إلى انسلاخ عن هذا التراث، بل تغنيه لتتقوى، وتثريه ليتطلع به المرء إلى مستقبل أفضل مما هو عليه.

ولا غرابة في ذلك، فقد كان هذا دأب علماء الأمة الأجلاء، الذين خدموها وضحووا من أجلها، فما ثاروا على قديمهم ورموه خلف ظهورهم، ولا غابوا جديد حياتهم وانطوا على أنفسهم، بل مزجوا بين هذا وذاك، فكانت حياتهم سوية مترنة معتدلة تسير برجلين قويتين: تراث كنز من ذهب، وحدائث تصنع منه العجب.

(1) - المرجع نفسه، ص: 76.

(2) - المرجع نفسه، ص: 108.





## من ذكرياتي من العلامة سعيد الأفغاني<sup>(1)</sup>

محمود الأرنؤوط

(1)

### مقدمة:

في مطلع عام 1402هـ - 1982م كان لقائي العلمي الأول بالعلامة سعيد الأفغاني رحمه الله، عقب انتهائي من العمل في تحقيق كتاب "إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين" للإمام محمد بن طولون الدمشقي بطبعته الأولى المحققة<sup>(2)</sup> وبإشارة من والدي وأستاذي الشيخ عبد القادر الأرنؤوط حفظه الله بعرض مقدمتي المطولة التي كتبتها للكتاب آنذاك عليه، بحكم خبرته الطويلة في شؤون البحث والتأليف، فقد كان عميداً لكلية الآداب بجامعة دمشق ورئيساً لقسم اللغة العربية في الكلية المذكورة سنوات عديدة، وأسهم بتخريج عدد كبير من الباحثين والأدباء على مدى سنوات طويلة.

وحين دخلت داره في حي المهاجرين على سفح جبل قاسيون بدمشق وجلست إليه، بعد السلام والتحية، شعرت أنني أمام رجل كبير من طراز نادر، فقد سحرني للوهلة الأولى بعنف شخصيته وبريق

<sup>(1)</sup> - هذه ليست المرة الأولى التي أكتب فيها عن العلامة سعيد الأفغاني، فقد سبق لي نشر مقالة موحدة عنه في العدد (394) من صحيفة الأسبوع الأدبي التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ثم كتبت ترجمة مختصرة له في الصفحات (206 - 208) من كتابي "إعلام التراث في العصر الحديث" الصادر عن مكتبة دار العروبة بالكويت عام 2001م. وهذه الذكريات لا تشمل سوى نزر يسير مما سيحتوي عليه كتابي القادم "أنا والتراث".

<sup>(2)</sup> - الصادرة عن مؤسسة الرسالة ببيروت سنة (1403هـ - 1983م) ثم أعادت إصداره مرة ثانية في منتصف عام 1407هـ - 1987م، ونصّره تقسيم قيم تفصل بكتابه أستاذنا الخليل الدكتور مازن اساركا، حرّاه الله تعالى حياً، ترويضاً عند رغبتي، وكان الكتاب قد صدر بطبعته الأولى غير المحققة عن مكتبة القامسي والدير بدمشق سنة 1348هـ - 1929م. فكانت الطبعة فضّل التعريف بقيمة الكتاب أولاً.

عينيه، وبادرني بالسؤال عن صحة والدي وآخر أعماله العلمية، وكان والدي محلّ تقديره العظيم، ثم سألتني عن سبب قدومي لزيارته، فأخرجت كتاب "إعلام السائلين" من الحقيبة التي كنت أحملها وعرضته عليه، وبيّنت له أن والدي أشار عليّ بعرض مقدمتي للكتاب عليه، فأخذ يقلّب صفحات الكتاب صفحة صفحة ويهز رأسه مع كل صفحة ينظر فيها، ثم نظر إليّ وقال: سلّم على أبيك وبلغه شكري على ثقته الغالية بي، وحدد لي موعداً لزيارة ثانية أتسلّم فيها الكتاب بعد أن ينظر في مقدمتي له، وفي الموعد المحدد كنت بين يديه مرة أخرى، وبادرني بالترحاب والثناء والإشادة بما قمت به من تحقيق للكتاب وتقديم له، وأذكر أنه قال لي مبتسماً: فرخ البط عوأم يا عمي، وأشار عليّ ببعض الملاحظات السانعة فشكرته عليها شكراً جزيلاً، وقدم لي نسخة من كتاب "الإجابة لما استركنه عائشة على الصحابة" للزرکشي من تحقيقه لأحملة هدية لوالدي، وقال لي: أبلغ والدك مني السلام وانقل له رغبتني بأن ينظر في أحاديث الكتاب وأن يُخرّجها تخریجاً مفصلاً إن أمكن، فحملت الكتاب وكتابي وانطلقت إلى والدي على عجل، وحين دخلت الدار بادرني مستقراً، وقال لي: أخبرني ما وراءك؟ فأجبته بقولي: الذي يسرك يا سيدي، وحدثته عما كلمني به العلامة الأفغاني وعما قاله لي بشأن كتاب "الإجابة" فردّ عليّ بقوله: الأفغاني عالم كبير وأستاذ جليل، ورغبته في أن أنظر بأحاديث كتابه تشريف لي يا بني، فالرجل في مقام شيوخي وإن لم يكن شيخي، ولم أنقطع بعد ذلك عن زيارة الأفغاني بين الفينة والأخرى إلى آخر حياته رحمه الله، وكان يتفضل عليّ بزيارة مكنتي<sup>(1)</sup> كلما سنحت له الفرصة. وكنت كلما زرتّه وحاوّرته وجدته لديه شيئاً جديداً واكتشفت سعة دائرته وبُعد غوره وإحاطته بأمر كثيرة تخص تاريخ سورية الحديث بجميع جوانبه، وسأرد فيما يلي بعض ما سألته عنه وأجابني عليه كشواهد على ما ذكرت، وبعض المطباعات عنه على مدى سنوات طويلة.

(2)

### الأفغاني ومحمد كرد علي

وفي يوم من الأيام زرت الأستاذ الأفغاني في داره مساءً، فرحب بي ترحيباً عظيماً وراح يعبر عن سعادته بزيارتي - وهو الصعب المراس في نظر الكثيرين - وأخذ يتحدث عن نشر النصوص ومهنة الوراقسة وأن الكثير ممن يعملون في هذين المضمارين قد أصبحوا من الأخلاء، وأن أخلاقية المهنة لدى الطرفين قد بدأت تتلاشى إلا عند من رحم الله، فما كان مني إلا أن حولت الحديث إلى أمر ييمني لأكسب الوقت، ولكي لا أطيل الزيارة لعلمي أنه لا يحب السير إلى وقت متأخر، فقلت له: يا أستاذنا الجليل: لقد اقترن اسمكم في أذهان الكثيرين بكتابكم "أسواق العرب" فيلما حدثتموني عن غايتكم من تأليفه وعن تاريخ صدور طبعته الأولى؟ فأجابني بقوله: لقد كانت غايتي من تأليف الكتاب إعادة جزء من أجواء تاريخنا الغابر إلى أذهان علمائنا ومثقفينا وناشئنا في ذلك الحين، لما كانت تمثله تلك

(1) - أفتقد مكتب ابن عساكر لتحقين وتصحيح كتب التراث الذي أسسته في بناء برج دمشق بداية عام 1991 وأغلقت مع نهاية عام 1995.

الأسواق من أجواء يختلط فيها الجد بالهزل، وتغتتم الفرصة من قبل الأدياء والشعراء لعرض إبداعاتهم كعرض التجار بضائعهم، ولما كان يسببه ذلك من سرور وحبور، ناهيك عما يمثله الكتاب من جانب تاريخي ثقافي للحقب التاريخية التي ورد فيه الحديث عن أسواقها، وبالمناسبة فهناك حادثة جرت لي تخص كتاب "أسواق العرب" يحسن بي ذكرها لك، فقد زرت مرة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي وبيدي تجربة الطبع الأخيرة للكتاب وكنت قد تسلّمتها للتو من إدارة المطبعة الهاشمية، وكانت في آخر سوق الحميدية والمجمع العلمي قريب منها آنذاك، فسألني الأستاذ كرد علي عما أحمله بيدي، فقلت له: تجربة الطبع الأخيرة لكتابي "أسواق العرب" فقال لي: أرنيه، فناولته إياه، فأخذ يقلبه وينظر في بعض ما كتبه بأماكن متفرقة، ثم التفت إلي وقال لي: ما رأيك لو كتبت مقدمة لكتابك هذا؟ فأجيبته على الفور: الكتاب يقدم نفسه بنفسه<sup>(1)</sup>، وكان ذلك عام 1936م<sup>(2)</sup>.

(3)

### الأفغانى والزركلى

لقد ربطت الأفغانى علاقة طيبة بالعلامة الشاعر المؤرخ خير الدين الزركلى صاحب كتاب "الأعلام" الذي انتشر ذكره على كل شفة ولسان<sup>(3)</sup>، وكانا يلتقيان - غالباً - على هامش اجتماعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد كانا من أعضائه، وكانت أحاديثهما غالباً ما تدور عن كتاب "الأعلام" وما يتصل به، وكان الزركلى - على جلالته قدره وبعد شهرته - يحرص على سماع رأي الأفغانى في كتابه، وكثيراً ما كان يسأله عن بعض الأعلام الذين يود الكتابة عنهم فيجيبه الأفغانى بما لديه، وقد ذكر لي الأفغانى يوماً أنه رأى الأستاذ خير الدين الزركلى، في بنو الفندق الذي كان ينزل فيه أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة من البلدان العربية، وإلى جواره الأمير مصطفى الشهابى، وكانا يتبادلان الحديث، فجلس إلى جوار الأستاذ الزركلى بعد السلام عليهما، فرأى الأمير مصطفى الشهابى يشير إلى هامش صفحة من الطبعة الثالثة من كتاب "الأعلام" كانت بيد الأستاذ الزركلى يطلع عليها الأمير الشهابى وكان الزركلى قد ذكر كعادته أنه استفاد من الأمير مصطفى الشهابى في تدوين تلك الترجمة، فقال له الزركلى ما تقصد من الإشارة إلى مكان ذكر اسمك في هامش الصفحة؟ فقال الأمير مصطفى الشهابى: أرجو أن تكتب العلامة الأمير... فرداً عليه الزركلى

(1) - وكان الأفغانى دون الثلاثين من عمره. انظر كتابي "الأعلام التراث في العصر الحديث" ص (207).

(2) - وكنت قد كتبت في مقالتي عنه صحيفة أسبوع الأولى العدد (660)؛ ولعل ذلك كان من وراء عدم اختيار الأفغانى عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق يومئذ.

(3) - وفاء أفاض الأستاذ الزركلى من "مذكرات الأفغانى" التي تحدث فيها عن بعض ما رآه من نفاثات المحفوظات في رحلته إلى المغرب والأندلس سنة 1956 وذكرها في قائمة مصادره (18/336).

ولم تقتصر صداقته من آل الزركلى على الأستاذ خير الدين - كانت تربطه علاقة صداقة لا تنفص عنها أحمية ومناة بالشاعر الكبير سليم الزركلى رحمه الله، ورضي أنا صلة طيبة به، وتفضل بالشفعة لكتابي الأول "الكشكول الصغير" الصادر في طبعته الأولى عن مؤسسة الرسالة بيروت عام 1981، ثم عن مكتبة دار العروة بالكويت سنة 1992.

بقوله: أنت أميرٌ ولكن لستَ بعَلامة!

(4)

### الأفغانبيّ البصير بأهل عصره

وفي يوم من الأيام زرت الأفغانبي في بيته برفقة صديقي وزميلي الأستاذ رياض عبد الحميد مراد، وجلسنا إليه طويلاً وسألناه عن عدد كبير من أهل العلم الذين عرفهم من أهل الشام وسواها، فلمسنا منه معرفة عميقة بالرجال وبعد غور في تقييمهم، وحدثنا بأشياء كثيرة تتصل بالتاريخ المعاصر لبلادنا العربية عامة وسورية منها خاصة، وأخذ الواحد منا يلتفت إلى صاحبه ليعبر له عن دهشته لما كان يسمع، وكم ناشدته أن يكتب مذكراته، فكان يقول لي: لا وقت لدي لكتابتها.

وفي يوم من الأيام اغتتمت فرصة زيارة صديقي العزيز العالم الكويتي الدكتور خالد عبد الكريم جمعة لدمشق، فقصدت الأستاذ الأفغانبي بمعينته وجلسنا إليه طويلاً وتحدثنا بأمر مختلف، وطال الحديث، وكان السرور واضحاً على وجه كل منهما، كيف لا وبينهما رباط الاختصاص المشترك، فالدكتور خالد من سدنة العربية بالكويت، والأستاذ الأفغانبي شيخ شيوخها بالشام، وحين خرجنا من زيارته سألت صديقي الدكتور خالد عن رأيه في الأفغانبي، فقال: عالم كبير وأستاذ جليل.

(5)

### الأفغانبي والشيوخ سعيد الكرّمبي

في يوم من الأيام شرفني الأفغانبي بزيارته لي في مكتب ابن عساكر لتحقيق وتصحيح كتب التراث، الذي كنت أدير العمل به، فسعدت بزيارته جداً، وكنت على وشك الانتهاء من تحقيق المجلد العاشر والأخير من كتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن العماد الحنبلي، وكان قد وقع نظري على الكلمة المطوّلة التي نشرها العلامة الشيخ سعيد الكرّمبي<sup>(1)</sup> للتعريف بمخطوطة الكتاب المعتمدة من قلبي في التحقيق حين انضمت إلى محتويات المكتبة الظاهرية، وعلى صفحات المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق<sup>(2)</sup>، وكنت عازماً على إعادة نشرها في صدر ذلك المجلد لقيمتها الكبرى، فاعتتمت فرصة زيارة الأفغانبي لي يوماً وجلست إليه برفقة من كان حاضراً من الأساتذة الذين كانوا يعملون معي في المكتب آنذاك، ورحت أسأله عن الشيخ الكرّمبي وعن رأيه بي، فأشاد به إشادة عظيمة، وأثنى على علمه وفضله، وذكر لي أنه كني بأبي الأشبال لأن أولاده جميعاً طلبوا العلم وأصبحوا من ذوي الشأن فيه<sup>(3)</sup>.

(1) - انظر ترجمته ومصادرهما في كتابي "أعلام التراث في العصر الحديث" ص (58 - 59) طبع مكتبة دار العروة بالكويت.

(2) - وفي الصفحات (65 - 75) منه.

(3) - وقد ذكرت ذلك في حاشيتي على الصفحة (هـ) من مقدمة الجزء العاشر من "شذرات الذهب" الصادر تحقيقتي عن دار ابن

كثير بدمشق وبيروت.

(6)

### الأفغاني والطبعة الأخيرة من أسواق العرب

في يوم من الأيام اقترحت على صديقي الدكتور خالد عبد الكريم جمعة أن يتولى نشر طبعة جديدة من كتاب الأفغاني "أسواق العرب"<sup>(1)</sup> فرحب بالفكرة وقال لي: أفوضك تفويضاً كاملاً بالاتفاق معه حول إخراج طبعة جديدة من الكتاب، فقلت له: فلنكن إذن طبعة منقحة مزيدة، فقال لي: الذي سراه، فقصدت منزل الأستاذ الأفغاني وكلمته بالأمر فسرُّ بذلك وطلب أن أمهله بعض الوقت لحين ينتهي من قراءة الكتاب قراءة تدقيق وتنقيح واستدراك، ثم هاتني بعد شهر من ذلك وقال لي: الكتاب جاهز عندي للطبعة الجديدة ومعه ملحق ومقدمة جديدة مختصرة<sup>(2)</sup>، ثم حضر إلى مكتبي وسلمني الكتاب وتسلم الحقوق المتفق عليها معه، وصدر الكتاب بعد ذلك عن الدار المذكورة بطبعته الرابعة المزيدة المنقحة<sup>(3)</sup>.

(7)

### انطباعاتي عن الأفغاني

كان الأفغاني فاضلاً متديناً مخلصاً للعلم ورسالته، منصفاً لأحبائه وخصومه على السواء، وكان أبعد ما يكون عن المصانعة والتقرب من الآخرين. وكان في البحث والتأليف أفضل حالاً منه في الضبط والتحقيق على كثرة علمه وبعد صيته. وكان على دراية بخفايا أخبار أهل العلم في سورية ومعظم الأقطار العربية، بصيراً بشؤونهم وأحوالهم يتابع الصغيرة والكبيرة من شؤون فن النحو وأربابه، فقد كان في عداد فرسانه الكبار على الساحة العربية<sup>(4)</sup>.

وكان مدرسة قائمة برأسها يعترف بفضلها كل من أتبع نه الأخذ عنه، وقد خالطت شدته رحمة خفيفة تعمّد إخفاءها عن الطلبة لحرصه على بناء أجيال من العلماء المخلصين للعلم الحاملين للأخلاق الحميدة والمنصرفين للعمل على الوجه الصحيح. رحم الله الأفغاني بقدر إحسانه للعلم وطلبته في هذه الدُّيار، وأعلى مقامه في عيُن يوم الدين.

□□□

(1) - في مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع بالكويت التي يملكها.

(2) - وقد أشار الأستاذ الأفغاني إلى ما ذكر في المقدمة المذكورة باختصار.

(3) - وذلك سنة 1416هـ - 1996م.

(4) - انظر كتابي "أعلام التراث في العصر الحديث" ص (207).

## الأفغاني وكتابه حاضر اللغة العربية في بلاد الشام

د. نزار أباطة

**كان** أستاذنا في النحو سعيد الأفغاني أحد أساتذتنا المتميزين في جامعة دمشق أو أواخر ستينيات القرن الفائت. كنا نحسن إزاءه بهالة من الرهبة ممزوجة بالإعجاب والتعجب. وقد تلقينا في دروسه التي كنا نحرض على حضورها توجيهات عرفنا منها أنه كان صاحب رسالة ومبادئ رفيعة رسم من خلالها حياته كلها.

قال لنا في الدروس الأولى: ثلاثة أمور يرتبط بعضها ببعض، لا ينبغي أن يغفل عنها طالب اللغة العربية، وهي القواعد (النحو والصرف) والقرآن الكريم، والتاريخ. وعجبنا يوم ذاك على جيلنا وقلة معرفتنا من حشر التاريخ مع القواعد والقرآن ولكننا أمنا بما قاله الأستاذ، وعرفنا فيما بعد أن الثقافة العربية كل واحد، لا يحسن بأحدنا أن يجيل فرعاً منها إن أراد أن يرتقي في تخصصه.

وكان أستاذنا يعرف تمام المعرفة ما كنا نعانيه من ضعف في مادته، ومن ضعف أدواتنا وقلة خبرتنا فنصح لنا بأمرين اثنين؛ أحدهما أن ننخرط في حلقات العلم بالمساجد ونقرأ في الكتب القديمة ونصبر عليها وثانيهما أن نرجم معلوماتنا بكتب النحو المبسطة، وأشار علينا بكتاب "قواعد اللغة العربية" لحفني ناصف ورفاقه.

وأذكر أنني اشتريت ذلك الكتاب من سوق المسكية بدمشق<sup>(1)</sup> مطبوعاً على ورق رخيص وأفدت منه فائدة جلي؛ فقد راجعت ما كنا تلقيناه عن أساتذتنا، واستركت ما فاتني أو أسأت فهمه آنذاك.

كما أفدت من جلسات العلم عند عدد من جلة الشيوخ، قرأت عليهم في شروح الألفية وسواها،

<sup>(1)</sup> وكان السوق الذي تباع فيه الكتب قبل أن تنشر المكتبات في أرجاء المدينة اليوم وقد أنعمم دكاكبه في مشروع هدم الأسواق حول الجامع الأموي لإظهاره.

مما أمدني بركيزة فيما تلا من أيامي، فرحم الله أستاذنا وجزاه عنا خيراً.

ولم تكن دروس أستاذنا دروساً معقدة، كان يميل إلى البساطة في كل شيء في تبسيط البحوث، وفي لغته وجملته وتعبيره، حتى ليظن الجاهل أنه يتحدث حديثاً عادياً، لا أنه يتكلم الفصحي مع صحة كلامه وخلوه من اللحن بله الهفوات، ولم يكن مع كل هذا ليرفع صوتاً ولا ليجهد حلقاً، بل ينساب كلامه بهدوء بالغ، والطلاب منصتون كأن على رؤوسهم الطير، لا تسمع لهم حساً ولا همساً.

كان يدخل مع بداية الوقت ويخرج مع نهايته، لا تضع لحظة واحدة من درسه في كلام خارج عن الموضوع ولا في حديث شخصي. يدخل ومعه وريقات يحملها دوماً، فيكتب منها على السبورة خطوط البحث العريضة وشواهد، وقد يتطوع بكتابتها أحد طلابه. ثم يبدأ بشرح نقاط الدرس نقطة نقطة تسلمه كل واحدة إلى التي تليها برابط منهجي.. وهكذا حتى يفرغ من البحث المطلوب مع انتهاء الدرس.

ومن الجدير بالذكر أن أستاذنا نبينا - على خلاف ما اعتدنا عليه مع كثير من أساتذتنا - أنه إذا اعتراضتنا مشكلة خلال شرحه ألا نرجئ سؤالنا عنها إلى ما بعد الفراغ من الشرح. بل أن تلقى به فوراً.

ولكن بعضنا كان يخشى السؤال، لئلا يكون سؤالاً غيبياً، أو في غير مكانه، فيجابهه الأستاذ بتعليق ساخر، قد يضحك عليه زملاءه الطلاب والطالبات معاً.

وكان في استراحاتنا بين الدروس نتداول قصصاً طريفة كانت تجري في دروس الأستاذ أبطالها شخصيات من الطلاب والطالبات، ممن ساقم سوء طالبهم إلى تعليقات لا يوفرها الأستاذ، حفظها بعضنا عن ظهر قلب، وتناقلنا بعضها الآخر من الطلاب قبلنا. ثم خرجت لطرافتها من بين جدران الجامعة إلى مجالس المثقفين في دمشق وما حولها وسارت على الأفواه.

لقد جئنا أستاذنا الأفغاني بأخرة من الزمان حين أشرف على الستين ثم وافاه.. وكانت المفاجأة الكبيرة لنا نحن طلاب السنة الثالثة من قسم اللغة العربية في اليوم الأخير تقريباً أو في الأيام الأخيرة من عام 1968 حين فرغ أستاذنا من درسه قبل الوقت بعشر دقائق أو نحوها على غير عادته، والتفت إلينا يقول: هذا هو الدرس الأخير لي عندكم.. وتمنى لنا التوفيق. وكان مما قال: إن غالبكم سيكون في المستقبل القريب ضمن سلك التدريس وأنتم أصحاب مسؤولية.. وأنا أنصح لكم ألا تدخلوا على طلابكم إلا بعد تحضير الدرس.. ورفع إلينا أوراقه، وقال: لقد أمضيت أربعين سنة في التعليم، نصفها في المدارس ونصفها في الجامعة، لم أدخل يوماً من الأيام إلى الصف من غير أن أراجعه وأثبت منه ما يلزم للطلاب.

وأسفنا بعد خروجه كل الأسف، وأحسننا أننا فقدنا أشياء كثيرة، وتساءلنا: ماذا كان من الجامعة لو أنها مددت لأستاذنا خدمته أشيراً لينتهي العام الدراسي، ونكمل معه منياج القواعد الذي نفرغ منه في آخر السنة الثالثة.





ولكن العربية دخلت في منعطف جديد مع دخول الفرنسيين سورية ولبنان أرخ له أستاذنا في الباب الثالث من الكتاب؛ فأشار إلى الهجوم الذي شنّه الفرنسيون على اللغة في سبيل إضعافها، ونشر الفرنسية عوضاً عنها واستعمال سياسة الترغيب والترهيب في المدارس، إضافة إلى حشر المعلمين الفرنسيين الاستخباريين ومحاربة معلمي العربية والوطنيين.

ومسح هذا الوضع الذي فرضه الانتداب فإن ثلاث قلاع حصينة قامت في وجهه تبث النور والعروبة توقف عندها أستاذنا توقفاً مباركاً ليتناولها بإسباب ويذكر مآثرها؛ تلك هي ثانوية دمشق (مكتب عنبر)، والمجمع العلمي العربي، والجامعة السورية.

أما مكتب عنبر الذي كتب عنه ثلّة من الباحثين<sup>(1)</sup> تناولوه من الذكريات والتاريخ، فقد توقف أستاذنا عند أثره في اللغة فأشار إلى جهود الرعيل الأول من أساتذته الذين رسخوا العربية الفصحى وما زالوا يؤثرون في تلامذتهم حتى ظهر منهم خطباء وشعراء اشتهروا على صغر سنهم<sup>(2)</sup>.

وهذا النجاح الذي أحرزه مكتب عنبر على خلاف تدهور العربية في المدارس التي برعاها الاحتلال أزعج سلطات الانتداب، فعملت على محاربته، فعينت للتدريس أساتذة جهلة أضروا باللغة التي انتكست بعدئذ في كثير من المدارس، إلى أن أحدث نظام الشهادة الثانوية (البكالوريا) عام 1927 وأدرجت العربية فيها مادة أساسية، فلقيت شيئاً من العناية.

وتوقف أستاذنا بعدئذ عند عمل المجمع العلمي ثاني القلاع في خدمة اللغة وأثره في ذلك، وذكر إسهامه في:

- 1- تزويد دوائر الدولة بالمصطلحات اللازمة (الأوقاف، الشرطة، المجلس البلدي، الصحة، المصرف الزراعي).
- 2- تلبية رغبات الصحف والجمعيات غير الرسمية.
- 3- النظر في صيغ القوانين قبل أن تصدرها الدولة.
- 4- النظر في لغة الكتب المدرسية، وعدم السماح بطبعها إلا بعد إقرار المجمع لها.
- 5- تتبع أخطاء الصحف بعد صدورها وتصحيحها.
- 6- نشر بحوث للمختصين تتضمن إحياء مئات الكلمات التي كانت ميتة أو غريبة في مجالات مختلفة من الحياة.
- 7- إلقاء محاضرات عامة وإقامة مهرجانات وحفلات تأيينية لمشاهير الأدباء.

(1) - ممن كتب عنه الأستاذ طاهر الخاسي رحمه الله في كتابه "مكتب عنبر" والأستاذ مطيع المرابط في كتابه "النور والبارق في مكتب عنبر" وتحدث عنه الشيخ علي الططاوي رحمه الله في مذكراته. أما الدكتور خالد قوطرش رحمه الله فقد أعطاه حينئذ هاماً في كتابه "نشأة التعليم في سورية" وهؤلاء كتبهم من طلابه.

(2) - وقد كرم المجمع بعض طلاب مكتب عنبر في حفل أقامه لهم إذ ظهرت شاعرهم مبكرة وهم زكي الخاسي وأنور العطار وحميد سنان وعبد الكريم الكرمي.



أن تكون بالعربية وكذلك الإذاعة التي أسهمت في نشر الفصحى.

وتوقف أستاذنا عند باب خصصه في الكتاب لمشكلات مزعومة، أثارها خصوم العربية، حصرها في ثلاث قضايا: تباين العامية والفصحى، والحرف العربي، والقواعد، فبين الملابس التي قامت لإثارة هذه المشكلات، ثم دفع برأيه ضد الخصوم بالحجة والبرهان.

على أن هذه القضايا قامت حولها كتابات كثيرة في الشام ومصر والعراق، وعقدت لها مؤتمرات. وقد أضاف أستاذنا في هذا المجال إضافات مستحسنة وقدم تاريخاً موجزاً مهماً للدعوة إلى العامية في بلاد الشام، وذكر ما فعلوا في ساحل الشام (لبنان) من أجل هذا، وتوقف عند سعاية العدو تلقاء دعم الحرف اللاتيني وذكر حججاً دحض بها آراء من زعم صعوبة القواعد العربية والإعراب.

وختم أستاذنا كتابه بحديث عن مستقبل العربية في الشام، فجاء حديثه هذا مملوءاً بالأمال ورأى أن المستقبل للعربية الفصحى، مستنداً في ذلك إلى التاريخ في الخمسين سنة التي مضت على صدور كتابه فوجدها مضيئة خطت فيها اللغة إلى القمة متجاوزة كل صعوبة وعقبة، على شدة الحملات ضدها.

وبعد

فهذه عجالة عما جاء في كتاب أستاذنا سعيد الأفغاني، لا تغني عن قراءته قراءة متأنية، وإنما تصفه، لأن في كل صحيفة منه إضاءة وفكرة... وقد قدم فيه مادة غنية وهامة على صغر حجمه. هذا وإن قارئ الكتاب يخرج بجملة انطباعات لا بد أن تسجل هنا:

(1) - تسربل الكتاب بلغة فصحي علمية ميزت أسلوبه الأنيق الجميل على بساطته وبعده عن التفرع.

(2) - بدت الغيرة الواضحة على اللغة العربية في كل جملة من جملة، من خلال النبذة العالية في الكتابة.

(3) - يستحوذ التشويق على قارئ الكتاب من خلال المفاجآت التي تطلع عليه في ثنايا الحديث والأسلوب الجذاب.

(4) - يخلف الكتاب في النفس الاطمئنان في النهاية لما آلت إليه العربية، ويرسم آمالاً حسناً.

(5) - يشعر العربي المخلص من قراءة الكتاب بالاعتزاز بلغته ومسؤوليته تجاهها في آن معاً ضد ما يدبر لها.

(6) - ويفخر بالعلماء الذين كانوا جنوداً غيورين، خدموا اللغة بما عاهد على الأمة بالخير.

رحم الله أستاذنا الأستاذ سعيد الأفغاني شيخ العربية في عصره وبقيّة السلف الصالح كفاء ما قدم للعربية تدريساً وكتابة طوال عمره المملوء بالعطاء والسهرة على لغة القرآن الكريم.

## وللأفغاني رأي في الاحتجاج بالقراءات

د. إبراهيم محمد عبد الله

### الملخص:

هذا البحث رأي الأستاذ المرحوم سعيد الأفغاني في الاحتجاج بالقراءات القرآنية في مضممار بناء القاعدة النحوية واللغوية، وقسمته إلى

### يتناول

الفقر التالية:

- 1- المقدمة: ألمحت فيها إلى أضراب القراءات القرآنية وموقف النحويين البصريين من الاحتجاج بها.
- 2- منيج الأستاذ الأفغاني في الاحتجاج بالقراءات في بناء القاعدة النحوية.
- 3- موقفه من الاحتجاج بالقراءات المتواترة والصحيحة.
- 4- موقفه من الاحتجاج بالقراءات الشاذة.
- 5- الخاتمة
- 6- النتائج

### المقدمة:

ظهرت أمارات اللحن على الألسنة منذ أيام الرسول ﷺ، وذلك في روايات منبأ أنه [سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال: أرشدوا أحاكم فإنه قد ضل]<sup>(1)</sup>، وظير اللحن في قراءة القرآن الكريم، وهذا ما جعل الرسول ﷺ يقول: [رحم الله امرأً أصلح من لسانه]، وقال ابن جنبي معقباً: [وذلك لما علمه

(1) الخصائص: 8، 2.

رسول الله ﷺ ممَّا يُعقِبُ الجهلُ لذلك من ضد السداد وزيع الاعتقاد<sup>(1)</sup>، ثم توالى حوادث اللحن بعد ذلك في أيام عمر بن الخطاب وأبي الأسود الدؤلي إلى أن وُضع علم النحو<sup>(2)</sup>.

ومن أجل صون العربية والحفاظ عليها من اللحن هبت ثلَّة من المخلصين، وبدأت بوضع قواعد كلية تُضبط العربية في ضوئها، فالتمسوا الحجج لإثبات سداد قواعدهم، فِيمَمُوا وجوههم شطر كلام العرب والقرآن الكريم.

والسذي يعني هذا البحث هو احتجاجهم بقراءات القرآن الكريم، الكتاب الذي يُعدُّ النص الموثوق به، والذي أجمع العلماء على الاحتجاج به، لأنه وصل إلينا بالتواتر عن التابعين، عن الصحابة، عن رسول الله ﷺ، وهؤلاء الرجال كلهم يحتج بكلامهم العادي، فكيف برواياتهم للقراءات القرآنية التي محضوها حبهم وأخلصوا لها جهدهم، فضلاً عن أن أئمة القراء أكثرهم من النحويين كأبي عمرو والكسائي ويعقوب الحضرمي؟

إلا أننا نرى فريقاً من النحويين، ولا سيما البصريين منهم، يتمسكون بأصولهم وقواعدهم التي أقاموها على استقرار ما وردهم وما سمعوه من كلام العرب، ويخضعون القراءات القرآنية لتلك القواعد، فما اتفق من هذه القراءات مع قواعدهم أخذوه، وما اختلف تأولوه أو ردُّوه، أو عدُّوه شاذاً.

وكان للمتقدمين<sup>(3)</sup> والمعاصرين رأي في مذهب البصريين هذا، فمن المعاصرين الذين أدلوا دلوهم في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، في مضمار صوغ القاعدة النحوية، الأستاذ المرحوم سعيد الأفغاني، وسيجري الكلام فيما يلي على موقفه من العلاقة ما بين القراءات القرآنية والقواعد النحوية<sup>(4)</sup>.

ولعل من المفيد، قبل الشروع في بيان رأي الأستاذ، الإشارة إلى الشروط التي وضعها العلماء للقراءات المتواترة والصحيحة والشاذة.

1- القراءات المتواترة: هي ما توفر فيها الشروط التالية:

1- التواتر: أي أن ينقل القراءة جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن جمع مثبهم.

2- موافقة الرسم العثماني.

3- موافقة قواعد العربية<sup>(5)</sup>.

(1) الخصائص: 246/3.

(2) انظر الخصائص: 8/2-9.

(3) انظر الاقتراح: 15، وسنحري الإشارة إلى النحويين الذين حالوا البصريين في موقفهم من الاحتجاج بالقراءات على القاعدة النحوية.

(4) أقمست هذه الدراسة على ما كتبه الأستاذ الأفغاني في الاحتجاج بالقراءات في كتابه "في أصول النحو"، ومقدمته لكتاب "حجة القراءات" لأبي زُرعة عبد الرحمن بن أبي زحلة، ونجت له بعنوان "الاحتجاج للقراءات" نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجلد 34، عام 1974 (عن كتاب سعيد الأفغاني حامل لواء العربية وأستاذ أساتذتها، تأليف الدكتور مازن المبارك).

(5) انظر الإقناع في علوم القرآن: 213/1، 215/1.

## 2- القراءة الصحيحة:

- 1- صحة السند إلى رسول الله ﷺ.
- 2- موافقة العربية ولو بوجه.
- 3- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً<sup>(1)</sup>.
- 3- القراءة الشاذة: هي القراءة التي اختلف فيها ركن من الأركان المذكورة في شروط القراءة الصحيحة<sup>(2)</sup>.

### منهج الأستاذ الأفغاني في الاحتجاج بالقراءات:

يرى الأستاذ الأفغاني أن المنهج المستقيم الذي ينبغي للنحويين أن يسلكوه في تعاطيهم للاحتجاج بالقراءة القرآنية يتمثل في أن ينظروا في قواعدهم ومقاييسهم، فما وافق منها القراءات المتواترة والصحيحة والشاذة أبقوه، وما خالفها فعليهم أن يبادروا إلى تصحيحه وضبطه على هدي هذه القراءات، ويتطلبوا له وجهاً إذا كانت القراءة شاذة، ويستأنسوا في ذلك بما ورد من كلام العرب، لا أن يجعلوا من قواعدهم وأقيستهم فيصلاً في النظر إلى القراءة القرآنية، لأن في ذلك - كما يرى - تحويلاً للحقيقة عن وجهها، وصرفاً للعقل عما يقتضيه التفكير السليم.

فيذه القراءات حظيت بقسط وافر من الضبط والوثوق والدقة والتحري، لم تحظ به قواعد النحو والصرف واللغة، وفارثوها تابعون نقات في رواياتهم فصحاء في عربيتهم حقيقون على أن يتخذوا أسوة صالحة في الفصاحة والبيان والتأني عن اللحن، قال: "والمنهج السليم في ذلك أن يمعن النحاة في القراءات الصحيحة السند، فما خالف منها قواعدهم صححوا به تلك القواعد ورجعوا النظر فيها، فذلك أعود على النحو بالخير، أما تحكيم قواعدهم الموضوعية في القراءات الصحيحة التي نقلها الفصحاء العلماء فقلب للأوضاع وعكس للمنطق، إذ كانت الروايات الصحيحة مصدر القواعد لا العكس"<sup>(3)</sup>.

ويوجه نقداً شديداً إلى النحاة بأنهم احتجوا للقراءات المتواترة بقواعدهم، ويعدُّ عملهم هذا قلباً للحالة القويمية السليمة، ويرى أن السداد أن يحتج لقواعد النحو بالقراءات المتواترة لما أحيطت به من عناية وضبط، قال: "إن المؤلفين القدامى يحتجون للقراءات المتواترة بالنحو وشواهد هذا عكس للوضع الصحيح، وإن السلامة في المنهج والسداد في المنطق العلمي التاريخي يقضيان بأن يحتج للنحو ومذاهبه وقواعده وشواهد هذه القراءات المتواترة..."<sup>(4)</sup>.

(1) انظر النشر: 9/1، والإتقان في علوم القرآن: 210/1.

(2) انظر المحاسب: 32/1، والنشر: 9/1، والإتقان في علوم القرآن: 210/1.

(3) في أصول النحو: 32-33.

(4) مقدمة كتاب "حجة القراءات": 18-19.





استقرأ واف<sup>(1)</sup>.

ثم نظر إلى الزمخشري، فأظهر له زلتين كبيرتين في كلامه، فقال بعد أن ساق كلامه: "وفي هذا الكلام زلتان كبيرتان، يتنزّه عنهما الشادي في علم القراءات، فأما الأولى ففي جملته: الأخيرة المشعرة بأن ابن عامر جرّ في اختراع القراءة... وأما الثانية فظنه أن القارئ أسير الرسم"<sup>(2)</sup>، ثم خلس إلى أن القراءة "تتلقى مشافهة بالإسناد، وهي عادة توافق الرسم، وليس لقارئ أن يقرأ قراءة لم يتلقها، وإن وافقت الرسم"<sup>(3)</sup>.

وبعد أن فرغ الأستاذ من الرد على الزمخشري وإظهار مجانيته للصواب، التقت إلى ابن عامر صاحب القراءة، فرأى فيه إماماً ثقة تابعياً عربياً من الخلس الذين يحتج بكلامهم، فكيف بقراءتهم؟ وانتهى إلى أن قراءته السالفة حجة دامغة على جواز الفصل بين المتضايين بغير الظرف والجار والمجرور، وإن كانت قواعد البصريين لا تبيحه، وفي ذلك يقول: "وعبد الله بن عامر هذا إمام من أعلام القراء وكبار التابعين (11-118هـ) أهد القراءة السبعة وإمام الشاميين، تلقى قراءته عن كبار الصحابة، كعثمان بن عفان وغيره من كبار التابعين، وهو بعد من صميم العرب الذين يحتج بكلامهم... وعلى هذا تكون هذه القراءة حجة قوية على الفصل بين المتضايين بغير الظرف والجار والمجرور"<sup>(4)</sup>.

ثم وجه نقده إلى البصريين لتعصبهم لقاعدتهم النحوية التي تمنع الفصل بين المتضايين بغير الظرف والجار والمجرور، ونبه على أن المنهج السديد يوجب عليهم أن يصحّحوا هذه القاعدة ويجيزوا الفصل بالمفعول ويوافقوا الكوفيين بناء على قراءة ابن عامر، ويكفوا عن تضعيف القراءة المتواترة، قال: "وكسان المنهج السليم يقضي أن يصحح النحاة البصريون قاعدتهم محتجين بهذه القراءة كما فعل الكوفيون، لا أن يضعفوا قراءة متواترة..."<sup>(5)</sup>.

ومن المتقدمين الذين أجازوا الفصل بين المتضايين بمعمول المضاف في سعة الكلام، بناء على قراءة ابن عامر، ابن مالك، إذ رأى فيها دليلاً ساطعاً على جواز المسألة، قال: "الفصل بمعمول المضاف إذا لم يكن مرفوعاً جدير بأن يكون جائزاً في الاختيار، ولا يختص بالاضطرار،... وأقوى الدلالة على ذلك قراءة ابن عامر رضي الله عنه ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم﴾ لأنها ثابتة بالتواتر"<sup>(6)</sup>، ثم استدل على حجية هذه القراءة بجلال قدر صاحبها في العدل والعربية، وانتهى إلى أن جواز ما قرأ به في النحو أمر قوي، فقال: "ومعزوة إلى موثوق بعربيته

(1) في أصول النحو: 40 - 41.

(2) في أصول النحو: 42 - 43.

(3) في أصول النحو: 43.

(4) في أصول النحو: 43 - 44.

(5) في أصول النحو: 45.

(6) شرح النسيب لابن مالك: 276/3 - 277.

قبل العلم بأنه من كبار التابعين، ومن الذين يُقْتَدَى بهم في الفصاحة<sup>(1)</sup>، ثم أتى بشواهد شعرية على المسألة<sup>(2)</sup>.

وصحَّح أبو حيان الأندلسي جواز المسألة أيضاً مستشهداً بقراءة ابن عامر فقال: "وأما الفصل بالمفعول بين المصدر والمخفوض كقراءة ابن عامر: ﴿قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ فقد جاءت نظائره في أشعار العرب، والصحيح جوازه"<sup>(3)</sup>.

ومما يجلي موقف الأستاذ الأفغاني في وجوب تحكيم القراءة المتواترة في القاعدة النحوية وأن السير على هذا السنن اتباع للسداد ونصرة للحق - كما يرى - ما صحَّحه من جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور دون إعادة الخافض مستنداً إلى قراءة حمزة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾<sup>(4)</sup> بجرِّ الأرحام<sup>(5)</sup>.

فمن حديث الخلاف بين البصريين والكوفيين: أن أكثر البصريين والفراء أوجبوا إعادة الخافض في الاسم الظاهر إذا عطف على ضمير مخفوض، وخالفهم الكوفيون فأجازوا العطف بلا إعادة الخافض، واحتجوا بقراءة حمزة السالفة، إلا أن البصريين ردوا هذه القراءة، وذكروا وجهين في تخريجها<sup>(6)</sup>، وكان لمتقدميهم موقف متشدّد منها، لأنها مخالفة لأقيستهم، وكان على رأسهم أبو العباس المبرد، إذ لم يأخذ بقراءة حمزة متعللاً بأن كلام الله لا يخرج إلا على أقوى المذاهب النحوية، قال: "والقرآن إنما يحمل على أشرف المذاهب، وقرأ حمزة ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، وهذا مما لا يجوز عندنا، إلا أن يضطرَّ إليه شاعر"<sup>(7)</sup>.

غير أن هذا من البصريين لم يُرَقِّ للأستاذ الأفغاني، فساق نصاً للسيوطي<sup>(8)</sup> وآخر للفخر الرازي<sup>(9)</sup>، ليظير وجوب الأخذ بالقراءة المتواترة السالفة، وطرح القاعدة النحوية التي صاغها نحاة البصرية وعولوا عليها، واتخذ من كلام الرازي والسيوطي برهاناً ظاهراً على ما يدعوا إليه من وجوب بناء القاعدة النحوية على القراءة القرآنية وتحكيمها فيها، ولا سيما المتواترة.

وسار ابن مالك من المتقدمين في ركب يونس والأخفش والكوفيين في إجازتهم العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض، واستند إلى قراءة حمزة وأشباه أخرى من كلام العرب، فقال: "ومن مؤيدات الجواز قراءة حمزة ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، وهي أيضاً قراءة ابن عباس

(1) شرح التسهيل لابن مالك: 277/3.

(2) انظر شرح التسهيل: 277/3 - 278.

(3) ارتشاف الضرب: 1845 - 1846، والبحر النقيض: 657/4.

(4) النساء: 1/4.

(5) انظر كتاب السبعة: 226، وقرأ هذه القراءة من غير السبعة إبراهيم وقيادة، انظر التيسير: 93.

(6) انظر الإنصاف: 467. وانظر معاني القرآن لتفراء: 252/1.

(7) الكامان: 39/3. وانظر الكتاب: 381/2، والخصائص: 285/1.

(8) انظر في أصول النحو: 39، والافتتاح: 15.

(9) انظر في أصول النحو: 39 - 40، والتفسير الكبير للرازي: 193/3.

والحسن وأبي رزين ومجاهد والنخعي والأعشى...<sup>(1)</sup> ثم روى شواهد تشيد بجواز المسألة<sup>(2)</sup>.  
 واختار أبو حيان جواز المسألة مطلقاً<sup>(3)</sup>.

ويربط الأستاذ الأفغاني بين أصل من أصول النحويين - وهو السماع - وبين الأخذ بالقراءة المتواترة، ويرى العلاقة بينهما وثيقة، لأن كليهما سماع، بل سماع القراءة المتواترة أصح أضرب السماع، لذا يوجب على البصريين تعديل قواعدهم لتتفق وما ورد في متواتر القراءات وصحيجها، فمما اتفق عليه البصريون والفراء أن الواو والياء إذا وقعتا زائدتين في اسم رباعي فإنهما تقلبان همزتين في الجمع، نحو عجوز وعجائز وصحيفة وصحائف، فلما وردهم الهمز في الياء وهي أصلية في قراءة نافع قوله تعالى: ﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾<sup>(4)</sup> بهمز الياء في معاش<sup>(5)</sup>، رفضوه، وردوا هذه القراءة، فالمازني خطأ قراءة نافع بهمز معاش، وقال: فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة "معاش" بالهمز فهي خطأ، فلا يلتفت إليها<sup>(6)</sup>، وشك المبرد في نسبة القراءة إلى نافع ورماها بالغلط، فقال: فأما قراءة من قرأ "معاش" فبهمز فإنه غلط، وإنما هذه القراءة منسوبة إلى نافع بن عسيم، ولم يكن له علم بالعربية<sup>(7)</sup>، وغير هذين البصريين ممن ردّ هذه القراءة كثير كالأخفش<sup>(8)</sup> والنحاس<sup>(9)</sup>، والزجاج<sup>(10)</sup>، ومن الكوفيين الفراء<sup>(11)</sup>.

والأستاذ الأفغاني حمل هذه القراءة وتوجه بها إلى النحويين وألزمهم أن يعدلوا قاعدتهم الصرفية، ويضيفوا إليها أن العرب قد تعامل الحرف الأصلي معاملة الحرف الزائد في الاسم الرباعي بناء على ما ورد في قراءة نافع، لأنيا من أرقى أنواع السماع وأصحّه، وهم الذين يُعولون على السماع في نحوهم وصرفهم، ثم خلص إلى خلع القدسية والعصمة عن مذهب البصريين في النحو، وإبداء إعجاب به عبارة قالها أبو حيان الأندلسي في هذا المذهب، والتذكير بالقاعدة الذهبية التي تتعلق بمنهج النحاة، وهي أن قواعدهم الكلية قامت على استقراء ناقص لكلام العرب، وأن السماع هو الأصل في إثبات اللغة، فقال: "وكان على نحاة البصرة تصحيح قواعدهم وتذليلها بأن العرب ربما حملت الحرف الأصلي على الزائد، فعاملته معاملته، إذ كان شبيهاً به في اللفظ، ثم عليهم أن يستشهدوا بقراءة نافع هذه، وبذلك يزيد مذهبهم إحكاماً وانسجاماً مع أصوله التي أهميا البناء على

(1) شرح التسهيل لابن مالك: 3/376-377.

(2) انظر شرح التسهيل: 3/377-378.

(3) انظر ارتشاف الضرب: 2014. والبحر المحيظ: 3/500.

(4) الأعراف: 10/7.

(5) قراءة نافع بالهمز مروية عن حارحة في كتاب السبعة: 278.

(6) المصنف: 1/307.

(7) المنتخب: 1/123.

(8) انظر معاني القرآن له: 1/373.

(9) انظر إعراب القرآن له: 2/115.

(10) انظر معاني القرآن وإعرابه: 2/321.

(11) انظر معاني القرآن له: 1/373.



قالوه أن الماضي والمصدر من الفعل "يَدَعُ" مُتَان، استغنت العرب عنهما بالفعل "ترك" ومصدره، هذا مع أنهم ذهبوا إلى أن "ودع" مطرد في القياس، لكنه شاذ في الاستعمال، كما ورد على لسان ابن جني<sup>(1)</sup>، ولم يلتفتوا إلى قراءة قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾<sup>(2)</sup> بتخفيف الدال في "وَدَّعَكَ"<sup>(3)</sup> وعدوها شاذة في الاستعمال<sup>(4)</sup>، وتعقبهم الأستاذ الأفغاني في توقفيهم عن هذه القراءة، ودحض أقوالهم لأنهم - كما يرى - ناكبون عن أصولهم التي نسجوا قواعدهم وفقها، وضعفاء لا يثبت لهم رأي في هذه المسألة، وعول في نقده لهم على قضية تعدد ركناً أصيلاً في الاحتجاج بالقراءات، وهي أن أهل اللغة والنحو لم يصل إليهم من كلام العرب إلا قليلاً، ولو جاءهم كثيره لظفروا بعجم جَمِّ وافر، قال: "من المتفق عليه عند اللغويين والنحاة أنه لم يصل إلينا من كلام العرب إلا القليل، ولو جاءنا وافرأ لجاء علم كثير"<sup>(5)</sup>، وما قاله الأستاذ قاله أبو عمرو بن العلاء في مقاله المشهورة: "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير"<sup>(6)</sup>.

ثم يشير الأستاذ إلى أن اللغة التي جاءت في كتاب الله تعدد أوصاف مما جاء في غيره، قال: "ومن المتفق عليه أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن"<sup>(7)</sup>.

ونسيه على أن اللغويين يجيزون استعمال الكلمة إذا وجدوا لها شاهداً واحداً من كلام العرب، على أن تتدرج تحت قياسهم، ثم تصدق لابن جني، فوهن قوله: إن "ودع" مطرد في القياس شاذ في الاستعمال<sup>(8)</sup> بأن قواعد النحاة أصلت على استقراء ناقص كما يقولون، وأنهم لم يقفوا إلا على القليل من كلام العرب، قال: "والعلماء يثبتون استعمال الكلمة بشاهد واحد إذا لم تخالف القياس، وكلمة "ودع" على ما مر بك من كلام ابن جني مطردة في القياس، أما قوله: شاذة في الاستعمال فيحبطها اعتراف النحاة بضالة ما انتهى إلينا من كلام العرب، وأن أحكامهم عامة مبنية على الاستقراء الناقص"<sup>(9)</sup>.

وبعد أن اعتمد على الأصل اللغوي في إبطال قول من لم يحتج بقراءة التخفيف، التفت إلى توثيقها من حيث السند فقال: "نأتي الآن إلى قراءة التخفيف في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، فقد قرأها كذلك عروة بن الزبير وابنه هشام، وهما من هما، بل إن الغريب في ذلك أن ابن

(1) انظر الخصائص: 1/99، وانظر أيضاً الكتاب: 14/67، 4/99.

(2) الضحى: 3/92.

(3) انظر الخصائص: 2/364، وإعراب القرآن للنحاس: 5/249، ومختصر شواهد ابن خالويه: 175.

(4) انظر ما ورد في الحاشية (56). وانظر توجيه القراءة الشاذة في البرهان في علوم القرآن: 1/491-492.

(5) في أصول النحو: 34.

(6) طبقات فحول الشعراء: 1/25.

(7) في أصول النحو: 34.

(8) انظر الخصائص: 1/99.

(9) في أصول النحو: 34.

جني نفسه نصّ في كتابه "المحتسب" على أنها قراءة النبي ﷺ<sup>(1)</sup>.

وساق الأستاذ شاهدين على تخفيف الفعل ودع، الأول هو قول الشاعر:

وَنَمَّ وَدَعْنَا آلَ عَمْرٍو وَعَامِرٌ فَرَانِسَ أَطْرَافِ الْمُسْتَقْفَةِ السُّمْرِ

والشاهد الثاني على مصدر الفعل، وهو قول الرسول ﷺ: [إِنِّي نَتَيْتُ قَوْمَ عَن وَدَعِيهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لِيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ]<sup>(2)</sup>.

وقد ذكر البغدادي بضعة شواهد على استخدام "ودع" ومصدره واسم فاعله<sup>(3)</sup>.

والمستداول المعروف عند النحويين أن الغالب في لام الأمر أن تجزم فعل الغائب نحو لِيَقُمْ، أو المتكلم مع غيره، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْخِمْ لِي خَطَايَاكُمْ﴾<sup>(4)</sup>، وأن جزمها الفعل المسند إلى المخاطب قليل عند قوم منهم حتى إنه رديء عند بعضهم<sup>(5)</sup>، إلا أن الأستاذ الأفغاني رأى أن جزم المضارع الذي للمخاطب بلام الأمر سائغ في العربية وأن حكم النحاة على دخولها عليه بالقلّة ليس ذا بال، وساق كلاماً للسيوطي احتج فيه بقراءة شاذة لقوله تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلتَفْرَحُوا﴾<sup>(6)</sup> بالتاء وقال: "لا تدخل لام الأمر على المضارع الغائب في الأعم الأغلب، وأنكر قوم دخولها على غيره، ولم يكن لهذا الإنكار قيمة ما "إذ احتج على جواز إدخالها على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بالقراءة الشاذة ﴿فَبِذَلِكَ فَلتَفْرَحُوا﴾<sup>(7)</sup>"<sup>(8)</sup>.

واستجد المسبرد دخول لام الأمر على الفعل المخاطب واستشيد بالقراءة السالفة، وقال: "ولو كانت للمخاطب لكان جيداً على الأصل، وإن كان في ذلك أكثر، لاستغنائهم بقولهم: افعل عن لتفعل، وروي أن رسول الله قرأ: ﴿فَبِذَلِكَ فَلتَفْرَحُوا﴾<sup>(9)</sup> بالتاء".

وذهب الزجاجي إلى أن أمر فاعل الفعل المضارع المخاطب بلام الأمر لغة جيدة، قال أبو جيان: فإذا كان مسنداً للفاعل المخاطب فلتغتنج إحداهما: قالوا: رديئة قليلة، وهي إقرار تاء الخطاب واللام، نحو: لتقم، وزعم الزجاجي أنها لغة جيدة<sup>(10)</sup>.

(1) في أصول النحو: 35، وانظر المختص: 418/2، ومختصر شواهد ابن خالويه: 175.

(2) انظر في أصول النحو: 34-35.

(3) انظر الخزانة: 120/3-121.

(4) المعكروت: 12/29.

(5) انظر شرح السبيل لابن مالك: 60/4، وشرح الكافية المرضي: 252/2، وارتشاف الضرب: 1856.

(6) بونس: 58/10، وانظر معاني القرآن للقراء: 469/1، والمختص: 313/1، وإعراب القرآن للنجاشي: 259/2، ومختصر

شواهد ابن خالويه: 57.

(7) الاقتراح: 15.

(8) في أصول النحو: 38.

(9) المختص: 45/2.

(10) ارتشاف الضرب: 1856.

وجدير بالذكر أن قراءة قوله تعالى: ﴿فَلْتَفَرِّحُوا﴾ بالهاء قرأ بها النبي ﷺ وعثمان بن عفان وأبي بن كعب وغيرهم (1).

ويرى الأستاذ أن القراءة الشاذة إذا اتصل سندها بقارئ عربي سلفي عاش في عصر الاحتجاج فعلى اللغوي أن يأخذ بها في احتجابه، قال: "ولئن طرح القراءات الشاذة لمخالفتها الرسم العثماني، إن على اللغوي أن يتمسك بها كل التمسك متى صح سندها إلى عربي سليم السليقة في عصور الاحتجاج" (2).

ويبدو الشيخ حريصاً على الاحتجاج بالقراءات غيوراً عليه داعية إليه، فمما ينبغي أن يغري أهل اللغة -في مذهبه- بالاحتجاج بالقراءات أنها لقيت من الاهتمام والاجتهاد في طلب الدقة والضبط ما لم يلقه الشعر والنثر، قال: "إن هذه العناية البالغة في تحري القراءات تحمل اللغويين على العض عليها بالنواجز، والاحتجاج بها، وتحكيمها في القواعد، إذ أتيح لها من الضبط ما لم يتح للشعر ولا للنثر" (3).

والشيخ في منهجه الذي رسمه للاحتجاج بالقراءات يبتدي بسنة جماعة من سبقه من النحويين والمفسرين المتقدمين، من مثل الفخر الرازي (4)، وابن مالك وأبي حيان الأندلسي (5)، والسيوطي (6).

## نتائج البحث:

هذا البحث رصد رأي الأستاذ الأفغاني في الاحتجاج بالقراءات القرآنية ومفاده أن تحكم القراءات بالقواعد النحوية لا العكس، وأظهر أدلته التي استند إليها، وفيما يلي تعدادها:

- 1- القراءة القرآنية توفر لنا من صحة السند والضبط والتحري ما لم يتوفر للقاعدة النحوية.
- 2- الرجال الذين رووا القراءات ثقات راسخون في العربية، يحتج بكلامهم العادي، فلأن يحتج بالقراءات التي رووها عن الرسول أحق وأجدر.
- 3- الروايات الصحيحة مصدر للقواعد النحوية لا العكس.
- 4- النحويون واللغويون أقاموا قواعدهم على استقرار ناقص لكلام العرب، لأن الذي وصل إليهم من كلام العرب قليل، وهذا الدليل من أهم ما عوّل عليه الأستاذ الأفغاني في الرد على النحويين الذين لم يأخذوا بالقراءات.

(1)- انظر المحسن: 313/1، والنشر، 285/2، ومنتصر شواذ ابن جالويه: 57.

(2)- مقالة الأستاذ عمران: "الاحتجاج للقراءات" عن كتاب "سعيد الأفغاني حاملاً لواء العربية وأستاذ أساتيدها: 117.

(3)- عن كتاب "سعيد الأفغاني حاملاً لواء العربية": 117.

(4)- انظر التفسر الكبير: 193/3.

(5)- انظر ما سلف من: 7-8.

(6)- انظر الاقتراح: 14-15.

- 5- الربط بين أصل من أصول النحويين عظيم، وهو السماع، وبين الاحتجاج بالقراءات، لأنها من أرقى أنواع السماع.
- 6- قواعد النحويين، ولا سيما البصريون منهم، ليس لها صفة القدسية. وبناء على هذه الأدلة انتهى الأستاذ إلى ما يلي:
  - 1- إبطال بضع قواعد وتعديل شيء منها استناداً إلى القراءات القرآنية.
  - 2- النحويون الذين لم يأخذوا بالاحتجاج بالقراءات في قواعدهم حرموا النحو من منات الشواهد التي تضبط قواعدهم وترقى بها إلى درجة أعلى من الإحكام والدقة.
  - 3- القراءات القرآنية كلها حجة.
  - 7- الأستاذ الأفغاني سار على نهج نفرٍ غير قليل من النحويين الذين حكموا القراءة بالقاعدة النحوية.

### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتيان في علوم القرآن- للسيوطي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1987.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي- القاهرة.
- إعراب القرآن- للنحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب.
- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- السبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، بعناية الشيخ زهير جعيد- دار الفكر.
- البرهان في علوم القرآن- للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- التفسير الكبير- للرازي- دار الكتب العلمية- بيروت.
- التيسير في القراءات السبع، لداني.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري، تحقيق محمود محمد شاكر- دار المعارف بمصر.
- الحجة للقراء السبعة، الفارسي، تحقيق بدر الدين قنوجي وشير جويجاني- دار المأمون للتراث.
- حجة القراءات، لابن زنطة، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، ط1 بنغازي عام 1974.
- خزنة الأدب، للبغدادي، دار صادر.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى- بيروت.
- سعيد الأفغاني حامل لواء العربية وأستاذ أستاذتها، تأليف د. مازن المبارك دار القلم- دمشق.
- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي مختون، ط1، 1990.
- شرح الكافية للرضي، دار الكتب العلمية- بيروت.
- طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، شرحه محمود محمد شاكر- مطبعة المنني- القاهرة.
- في أصول النحو، لسعيد الأفغاني- دار الفكر.
- الكامل- للمبرد- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر.



## العربي

### التراجم العربية

- الكتاب- لسيوييه- تحقيق عبد السلام دارون، الهيئة العامة للتأليف والنشر.
- كتاب السبعة لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف- دار المعارف.
- الكشاف- للزمخشري، دار المعرفة- بيروت.
- الكشف عن وجود القراءات السبع، للقيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- المحتسب- لابن جنسي، تحقيق علي النجدي ناصيف، د. عبد الفتاح ثلبي، القاهرة- 1999.
- مختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه، نشره برجستراسر.
- معاني القرآن للفراء، عالم الكتب- بيروت.
- معاني القرآن للأخفش، تحقيق عبد الأمير الورد، عالم الكتب، ط 1.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق د. عبد الجليل ثلبي، عالم الكتب، ط 1.
- المقتضب، للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب بيروت.
- المنصف، لابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط 1، 1954.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري- دار الفكر.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

## الأفغاني محققاً من خلال تحقيقه لكتاب تاريخ داريا للخولاني

رياض عبد الحميد مراد

من الكتب التي اهتم بها أجدادنا العرب - وألفوا فيها فأكثرها - كتب تواريخ المدن من مثل:

- تاريخ واسط لبحشل (ت292هـ)
  - وتاريخ جرجان للسهمي (ت427هـ)
  - وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (463هـ)
  - وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (571هـ)
  - وتاريخ دنيسر لابن اللمش الطيب (640 هـ.؟)
  - والمعزة فيما قيل في المزة لابن طولون (953هـ)
  - والروضة انريا فيمن دفن بداريا للعمادي (1051هـ)
- ويحتل كتاب "تاريخ داريا" الذي ألفه عبد الجبار الخولاني (ق4هـ) مكاناً هاماً بين هذه الكتب. وقد حققه أستاذنا الأفغاني رحمه الله، وقدم له وفسرته ونشره في مجمع اللغة العربية<sup>(1)</sup> بدمشق في مطلع سنة 1395هـ/1975م.
- واسم الكتاب كما ورد في المخطوطة (جزء فيه تاريخ داريا ومن نزل بنا من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رحمهم الله أجمعين) تصنيف القاضي أبي علي عبد الجبار بن عبد الله الخولاني.

(1) - تم طبعه بعد ثلاث سنوات الأولى في ليبيا ضمن منشورات جامعة سبازي، والثانية في دار الفكر بدمشق.

رواية أبي الحسن علي بن محمد بن طوق الداراني عرف بالطبراني عنه.

رواية أبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني عنه.

رواية الأمين أبي محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأصفهاني عنه.

رواية الحافظ الإمام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي عنه.

وهذا ما يوضح اهتمام ابن عساكر بالكتاب، فقد استوعب كل تراجمه في كتاب تاريخ مدينة دمشق، فكان أحد مصادره الكثيرة. وترجم لصاحبه في هذا التاريخ ترجمة تكاد تكون الترجمة الوحيدة التي وصلتنا عن هذا الرجل. ومع ذلك فما فيها من معلومات لا يدل على المعالم الكبيرة في حياته كالولادة والوفاة، ولا على شيء من الأحداث التي تبين شيئاً من حياة هذا الرجل، ولا يخرج أكثرها عن نطاق المشايخ الذين روى عنهم والذين روى عنه، وتنتهي ترجمته بنموذج من روايته.

وعالج الأسناذ الأفغاني رحمه الله شح المصادر عن الخولاني باستقراء ما ورد في تاريخ داريا، فوجد أنه حدث بتاريخ داريا في المحرم من سنة خمس وستين وثلاثمائة، فاستنتج منها أنه من رجال المئة الرابعة.

وأما الكتاب فقد ترجم فيه مؤلفه لسبعة وأربعين من أهل الحديث في داريا، واعتمد أستاذنا الأفغاني في تحقيقه على نسختين؛ إحداهما من المكتبة الأحمدية ببنونس، والثانية من المتحف البريطاني بلندن.

وقال الأفغاني في مقدمته ص 15: "وبعد ففي تاريخ داريا مزيقان تسترعيان الإعجاب:

أما الأولى فنفرده - على صغر حجمه وإيجازه - بروايات ومعلومات ودقائق لا نجدها في أطول المطولات كتاريخ دمشق لابن عساكر، فبعض أخبار أبي قلابة الجرمي الواردة هنا ليست في تاريخ دمشق، وكذا أخبار النعمان بن المنذر الغساني ليس منها شيء عند ابن عساكر، هذا مع أن تاريخ داريا، كله يقصر عن حجم جزء من ترجمة مطولة واحدة عند ابن عساكر، بل لعل ترجمة ابن عساكر لبلال وحده تعدل في الحجم تاريخ داريا إن لم تزد عليه. وبذلك كان هذا التاريخ شاهداً جديداً على قولهم المشهور "لا يغني كتاب عن كتاب، مع أن ابن عساكر قرأ كتاب الخولاني هذا على شيوخه وأقرأه تلاميذه: فرووه عنه، وهو قد سرد معظم تاريخ داريا في كتابه "تاريخ مدينة دمشق ولم يجد على صاحبه بترجمة تشفي غليل الباحث المتعطش.

وأما الثانية فالإمام مؤلفه الشامل بداريا وأحوال أهلها وأصولهم وأنسابهم وجماعاتهم إماماً محيطاً فيو ينص آخر أكثر التراجم على ذراري أصحابها فيقول مثلاً: "ومن ولده جماعة بداريا إلى اليوم، فنعلم أن صحابياً كأبي راشد الخولاني الذي سماه النبي ﷺ وكناه بقي ولده يتناسلون بداريا حتى سنة 365هـ، وهو عام قراءة تاريخ داريا على مؤلفه، أو يقول: "وما علمت أن النعمان بن المنذر الغساني عقب بداريا عقباً...".

ولمعرفة التامة بسكان داريا وقبائلهم وأجدادهم الأعلين نجده يطلق بعض الأحكام إطلاق المعتد





ورغم أنه عدد في عنوان مسرده أربعة فهارس هي الأعلام والأماكن والكتب والأيام، فإنه أضاف إلى ذلك - في الحقيقة - أشياء أخرى لم يذكرها في العنوان كفهرس الأقوام والقبائل، وفهرس آخر لا يدخل في هذه الفهارس، وأورد منه قوله: (روايات ساكني داريا) فيما أسمىته بعد ذلك في فهارسي بفهرس الفوائد ولعل هذه بذريته.

والمسرد الثاني (مسرد الكتاب) وهو عبارة عن فهرس لموضوعات الكتاب: أبوابه وفصوله وفقراته، وهذا المسرد هو آخر الكتاب ونهايته.

رحم الله أستاذنا سعيداً الأفغاني رحمة واسعة، وغفر له وجعل الجنة مثواه.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم رمدى

## عبريّة العلامة المُجتهد سعيد الأفغانيّ في الاحتجاج

عدنان عمر الخطيب\*

**المُلخَص:** أردنا في هذا المقال أن نقف القارئ الكريم على مفهوم الاحتجاج عند الأستاذ العلامة سعيد الأفغانيّ، وذلك من خلال كتابه: "في أصول النحو"، مُسلّطين الضّوء بشكل خاصّ على ما أوضحه الأستاذ بقوّة؛ ألا وهو ضرورة الاحتجاج بالحديث الشّريف والقراءات القرآنيّة؛ لأنهما أوّلاً وآخرأ أعلى رتبة من كلام العرب عمدة علماء النّحو في الاحتجاج، مهما بلغ هذا الكلام بياناً وضبطاً... وكذا إضافته لجملة من القواعد النّاجعة في الاحتجاج، يمكن أن يكون لها دورها في تطوير بعض القواعد النّحويّة أو تهذيبها أو حذفها...

\*\*\*

لا أنكر بادئ ذي بدء أنني حين وقفت على دعوة مجلة التراث العربيّ الغراء في عددها: 88/2002م للسّادة الكتاب إلى أن يكتبوا عن علامة النحو سعيد الأفغانيّ- أقول: لا أنكر أنني تشوّقت بدايةً للحديث عن سيرة هذا العلم الفذّ وأثاره الجليّة المطبوعة، ولا سيّما أنني قرأت في كثيرٍ منيّا، سواء أكانت المؤلّفة أم المُحقّقة، فعرفت فيها صورة العالم بالنحو واللغة والأدب والتّاريخ والقراءات... وحقاً شرعت في البحث عن الكتب التي تناولت الأفغانيّ علماً من أعلام القرن العشرين، شأنه في هذا شأن أعلام سالفين، كتب عنهم أهل التّراجم ما كتبوا، فوقفتي البحث على غير كتاب في هذا المضمار، ك: غرر الشّام لعبد العزيز الخطيب الحسني، ومعجم المؤلّفين السّوريين لعبد القادر عبّاش، وإتمام الأعلام للدكتور نزار أباطة ومحمّد رياض المالح... والناظر

\*مدرس ومحقّق في التراث.

في هذه الكتب أدنى نظر يجد الحديث الموجز المحكم عن هذا الرجل وآثاره، ولا غرؤ في الإيجاز؛ ذلك أن هذه الكتب لا تضم بين دفتيها الأفغاني فحسب، بل أعلاماً آخرين كثيراً، لهم نصيبهم أيضاً في هذه الكتب، فرأيت - والحالة هذه - أن أدلي بدلوي، فأعرف بالرجل حق التعريف، مستدركا على السابقين ما أرى وجوب استدراكه، بحيث تكون ترجمة هذا العلم ضافية، هذا مع استمرار البحث عن مزيد من الكتب يمكن أن نقفنا على جديد في سيرة هذا الرجل الذي كان له في حياة العلم والعلماء ما كان، فأضيفه إلى ما شرعت في كتابته، وحقاً قادني استمرار البحث إلى غيث عميم، غيث غير مسار البحث كله، إنه كتاب أستاذنا الفاضل الدكتور مازن المبارك<sup>(1)</sup>: "سعيد الأفغاني حامل لواء العربية وأستاذ أساتذتها" المطبوع في دار القلم بدمشق طبعة أولى سنة 1423هـ/ 2002 م، والواقع في 150 صفحة من القطع الصغير. فلقد قرأت هذا الكتاب برؤيته، فوجدته حقاً الكتاب كل الكتاب في الأفغاني سيرة وآثاراً، كيف لا؟ وقد قال مؤلفه في المقدمة: "وأنا اليوم أكتب عن رجل علمني علماً، ولقنتني حكمة، وأفادني تجربة. أكتب عن رجل علم، وألف، وحقق، ونشر، ونثر عاطفته وشعوره في كثير مما كتب. أكتب عن رجل كان هواه مع العربية والإسلام لغة وثقافة وعقيدة وسلوكاً. أكتب عن رجل صحبته نصف قرن تلميذاً وصديقاً وزميلاً، فما أدتني منه كلمة، ولا آذنتني منه سلوك. إنني أكتب اليوم عن أستاذي (سعيد الأفغاني) رحمه الله وأجزل مثوبته. وسأكتب مُتمثلاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإذا قُلتُم، فاعدلوا، ولو كان ذا قُربى﴾ (الأنعام: 152).." <sup>(2)</sup>.

وحقاً صدق الرجل فيما كتب، فوقفنا بداية على ولادته ونشأته، ثم رحلته العلمية، فحياته الاجتماعية، فحديث خاص عن رفيق عمره وعديله علي الطنطاوي<sup>(3)</sup> صاحب كتاب الذكريات الواقع في ثمانية أجزاء، وفيها كتب عن الأفغاني الكثير الكثير، وقد أفاد الدكتور المبارك مما كتب؛ ذلك أن في الذكريات عن الأفغاني ما يجنبه كثير من الناس، كذا الفصل الأول. وفي الثاني تعريف بمؤلفاته وتحقيقاته وبحوثه ومقالاته وأحاديثه الإذاعية، ذكراً أماكن طبع هذه الآثار بداية، ثم تعريفاً موجزاً بها، منهيًا الفصلين بخاتمة فملحق بالوثائق اليازمة التي لا يقع عليها إلا من عرف الأفغاني حق المعرفة، كتلميذ المبارك الذي وقفنا على كثير مما نجده في حياة هذا الرجل الكبير الذي عاشه كما قال خمسين سنة.

إن هذا الكتاب معضوداً بذكريات الطنطاوي دفعاني إلى تغيير وجهة الدراسة والبحث، فلا مجال للحديث عن الأفغاني سيرة وآثاراً بعد أن قدم لنا الرجلان الفاضلان عنه ما لا أستطيع أن

<sup>(1)</sup> أستاذ حسامي. وباحث ومُحقق معروف من دمشق. ترك لنا آثاراً نافعة في التأليف والتحقيق، فمن تواليته: نحو وعي عربي، والشحو العربي، والنوخر في تاريخ البلاغة، والرّماني السحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه... ومن تحقيقاته: معنى اللبب لابن هشام (بالمشاركة)، ورسالة المباحث الرُحبية لابن هشام، والأعلام المُرحّاحي...

<sup>(2)</sup> سعيد الأفغاني/ 5-6.

<sup>(3)</sup> هو علي بن مصطفى بن أحمد الطنطاوي. العالم الفقيه، الأديب الخطيب، أُلحِدَت آثاره، المُدرّس الفاضل الرُحالة. ترك لنا آثاراً، نذكر منها: الهشيميات (مقالاته وأبحاثه في مطلع شبابه)، وصور وحوادث، وقصص إسلامية... مات سنة 1419هـ/ 1999 م. (سعيد الأفغاني/ 38-46، وغزيريات وأعلام/ 281-293).



أقدمه، فرأيت -والحالة هذه- أن أعود أدراجي إلى كتاب طالما قرأت فيه قبلُ وأفدت منه، إنه كتاب سعيد الأفغاني الموسوم بـ: "في أصول النحو" واقفاً ودارساً لظاهرة وجدت فيها شخصية الأستاذ الأفغاني المُجتهدة المُتفردة بآراء جهر بها بقوةٍ دونما وجل؛ إنها الاحتجاج أحد أصول النحو الهامة والأولى؛ فلأفغاني مواقف ثابتة في الاحتجاج، ولا سيّما في القراءات والحديث النبوي، تكشف لنا النقاب عن عبقرية فذة واجتهاد علمي يقوم على المنهج السديد في البحث والدراسة وطرح الأدلة.

على أن تغيير وجهة الدراسة والبحث إلى ما ألمعت إليه قبل لا تعفينا منهجياً من التعريف بدايةً بالسرّج وأثاره عامةً التعريف الموجز المُحكّم الذي يقف القارئ على أدنى ما يجب معرفته عن هذا العنيم الكبير الذي خدم في القرن العشرين الثقافة العربية عامةً واللغة العربية خاصةً؛ على أن من أراد الإفاضة عليه بكتابي الدكتور المبارك وعليّ الطنطاوي.

1- سعيد الأفغاني: حياته، وأثاره: هو محمد سعيد بن الحاج محمد جان الأفغاني<sup>(1)</sup>، ولد في حيّ من أحياء دمشق القديمة، هو حيّ العمارة الجوانية سنة 1327هـ/ 1909م، وبدأ تعليمه الرسمي منذ طفولته في مدرسة الأمانة والإسعاف الخيري، وكاننا مدرسة واحدة آخر العيد التركي، ثم دخل مدرسة التطبيقات، حيث أتمّ دراسته الابتدائية، فمدرسة التجهيز فدار المعلمين (مكتب عنبر)، متابعاً فيما دراسته الإعدادية والثانوية، ثم التحق بمدرسة الآداب العليا في الجامعة السورية سنة 1928م، وهو العام الذي عيّنه فيه وزير المعارف الأستاذ محمد كرد علي<sup>(2)</sup> معلماً في مدرسة منين الابتدائية، ثم انتقل إلى غير مدرسة، حتى استقرّ عام 1941م مُدرّساً في مدرسة التجهيز الأولى بدمشق (ثانوية جودة الهاشمي اليوم).

وفي عام 1946م أرسل الأستاذ سعيد الأفغاني إلى القاهرة للتّحضير لدرجة الدكتوراه، وعنوان رسالته التي وافقت عليها جامعة فؤاد الأول عام 1948م: "أدب الشام السياسي في عصر الأمويين" كذا بعد أن وافقت الجامعة المذكورة على أبحاث له سابقة، ورأت فيها أنيا تعادل الماجستير، ولكن الأستاذ الأفغاني لم يتابع العمل في بحث الدكتوراه، وعاد إلى دمشق، منقطعاً لتدريس اللغة العربية في كلية الآداب، وتدرّج في وظائفها: أستاذاً مُساعداً (1948م)، ثم أستاذاً بلا كرسي (1950م)، ثم أستاذاً كرسي اللغة العربية (1957م)، ثم عميداً لكلية الآداب (1961م-1963م). وأحيل على التقاعد آخر سنة 1968م.

<sup>(1)</sup> ظهر سعيد الأفغاني في: معجم المؤلفين السوريين 37-38، ونُشر الشام 2/925، ونظام الأعلام/109، وموسوعة أعلام سورية 139/1، والذكريات لعديله ونسبه الطنطاوي في غير جزء من أجزاء الكتاب، وسعيد الأفغاني للدكتور مازن المبارك. وانظر كذلك مقال: "ورحل الأستاذ سعيد الأفغاني" للدكتور محمود الرينادوي في: مجلة الفيصل - ص: 98-99.

<sup>(2)</sup> هو محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، أحد كبار الكتاب في عصره أدباً ولغةً وتاريخاً وفكراً إسلامياً واضحاً. ولي غير منصب: رئاسة المجمع العلمي العربي بدمشق، وتحرير جريدة الشام الأسبوعية وجريدة الزمان المصري وجريدة الظاهر... مات سنة 1372 هـ/ 1953م، بعد أن ترك لنا آثاراً نافلة، ومنها: حطّ الشام، وغابر الأندلس وحاضرها، وأمراء البيان... (الأعلام 202/6-203، وأعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري 387-388).

وهنا تحسين الإشارة إلى أن الأفغاني رحمه الله - كان قد كلف بالإضافة إلى عمله الجامعي القيام بدروس التطبيقات العملية في المعهد العالي للمعلمين لعدة سنوات، كما دعت به بعد تقاعده غير جامعة للتدريس فيها ولرئاسة القسم ووضع المناهج، وكان آخر هذه الجامعات جامعة الملك سعود بالرياض، حيث درس فيها حتى بلغ الخامسة والسبعين من العمر، ثم عاد إلى دمشق، مُخلداً إلى الراحة بعد رحلة علمية طويلة، توزعت بين التدريس والتأليف، ولكن ابنته المقيمة مع زوجها في السعودية اصططحته من جديد إليها، وفيها توفي رحمه الله - سنة 1417هـ / 1997م عن عمر قارب ثمانية وثمانين عاماً.

نعم رحم الله رجلاً فذاً كلَّ الرجل، درس وألف، وأبنت هذا فحسب، بل شارك في غير ندوة ومؤتمر، مُلقياً فيهما غير محاضرة، كما كانت له اليد الطولى في غير مجمع لغوي: المجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ولا شك بعد أن أستاذاً جليلاً كالأفغاني لم يكن ليبلغ هذه المراتب العلية، لولا علماء أجلاء كان لهم الدور في صنع هذا الرجل الفذ، وحسبنا أن نذكر منهم: أبا الفلاح صالحاً الشريف التونسي<sup>(1)</sup>، ومحمد نجيب بن حسن كيوان<sup>(2)</sup>، وبدر الدين محمد بن يوسف بن عبد الرحمن المغربي المراكشي السبتي الحسني<sup>(3)</sup>، وأحمد النويلاني<sup>(4)</sup>، وعبد الله المنجد<sup>(5)</sup>، وعبد القادر بن محمد سليم الكيلاني الشهير بالاسكندراني<sup>(6)</sup>، وأحمد بن أحمد سليم قويدر العربي<sup>(7)</sup>... وغيرهم كثير.

وأما آثاره المطبوعة في التأليف والتحقيق ومقالاته وأحاديثه الإذاعية فقد عرض لها الدكتور مازن المبارك في كتابه القيم عن أستاذه بما فيه المقنع والكفاية، وحسبنا في هذا المقام أن نجتري

<sup>(1)</sup> عالم كبير ومُجاهد. درس وقرأ الكتب العالية، وصار من أعيان نبوخ الطنفة الأولى. ثم رحل إلى المشرق. وظاف البلاد، وأقام بدمشق، ومنها ظهر علمه وقصمه. مات سنة 1338هـ / 1919م. (أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري/ 141).

<sup>(2)</sup> إمام في جامع نور الدين الشهيد، العالم الغني، الحفي الخافض. الفرج الشوفي سنة 1352هـ / 1934م. (أعلام دمشق/ 299-300).

<sup>(3)</sup> أُلدرس، والعالم بالفقه والمنطق والشحو والبلاغة والأدب. وأحدثت الأكر، وفتح الشام، وإمام المسلمين في عصره، ومُحدث القرن السابع عشر للهجرة. آثاره غزيرة، ومنها: حاشية على تفسير الخليل، وشرح على صحيح البخاري. وشرح على شاور الأنيب، وحاشية على الشمسية في المنطق، وحاشية على الأصول في علم البلاغة... مات سنة 1354هـ / 1935م. (الأعلام 157/7-158، وأعلام دمشق/ 243-246).

<sup>(4)</sup> عالم واعظ، ومُصلح فاضل، ومُدرّس في جامع بن أمية، حفظ القرآن الكريم، والقراءات العشر. مات سنة 1357هـ / 1938م. (أعلام دمشق/ 28-29، وسعد الأفغاني/ 15).

<sup>(5)</sup> شيخ قراء البلاد الشامية في عصره، الفقه الفاضل، الخافض العظام، صاحب كتاب: نزهة النظر في القراءات الأربعة عشر. مات سنة 1359هـ / 1940م. (أعلام دمشق/ 194).

<sup>(6)</sup> العالم بالأدب والبلاغة والعروض والعبادة والمقولات، تذكّر من آثاره: مورد العُفا في شمائل المصطفى، والترصيع في علم المعاني والبيان والبدع، والجواهر المعروض في علم العروض... مات سنة 1362هـ / 1943م. (أعلام دمشق/ 190).

<sup>(7)</sup> العالم بالفقه والعربية، الغني الورع، الخافض للقرآن، المُدرّس والإمام في دار الحديث بدمشق. مات سنة 1390هـ / 1970م. (أعلام دمشق/ 7).

بذكر أشهر كتبه في التأليف والتَّحْقِيق، على تقدير أنَّ من أراد التَّوسُّع يمكن له أن يجد ضالَّته في كتاب المُبارك المُلمَّع إليه<sup>(1)</sup>:

1. أسواق العرب في الجاهليَّة والإسلام.
  2. الإسلام والمرأة.
  3. عائشة والسياسة.
  4. في أصول النحو.
  5. نظرات في اللُّغة عند ابن حزم.
  6. الإغراب في جَدل الإغراب. ولَمَع الأدلَّة لابن الأنباري. (تحقيق).
  7. حُجَّة القراءات لابن زَنَجَلَة. (تحقيق).
  8. مُغني اللُّيب عن كُتُب الأعراب لابن هشام الأنصاري. (تحقيق بالمشاركة).
- ... وهكذا.

2- مفهوم الاحتجاج عند الأستاذ العلامة سعيد الأفغاني: الاحتجاج أحد أصول النحو المُهمَّة، وقد عرض له الأستاذ العلامة الأفغاني في كتابه الموسوم بـ: "في أصول النحو" بشيء من التفصيل القائم على المنهج العلمي السديد، المشفوع بالأمثلة الكثيرة التي تجعل البحث على درجة عالية من الصَّواب، فضلاً عن تفرُّده بنظرات خاصَّة في الاحتجاج بالحديث الشريف والقراءات القرآنيَّة، ولا سيَّما الشاذَّة منها. فماذا عن هذا الأصل من أصول النحو عند الأفغاني؟

أقام الأستاذ الأفغاني بحثه القيم في الاحتجاج على جملة من التَّقاط اليامَّة التي استوفت هذا الأصل النحويَّ خير استيفاء، وذلك وفق المنهج الآتي:

1- شرع بدايةً بمقدِّمة تاريخيَّة، جعلها مفتاحاً لبحثه؛ عرَّف فيها الاحتجاج، فقال: "يراد بالاحتجاج هنا إثبات صحَّة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب بدليل نقلي صحَّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة"<sup>(2)</sup>.

ثمَّ التفت إلى الأسباب الدَّاعية للاحتجاج، فرأى في اللُّحن الباعث الأوَّل على ذلك نتيجة اختلاط العُرب بالأعاجم إثر الفتوح، عارضاً للحوادث التاريخيَّة للحن عارضاً قام على جانب من التَّفصيل الواضح في المتن والحواشي على حدِّ سواء، مُفيداً في ذلك من أمَّهات المصادر في تراثنا العربي، كـ: الخصائص لابن جني، والمزهر للسُّيوطي، ومعجم الأدباء لياقوت، والأضداد لابن الأنباري، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والأعاني للأصفهاني... ومن الأمثلة التي عرض لها مُتواليه قوله: "ومرَّ عمر برجلين يرميان، فقال أحدهما للأخر: أسببت، فقال عمر: "سوء اللحن أشدُّ من سوء الرمي".

<sup>(1)</sup> سعيد الأفغاني/ 49-128.

<sup>(2)</sup> في أصول النحو/ 6.



ذلك برأي البغدادي في خزانته، وقد أجاز البغدادي الاحتجاج بشعر الإسلامي. أمّا الشاعر إذا كان مؤلداً - وأول المؤلدين بشار بن بُرد - فلا يُحتجُّ بشعره بالاتفاق إلا في المعاني (1).

وأما من حيث المكان فرأى العلماء أنّ الاحتجاج يجب أن يكون بكلام القبائل التي في قلب جزيرة العرب، ك: قريش، وقيس، وتميم، وأسد، وخذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، وردوا كلام القبائل التي على السواحل أو في جوار الأعاجم، ك: لخم، وخذام، وقضاع، وغسان، وإياد، وتغلب، والسنمر، وبكر، وعبد القيس، وأزد عُمان، وأهل اليمن، وبني حنيفة، واليمامة، وتقيف، والطائف، وحاضرة الحجاز (2).

وأما أحوال هؤلاء العرب المُحتجِّ بهم فخيرها ما كان أعمق في التبدّي وألصق بعيشة البادية، وهم أهل السراعية والصيد واللصوصية: قلوبهم قاسية، ونفوسهم قويّة، عزيزو الجانب، شديدو الحميّة، أخلاقهم جافة، لا يحتملون ضيماً أو ذلّة (3).

إنّ هذه الصّوابط القاسية من حيث الزّمان والمكان والأحوال هي التي دفعت العلماء كما يقول الأفغاني إلى إسقاط الاحتجاج بشعر شعراء معروفين من أمثال: أمية بن أبي الصلت، وعدي بن زيد العبادي، بسل الأعمى - وهو من هو - عند بعضهم، في حين أنّ من العلماء من احتجّ بقول الإمام الشافعي، وهو المتوفى سنة 204هـ لتحقّق الشروط السالفة الذكر فيه (4).

4- إذا كان الأفغاني عرض قبل لمن يُحتجُّ بعربيته وما شرط العلماء في ذلك زماناً ومكاناً وأحوالاً، فإنّه أتبع ذلك بما يُحتجُّ به، وهو عنده - كما العلماء قبل - ثلاثة أقسام: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب.

أ- أمّا القرآن الكريم فيؤيّد النصّ الصحيح المُجمّع على الاحتجاج به في اللّغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة، وكذا القول في قراءته الواصلة إلينا بالسند الصحيح وطرقه المختلفة في الأداء؛ ذلك أنّها مروية عن الصحابة وقراء التابعين، وهم جميعاً ممن يُحتجُّ بكلامهم العادي، بلّة قراءتهم التي تحرّوا ضبطها كما سمعوها من رسول الله (ص) (5).

ثمّ التفت إلى القراءة الشاذة التي منع القراء تلاوتها في القراءة، فرأى أنّ ذلك لا يمنع من الاحتجاج بها في اللّغة والنحو؛ لأنّها أقوى سنداً وأصحّ نقلاً من كلّ ما احتجّ به العلماء من الكلام العربي غير القرآن. وفي هذا المضمّار يبرز الأفغاني بقوة موقف النحاة الغريب من القراءات على اختلاف ضروبها؛ فيهم أهملوا الاحتجاج بالقراءات لقواعد النحو، بل كان الواحد منهم يُطبّق القاعدة النحويّة على القراءة، فإن وافقت القاعدة، فبها ونعمت، وإلا أشار إلى علة القراءة وضعفها،

(1) المرجع السابق/ 19.

(2) المرجع السابق/ 21-22.

(3) المرجع السابق/ 24-25.

(4) المرجع السابق/ 25-26.

(5) المرجع السابق/ 28.

مع العلم أنه كان يجب على النحاة - الحالة هذه - أن يُصَحِّحُوا القاعدة النحويَّة على أساس تلك القراءة لا العكس، مُتَّاسِينَ في ذلك أنَّ أقلَّ شروط القراءة لصحَّتْها في عُرْف القراء ثلاثة، وهي شروط قاسية على كل حال:

1- صحَّة السُّنَد إلى رسول الله ﷺ.

2- موافقتها رسم المُصحف المُجمع عليه.

3- موافقتها وجهاً من وجوه العربيَّة.

وإذا كانت هذه الشُّروط القاسية ميزاناً ضابطاً للقراءة الصحيحة، فيجب أن نعلم أنَّ القراءة الشَّاذة لا تتغلَّت كثيراً من هذه الشُّروط؛ إذ يجب أن يتوفَّر فيها صحَّة السُّنَد وموافقة العربيَّة، أو أن يخلَّ التواتر من الشرط الأوَّل ليس إلَّا، وهما شرطان كافيان لإبعاد القُدْح عن القراءة الشَّاذة، ولكنَّ النحاة لم يلتفتوا إلى هذا كله، بل بنَّوا قواعدهم على كلام العرب، جامعين نفعاً شعريَّة ونثريَّة من هذه القبيلة وتلك، ومن أعرابيِّ في الشمال وامرأة من الجنوب، ومن شعر لا يُعرف فائله إلى جملة غير منسوبة، ثمَّ يستدلُّ الأفغانيُّ على هذا الاضطراب في نظم القواعد النحويَّة بقول الفخر الرِّازيِّ في تفسيره: "إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيراً ما ترى النحويِّين مُتَحَيِّرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول، فرحوا به، وأنا شديد التعجُّب منهم؛ فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وقفاً دليلاً على صحَّتْها، فلأنَّ يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحَّتْها كان أولى". كما استدلَّ بقول ابن حزم في الفصل: "من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً، ويتخذة مذهباً، ثمَّ تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم، فيأخذ في صرف الآية عن وجهها<sup>(1)</sup>."

ولم يكن الأفغانيُّ بعد ليكتفي بذلك كله، بل تابع بقوة الرَّجُل العائم البصير بالعربيَّة وقواعدها، فعرض لجملة من الأمثلة الدامغة المُدلِّلة على تعصُّب النحاة وقصور استقراءهم وما نتج عنه من قواعد تحتاج إلى إعادة نظر أو تطوير أو تعديل، وحسبنا أن نعرض من هذه الأمثلة لمثال واحد مُطوَّل، يفتنا بشكل واضح على عبقرية الأفغانيِّ الفذة في العرض والتحليل والنقد بجرأة لا تقوم على العشوائية أو التخبط، بل على الأسس العلميَّة التي تدين المرء من فمه كما يُقال، فقال ما نصُّه: "رغم النحاة أنَّ العرب استغنت عن ماضي (يدع) ومصدره بماضي (ترك) ومصدره، فلم يريداً في فصيح كلامها. وأتى بها ابن جني شاهداً لضرب خاصٍّ من الكلام، فقال: "فإن كان الشيء شاذاً في السَّماع مُطسِّداً في القياس، تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله، من ذلك امتناعك من (ودر) و (ودع) لأنَّهم لم يقولوهما، ولا غرَّو عليك أن تستعمل نظيرهما، نحو: وزن ووعد، لو لم تسمعهما. فأما قول أبي الأسود:

(1) المرجع السابق/29-32. وانظر كذلك: حُجَّة القراءات لابن زحelle 18-19 (مقائمة المُحقَّق)؛ وفيها يشير الأستاذ الأفغانيُّ إلى أنه لم يكن بدعاً في هذا الذي ذهب إليه، ألا وهو الاحتجاج لشعر ومذاهب وقواعده وشواهد هذه القراءات التواترة، بل سغه من العلماء الجهابذة ذوي الفكر الحرِّ المُستقلِّ عادةً استشهياً بقول بعضهم.

ليت شعري عن خليلي ما الذي غالسه في الحب حتى ودغته؟

فشاذ، وكذلك قراءة بعضهم: (ما ودعك ربك وما قلى).

وهم في أقوالهم هذه خارجون على أصولهم التي أصلوها هم أنفسهم، وإليك البيان: أولاً-من المتفق عليه عند اللغويين والنحاة أنه لم يصل إلينا من كلام العرب إلا القليل، ولو جاءنا وافرأ، لجاء علم كثير، ومن المتفق عليه عندهم أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممأ في غير القرآن.

ثانياً-بعد هذا نرى أن ما ذهب إليه النحاة واللغويون غير صحيح؛ فقد استعمل الكلمة أبو الأسود في بيته السابق، ووردت في قول الشاعر:

وتم ودغنا آل عمرو وعامر  
فرائس أطراف المتففة السمر

والعلماء يثبتون استعمال الكلمة بشاهد واحد، إذا لم يخالف القياس، وكلمة (ودع) على ما مر بك من كلام ابن جني مطردة في القياس، أما قوله: "شاذة في الاستعمال" فيحبطه اعتراف النحاة بضالة ما انتهى إلينا من كلام العرب، وأن أحكامهم عامة مبنية على الاستقراء الناقص، كما يحبطه أيضاً ورود كلمة (ودع) في شعر أبي الأسود وشعر شاعر آخر.

ثالثاً-نأتي الآن إلى قراءة التخفيف في قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ فقد قرأها كذلك عروة ابن الزبير وابنه هشام، وهما من هما، بل إن الغريب في ذلك أن ابن جني نفسه نص في كتابه المحتسب على أنبا قراءة النبي ﷺ.

وفي العباب للصغاني: وقد اختار النبي ﷺ أصل هذه اللغة فيما روى ابن عباس أنه قرأ: "ما ودعك" مخففة، وكذلك قرأ عروة ومقاتل وأبو حيوة وابن أبي عبله ويزيد النحوي.

هذا، وفي النهاية لابن الأثير... تحت مادة: (ودع) حديث عن النبي ﷺ فيه استعمال المصدر الذي زعموا أنه أميت، وهو قوله: "لننتبين قوم عن ودعهم الجمعات، أو لنختمن على قلوبهم".

والطريف أن بعض المحققين ممن تأخر زمانه عن أولئك صحح خطأهم، فأثبت صاحب المصباح هذه اللغة الفصيحة في معجمه، واستنكر ادعاءهم الإمامة، فقال: "ودعته أدعته ودعا: تركته... وزعمت النحاة أن العرب أمانت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل، وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل وابن أبي عبله ويزيد النحوي: "ما ودعك ربك" بالتخفيف. وفي الحديث: "لننتبين قوم من ودعهم الجمعات..." فقد رويت هذه الكلمة عن أفصح العرب، ونقلت من طريق القراء، فكيف يكون إمامة؟. ومثل ذلك تجده في معجم المغرب للمطرزي.

وبذلك سرى تسرب الوهمي إلى بعض أحكامهم؛ إذ كانت خطتهم ينقصها الأحكام في المنهج والكفاية في الاستقراء معسا، وكان عليهم قبل إرسالها استيعاب قراءات القرآن على الأقل





أ- من الأحاديث ما يجب الاحتجاج به في اللغة والقواعد، وهو على ستة أنواع:  
1- ما يُروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته ﷺ، كقوله: "حمي الوطيس"، وقوله: "مات حتف أنفه"....

2- ما يُروى من الأقوال التي كان يتعبد بها ﷺ، كألفاظ القنوت والتَّحِيَّات...

3- ما يُروى على أنه كان يُخاطب به كل قوم من العرب بلغتهم.

4- الأحاديث التي وردت من طرق متعدِّدة، واتَّحدت ألفاظها.

5- الأحاديث التي دوَّنها من نشأ في بيئة عربيَّة خالصة، كالشافعي وغيره.

6- الأحاديث التي رواها من لا يجيزون الرواية بالمعنى، كابن سيرين وغيره.

ب- أحاديث لا يُحتجُّ بها، وهي التي لم تُدوَّن في الصِّدر الأوَّل، وإنما تُروى في بعض كتب المتأخِّرين.

ج- الأحاديث التي هي محلَّ خلاف في الاحتجاج بها، دوَّنت في الصِّدر الأوَّل، وليست من الأنواع السَّالفة الذِّكر، وهي نوعان:

1- الحديث الوارد على وجه واحد فالظاهر صحَّة الاحتجاج به.

2- الأحاديث التي اختلفت فيها الرواية... فنَجِّيز الاستشهاد بما جاء في رواية مشيورة، وأمَّا ما يجيء في رواية شاذَّة أو رواية طعن فيها المُحدِّث، فلا يُحتجُّ بها<sup>(1)</sup>.

ج- كلام العرب: يشير الأستاذ الأفغاني في هذا الموطن إلى اقتصار العلماء على تدوين كلام القبائل الضَّاربيين في وسط الجزيرة... ومن يُنعم النَّظَر في معاجم اللغة وكتب قواعدنا، يجد كتب اللغويين أوفر حظاً في الاستشهاد بالشعر والنثر على السَّواء في إثبات معنى أو استعمال كلمة، ويجد النحاة يكادون يقتصرون على الشعر ليس إلا، وقد حملوا منه على الضَّرورة الشعرية ما حملوا، مُدَّعين مخالفة أقيستهم وقواعدهم التي بنَّوها على استقرار ناقص جدًّا، فإذا أساس تلك القواعد غير متين من النَّاحية النظرية على الأقل<sup>(2)</sup>. ثمَّ يضرب في الحاشية الأمثلة الكثيرة التي تفكك على صنيع النحاة السَّالف الذِّكر، فمن ذلك قوله: "بل كان بعض قداماء النحاة لا يستشيد بشعر جرير والفرزدق والأخطل، ولا يتورَّع عن تلحينهم فيما لا ينطبق على قواعدهم؛ هذا عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي -وهو مولى- يلحن الفرزدق في قوله:

مُسْتَقْبَلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا

بِحَاصِبِ مَنْ نَدِيفَ القَطَنِ مَنثور

عَلَى عَامِنَا تَلْقَى وَأَرْحَلُنَا

عَلَى زَوَاحِفِ تُرْجَى مَخْهَارِيرِ

<sup>(1)</sup> إلى أصول الشعر 55-58.

<sup>(2)</sup> المرجع السابق 59-60.

ويقول له: "ألا قلت: على زواحف تزجيبها محاسير، فيغضب الفرزدق قائلاً: والله لأهجوئك بيت يكون شاهداً على السنة النحويين أبدأ، ويهجوه بقوله:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

فيستمر عبد الله في تلحينه، ذاهباً إلى أنه ينبغي أن يقول: مولى موال. ثم يخضع الفرزدق لسلطان النحو، فيتشوق إلى أن يصلح ابن أبي اسحاق ما في شعره من خلل<sup>(1)</sup>.

5- ويختم الأفغانسي بحسنة يذكر بعض قواعد العرب في الاحتجاج، وقد اقتبسها بتصريف من كتاب الاقتراح للسبوطي<sup>(2)</sup>، ولكنه لا يجتزئ بذلك، بل يعقب على بعض تلك القواعد تعقيب العالم البصير الواسع الإطلاع الكثير المدايسة والممارسة، وقد تجلّى هذا في قوله: "هذا خلاصة ما أتى به السبوطي من قواعد في الاحتجاج، بعضه موضع نظر اليوم، وبعضه سليم لا خلاف فيه:

فأمّا الذي هو موضع نظر اليوم فكالقاعدة الثالثة<sup>(3)</sup> والسابعة<sup>(4)</sup>، لقد كان الأقدمون يسجلون كل ما يسمعون حينئذ، ولو لغية رديئة أو لهجة ضعيفة، فكثرت الوجود في المسألة الواحدة دون تمييز بين ما عليه أكثر العرب وما انفرد به بعضهم. والهدف اليوم التنظيم والتثذيب والأخذ بالوجه الواحد الأصح، فلا يستعمل غيره إلا في الضرورات، وخير أن نحفظ في المطولات للفائدة العلمية النظرية دون استعمال. فلئن كان هدفهم قديماً الاستكثار من المعلومات والتباهي، إن هدفتنا اليوم تعميم اللغة النصحى وتيسيرها في نظام منسق يخفف ما قد يكون عالقاً بقواعدها من تطويل وتفرغ وشذوذ على قلته.

وأما الذي يجب أن يبقى منياً مُحكماً في امتحان كل قاعدة فإسقاط الاحتجاج بما يتطرق إليه الاحتمال، وما تأخر زمان صاحبه عن زمن الاحتجاج، ومجهول القائل<sup>(5)</sup>.

ويبدو بعد أن دراسة الأستاذ الأفغانسي للاحتجاج بعق دفعته إلى وضع جملة من القواعد الإضافية في الاحتجاج، يمكن أن يكون لينا دورها في تطوير مفهوم الاحتجاج ودفعه خطوات إلى

(1) المرحع السابق/ 60.

(2) الاقتراح/ 58-73، وفي أصول النحو/ 62-65.

(3) مُضرد في الاستعمال، شاذ في القياس، نحو موم: استجود، استنوق، استنصب، والقياس الإعلال: استجاد. (في أصول النحو/ 62).

(4) كثيراً ما تروى الأبيات على أوجه مختلفة، ويكون الشاهد في بعض دول بعض؛ روي قول الشاعر:  
ولا أرض أبقا إنياليا

على وجه ثان:

ولا أرض أقلت أنياليا

بالشذوكر مسرّة، وبالثنائيت مع نقل حركة الميمرة إلى الشاء مرة أخرى. فإن صح أن الثنائيت هو الثنائيت بالشذوكر، صح الاستشهاد به على الجواز من غير الضرورة، وإلا فقد كانت العرب يُشدد بعضهم شعر بعض، وكل يتكلم على سجيته التي فطر عليها، ومن هنا تكثر الروايات في بعض الأبيات (في أصول النحو/ 64).

(5) في أصول النحو/ 65-66.

الأمم، ولا سيما أنه رأى أن صنيع النحاة المتقدمين خامرته ثغرات واضحة، يمكن لنا أن نجملها عنه بالنقاط التالية:

- 1- لم يصدر النحاة في تنسيق قواعدهم عن خطة محكمة شاملة.
- 2- لم يدرسوا الرواة وأحوالهم، ومنهم الثقة، ومنهم غير ذلك.
- 3- لم يحققوا النصوص التي بنوا عليها أحكامهم: لا سنداً، ولا متناً.
- 4- تفرطهم بقسم كبير من اللغة حين أهملوا الاحتجاج ببعض القراءات التي قرئ بها القرآن، وكذا أهملوا الاحتجاج بالحديث النبوي<sup>(1)</sup>.

أمّا هذه القواعد الإضافية فيمكن لنا أيضاً تلخيصها في جملة من النقاط التي تكشف النقاب عن عبقريّة هذا العالم في النحو، ونظراته الثاقبة فيه الداعية إلى إعادة النظر في كثير من القواعد النحوية التي تحتاج إلى تشذيب أو تطوير أو حذف أو ما إلى ذلك:

- 1- لا يُستجّل للقاعدة بكلام له روايتان متساويتان في القوة: إحداهما تؤيّدُها، والأخرى لا علاقة لها بها؛ لاحتدال أن تكون الثانية هي التي قالها المتكلم.
- 2- لا يُبنى على شاهد قبل تجزيه والتوثق من ضبطه؛ إذ كثيراً ما ترد الشواهد في كتب النحاة مُحرفّة، ويكون موضع التحريف هو موضع الاستشهاد على القاعدة.
- 3- لا يُكتفى بالكلام الأبر؛ إذ كثيراً ما يكون داعية الخطأ في المبنى والمعنى.
- 4- ينبغي التفريق بين ما يُرتكب للضرورة الشعرية وما يُؤتى به على السعة والاختيار، ففي جعل الضرورات الشعرية قانوناً عاماً للكلام نظمته ونشره الخطأ كل الخطأ<sup>(2)</sup>.

من خلال ما تقدّم كلّه نجد الأستاذ العلامة الأفغاني وقفنا على دراسة محكمة مُمنهجة للاحتجاج في اللغة العربية، تخلّلتها آراؤه الثاقبة، آراء العالم البصير الحاذق بالنحو وأصوله، داعياً إلى النظر بعين الإنصاف لصنيع النحاة المتقدمين الذين بذلوا من الجهد المشكور عليه في استنباط القواعد وتبويبها ما بذلوا، ولكنهم حجّروا واسعاً في بعض الأحيان حين لم يُعطوا القراءات القرآنية والحديث الشريف حقهما كاملاً في الاحتجاج.

ومن الواضح أن الأستاذ الأفغاني لم يُطلق هذه الصيحة إلاّ ليدفع بعلماء اليوم إلى استدراك ما فات السلف، بحيث يخرجون بعد الدراسة الفاحصة بلباس للنحو جديد، خالٍ من الشوائب التي تعكر صفوه، وقد تناثرت في مُصنّفات الأقدمين هنا وهناك. والله المُوفق.

\*\*\*

(1) المرجع السابق/ 46-70.

(2) المرجع السابق/ 66-70.

مسرد المراجع

- \* إتمام الأعلام (نيل لكتاب الأعلام للزركلي): د. نزار أباطة، ومحمّد رياض المالح- ط1: دار صادر- بيروت 1999م.
- \* الأعلام: الزركلي- ط8: دار العلم للملايين- بيروت 1989م.
- \* أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: د. محمّد عبد اللطيف صالح الفرفور- ط1: دار الملاح، ودار حسّان، دمشق 1408هـ/ 1987م.
- \* الاقتراح في علم أصول النحو: السيوطي- تح: د. أحمد محمّد قاسم ط1: مطبعة السعادة- القاهرة 1396هـ/ 1976م.
- \* حجة القراءات: ابن زنجلة- تح: سعيد الأفغاني- ط5: مؤسسة الرسالة- بيروت 1422هـ/ 2001م.
- \* التكريات: علي الطنطاوي- ط2: دار المنارة- جدة 1981م.
- \* سعيد الأفغاني حامل لواء العربية وأستاذ أساتذتها: د. مازن المبارك- ط1: دار القلم- دمشق 1423هـ/ 2002م.
- \* عبقريات وأعلام: عبد الغني العطري- ط1: دار تحقيقات كافيير سوري
- \* البشائر- دمشق 1417هـ/ 1996م.
- \* غرر الشام في تراجم آل الخطيب الحسينية ومُعاصريهم: عبد العزيز الخطيب الحسني- ط: دار حسّان- دمشق 1417هـ/ 1996م. (تقديم أحمد المحاميد).
- \* في أصول النحو: سعيد الأفغاني- ط: دار الفكر- دمشق 1983هـ/ 1963م.
- \* مُعجم المؤلّفين السُوريين في القرن العشرين: عبد القادر عيّاش- ط1: دار الفكر- دمشق 1405هـ/ 1985.
- \* المُعجم الوسيط: علي النجدي ناصف، وصحبه- ط: مكتبة النوري- دمشق- د. ت. (مصورة عن الطبعة الثالثة الصادرة في القاهرة/ 1985م).
- \* موسوعة أعلام سورية في القرن العشرين: سليمان سليم البواب- ط1: دار المنارة- دمشق- بيروت 1999م- 2000م.
- المجلّات
- \* مجلّة الفِصل: الرياض- ع: 246-1417هـ/ 1997م.



الثلاثين سنة الماضية، بين الفينة والفينة، ضجّت مصطنعة، وأصوات مريبة، تجتمع على التشكيك في صلاح اللغة العربية لحياتنا الحاضرة. وعلى الشكوى من صعوبتها، وكأنّ جهازاً مُستِراً يبعث هذه الأصوات في كل قطرٍ على ميعاد، وبقدرٍ معلوم يناسبه، ثم يرصد صداها بدقة، استعداداً لجولة ثانية، يُصلحُ فيها من خطئه ومظاهر دعايته على هذّي ما رُصدَ في الجولة السابقة.<sup>(1)</sup>

لقد ظلّم النحو العربي ظلماً ما بعده ظلم، حينما شاع القول إن النحو صعب لا يُفهم، ظلّم من بعض ذوي القربى الذين توجّهوا بجهودٍ مشتتة نحو ما يُسمّى (تيسير النحو) وكنّت دائماً ممن يؤمنون بأن النحو في جوهره وفي قضاياها الأساسية ليس صعباً الصعوبة التي تشاع عنه، ولكن شأنه شأن العلوم الأخرى بحاجة إلى دراسة جادة، وبحاجة إلى اعتناء وتهذيب.

وهذا البحث قد شغل أفكار كثيرين من أهل العلم فرادى وجماعات، وازداد الإقبال عليه في هذا العصر ازدياداً مثيراً. ففي المكتبة النحوية في غضون أربعين عاماً أزيد من أربعين كتاباً اختار لها أصحابها تسميات تدل على توجُّههم نحو التيسير.

### غاية كتاب الموجز في قواعد اللغة العربية

وراء هذا الكتاب غايات متعدّدة:

غايات ينشدها طلابُ العلم، فقد ألقى معظم أبحاث هذا الكتاب على طلبة كلية الآداب - قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، والجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية - وكانوا قد وجدوا فيها شوقاً لمتابعة أسرار اللغة العربية، تدبّراً وتدقيقاً، ليصلوا إلى سموّ بلاغتها، ورفد ثقافتهم بسحر هذه اللغة.

وغايات تنسبّه كلُّ ذي رُشدٍ في فكره وذوقٍ في نفسه إلى أسلوب دراسة اللغة العربية، وما انحدرت إليه من الضحالة والسطحية، والضعف، مع كل ما انتهى إليه طلابها من فساد الذوق وعجمة اللسان، وفهاهة البيان.

وغايات تقضح أساليب أعداء هذه الأمة الذين يحاولون التشكيك والشكوى من أن: الصعوبة التي يجدها الطلاب كامنة في اللغة العربية نفسها، أو في نحوها وفي أحرفها وفي إعرابها كما ينادي بعضهم بإبعاد هذه الأمة عن ثقافتها العربية، وحجبها عن فهمها وتدقيق أسرارها.

وغايات تناسب متطلبات هذا العصر، فلم يُعَدَّ عرضُ القواعد في الجامعات دون مناقشة ما تستند إليه من شواهد مقبولاً؛ لأن الشواهد روح تلك القواعد تضيء عليها حياةً ومثمةً وأصالةً. وعلى هذه المادة في الجامعات أن تكون ثقافة شواهد أكثر مما هي ثقافة قواعد.

(1) من حاضر اللغة العربية للأستاذ سعيد الأعرابي: ص 202.









وعليه - حين تقسيم الفقرة إلى جملتها - ألا يحكم على ابتداء جملة إلا بعد استيفاء الجملة السابقة ركنيها (المسند والمسند إليه)، وعندئذ ينظر في علاقاتها بما قبلها ليتبين إعرابها بناءً على ذلك. ونلفت الانتباه إلى أنه كما يكون للجملة الواحدة إعرابٌ يكون لمجموع من الجمل إعرابٌ كذلك. وأوضح شاهد لتيسير هذا الفهم جملة مقول القول مثلاً، مجموعهُ في محل نصب مفعول به لـ(قال)، لكن كل جملة فيه يجب أن يُنظر إليها مستقلةً، فجملة الأولى ابتدائية، لأنها أول ما تكلم به القائل، والتي بعدها بحسب علاقتها بها، وهكذا. (1)

### ب. جواز وقوع الفاعل جملة:

كثيرٌ من النحاة لا يقولون بوقوع الجملة في محل فاعل، إلا إذا أُريدَ بها لفظها، والمعنى لا يقرهم على ذلك؛ ولم يأتوا بمسوّغ مقبول لهذا المنع، فقد قالوا: إن الفاعل في قوله تعالى: ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ [إبراهيم 45] مصدر تبين، والتقدير تبين لكم التبين، وجملة (كيف فعلنا بهم) بدل من المصدر المقدر أو مفسر له، فوقعوا فيما هربوا منه.

والتأويل الواضح: تبين لكم حال فعلنا بهم. (2)

### ج. تقديم المفعول به على الفاعل:

يجب تقديم المفعول على الفاعل في حالات منها:

أن يكون الفاعل محصوراً بـ (إنما)، فيجب تقديم المفعول به، مثل (إنما كسر الزجاج خالد).

قال الأستاذ: وأكثر النحاة على وجوب التقديم إذا كان الحصر بـ (إلا) أيضاً مثل: (ما كسر الزجاج إلا أخوك) وإنما لم يوجب بعضهم ذلك لوجود شواهد شعرية عدة، لم يلتزم فيها التقديم في هذا الحال.

والأولون عدّوا ذلك من الضرورات الشعرية، وهون الأمر عندهم عدم الالتباس فيها، والعمل على مذهبهم لأنه أقيس وأجود.

وعبارة الأستاذ: "هون الأمر عندهم عدم الالتباس فيها" هو مراد الأمر في معرفة التقديم والتأخير الذي وجبت القاعدة النحوية من خلاله ومن خلال بعض الشواهد التي أجازها خذاق النحويين من البصريين والكسائي والفراء وابن الأنباري. كقول دعبل الخزاعي:

ولمّا أسى إلا جماحاً فزاده      ولم يسئل عن ليلى بمالٍ ولا أهلٍ

وقول الآخر:

تزوّدت من ليلى بتكليم ساعة      فما زاد إلا ضعفت ما بي كلامها

(1) النوح: ص 404.

(2) النوح: ص 396.

وقول زهير:

وهل يُنبِتُ الخَطِيَّ إلا وشيجه وتُغرسُ الأُفسي منابتها النخلُ

وقد اجتمع في البيت تقديم المفعول (الخطي) على فاعله (وشيجه) وتقديم الجار والمجرور. وهو قوله (في منابتها) على نائب الفاعل وهو (النخل) مع أن الجار والمجرور محصور بإلا، ولما كان الجار والمجرور بمنزلة المفعول، وكان النائب عن الفاعل بمنزلة الفاعل صحَّ الاستدلال بهذا البيت على جواز تقديم المفعول المحصور بإلا على الفاعل<sup>(1)</sup>

### د - أصل بحث الاشتغال:

قال الأستاذ:

جَرَتْ عَادَةُ السُّحَاة أَنْ يذُكُرُوا [في بحث المفعول به] المواضع التي يجب فيها رفع الاسم المشتغل عنه، والمواضع التي يرجح فيها رفعه، ونحن لم نذكرها أعلاه [أي في متن البحث] لأنها حينئذ ليست من المفعول به في شيء، وإليك خلاصتها:

أ - يجب رفع المشتغل عنه:

1- إذا وقع بعد (إذا) الفجائية؛ لأنها لا تدخل على الأفعال لا لفظاً ولا تقديراً، مثال: (قَدِمْتُ فإذا الناسُ يضربُهُمُ الشُّرطُ).

2- إذا وقع بعد واو الحال، مثل (وقفتُ ويدي يمسكها وأدي).

3- إذا وقعت بعد أداة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها مثل أدوات الشرط والتحضيض. والاستفهام وإن وأخواتها، وما التعجبية وكم الخبرية، وما النافية، مثل:

أخوك إن تكرمه يُطعك.

كتابي هل رأيتُه؟

الدنيا كم أحببنا المغرورون!

حظك ما أحسنه!

جارك ما رأيتَه.

ب - يـسـرـجـحُ الرفع إذا لم يكن مُوجِباً ولا مرجحاً للنصب، مثل: (أخرك أكرمتَه) وذلك لأن الرفع لا يحتاج إلى تقدير فعل محذوف يفسره المذكور كما هو الحال في النصب.<sup>(2)</sup>

ج - البلاغة في حذف الفعل:

من تراكيب الإغراء والتحذير ما يُحذف منها الفعلُ وجوباً وذلك في مواضع، منها:

<sup>(1)</sup> الموحج: ص 267، وانظر أوضح المسالك لابن هشام 362/1 - 364.

<sup>(2)</sup> الموحج: ص 272 - 273.



موصول أضيف إليه معنى الشرط ففك صلته بفعله لفظاً لا معنى. (1)

### و- ترجيح جواب الشرط المناسب:

من بلاغة العربية حذف جواب الشرط. ومن أمثلة ذلك الشاهد الذي تناوله معظم المفسرين والمعربين، وهو قوله «وإن كان كُبر عليك إعراضهم، فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى» [الأنعام: 35].

وقد استرعت بلاغتها الأنظار، وفيها قد حذف جواب الشرط. قال الأستاذ:

وجواب (فإن استطعت) المحذوف هو: (لم يؤمنوا). لا (فافعل). كما يقدّره كثير من النحاة والمؤلفين، غفلة عن المعنى المناسب. (2)

من المعربين الذين حذفوا هذا الجواب أبو زكريا الفراء. قال فافعل. بذلك جاء التفسير. وذلك معناه، وإنما تعلقه العرب في كل موضع يُعرف فيه معنى الجواب، ألا ترى أنك تقول للرجل: إن استطعت أن تتصدق، إن رأيت أن تقوم معنا، تترك الجواب؛ لمعرفتك به...

وأخذ هذا الرأي العكيري أيضاً، والزجاج فقال: إن استطعت هذا فافعل،... لأنه قد يحذف ما في الكلام دليل عليه، ومثل ذلك قولك: إن رأيت أن تمضي معنا إلى فلان، ولا تذكر: فافعل. (3)

ولم يتعرض لبيان بلاغة الحذف الذي كان في غاية الحسن، لأنه قد انضم لوجود الشرطين وهما:

أ - أن يكون معلوماً.

ب - أن يكون فعل الشرط ماضياً.

طول الكلام، وهو مما يحسن معه الحذف.

تعزير البحث بالشواهد والأمثلة:

عرف الأستاذ أن غنى الدرس النحوي لا يتحقق من خلال عرضه نظرياً فحسب - وخاصة في مجال النحو - وإنما غناه بالشواهد والأمثلة التي تنير البحث وتوسع أفق الطالب ومداركه، وأيقن أن القلوب والأفكار جُلبت على التأثر بالأمثلة وثبتت المعاني فيها بواسطة، فراءة في فهم، وحفظاً في وعي، فأبدى أصولاً راسخة حول الشواهد وقواعد الاحتجاج بها. صدرت كتابها لما فيها من توجيهات دقيقة في مسالك النحو العربي وما بُني عليها من قواعد، وقيمتها في الاحتجاج، وهي - كما ذكرت في الكتاب: (4)

(1) المرجز: ص 89. وانظر الباحثة المرصية المتعلقة من الشرطية لاس هشام، تحقيق الدكتور مازن المبارك. ط 3.

(2) المرجز: ص 280.

(3) انظر معاني القرآن 1/131، معاني القرآن للأخفش 1/280، الكشاف 1/397.

(4) المرجز: 25 - 8.



عرفت أن الشاهد على اجتماع (كي) و(أن) مجهول القائل وبذلك حبطت القاعدة، لكن بعضهم احتج بقول جميل العذري وهو ممن يحتج به:

فَقَالَتْ أَكُلُ النَّاسِ أَصْبَحَتْ مَانِحًا لِسَانِكَ كَيْمَا أَنْ تَغَرَّ وَتَخَذَعَا

وبرجعنا إلى الديوان نطلع على الرواية الصحيحة وهي:

...لسانك هذا كي تغرّ وتخذعا

فالرواية التي احتجوا بها محرّفة في موضع الاستشهاد نفسه، وإذا لا صحة للقاعدة المزعومة، فالواجب تحرير الشاهد والتوثق من ضبطه في مظانه السليمة قبل البناء عليه.

7- كما يفيد جداً الرجوع إلى الشاهد في ديوان صاحبه إن كان شعراً، يفيد الرجوع إلى مصادره الأولى إن كان نثراً لمعرفة ما قبله وما بعده، فكثيراً ما يكون الشاهد الأبرّ داعية الخطأ في المعنى والمبنى:

زعم بعضهم جواز مطابقة الفعل لفاعله المتأخر في الإفراد والتثنية والجمع فأجاز قول: (جاؤوا الطلاب) واحتجّ بحديث في موطأ مالك: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة النهار...". ولا غبار على الاحتجاج بالحديث البتة، ولكننا حين رجعنا إلى (موطأ مالك) وجدنا للحديث أولاً وهو: "إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم: ملائكة في الليل وملائكة في النهار..." وإذا لا شاهد صحيحاً على قاعدتهم المزعومة.

8- ينبغي التفريق بين ما يرتكب للضرورة الشعرية وما يؤتى به على السعة والاختيار، فإذا اطأنت النفس إلى بناء القواعد على الصنف الثاني ففي جعل الضرورة الشعرية قانوناً عاماً للكلام نثره ونظمه الخطأ كل الخطأ: ادعى بعضهم جواز الرفع بـ(لم) مستشيداً بقول قيس بن زمير:

ألم يأتيك والأبأء تنمي بما لاقت لبون بنسي زياد

فإذا فرضنا أن الشاعر قال (يأتيك) ولم يقل مثلاً (يبلغك)، يكون قد ارتكب ضرورة شعرية قبيحة، ولا يجوز البتة أن تبنى قاعدة على الضرورات.

9- المعول في امتحان أوجه الإعراب والترجيح بين أقوال النحاة على المعنى قبل كل شيء، فهو الذي يجب أن يكون الحكم في كل مناقشة وموازنة وترجيح، وإذا دار الأمر بين مقتضيات المعنى ومقتضيات الصناعة النحوية التزمت الأولى دون الثانية:

ففي تعليق إذا والظروف الشرطية قولان: قول الجمهور أن تعلق بفعل الشرط، وقول غيرهم بتعليقها بجواب الشرط؛ (إذا حضرت أكرمك) فالجمهور يجعل الظرف متعلقاً بـ (حضرت) وغيرهم يعلقه بـ (أكرم)، والمعنى بنص على أن الإكرام يقع عند الحضور، لا أن الحضور يقع عند الإكرام، وإذا فقول الجمهور لا يؤيده المعنى، والصحيح تعليقه بجواب الشرط.

10- يُفَضَّلُ في كُلِّ مقام فيه إعرابان، الإعرابُ الذي لا يحتاج إلى تقدير محذوف: في جملة المدح (نعم الرجل خالد) يجعل البصريون (خالد) خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً لتقديره (هو) أو (المدح) فيكون التركيب جملتين، جملة (نعم الرجل) وجملة (هو خالد).

أما الكوفيون فيجعلون (خالد) مبتدأ مؤخرًا وجملة (نعم الرجل) خبراً مقدماً من غير تقدير محذوف. وهذا القول صواب لإغنائنا عن تقدير محذوف أولاً، ولأن العرب تقول (خالد نعم الرجل) ثانياً.

11- إذا ألجأت أحكام الصناعة إلى تقدير محذوف، قبل هذا التقدير بشرطين:

1- ألا يلجئ إلى إخلال بالمعنى.

2- وأن يسوغ السلفُ به دون رِكةٍ أو خروج على الأسلوب العربي المشهور: يجعلون لهزمة الاستفهام تمام الصدارة حتى على حروف العطف، فلا نقول: وأذهبت؟ كما نقول (وهل ذهبت؟)، وإنما نقول (أَو ذهبت؟) لكن الزمخشري زعم في مثل قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم...﴾ أن الفاء عاطفة في صدر جملتها وأن الهزمة داخله على جملة محذوفة وأن التقدير: أقعدوا فلم يسيروا.

والطبع السليم نجد رِكةً في هذا التقدير وبعداً عن البلاغة، ووجوب إهمال هذا المذهب لسخفه<sup>(1)</sup>.

فهم المعنى لتوجيه الإعراب:

إن المتتبع لمنهج الأستاذ في محاضراته وفي كتبه لاسيما (الموجز) ليدرك منه أمرين:

أولهما: استمداد الأستاذ الأفغاني من نبع النحو العربي في كتبه الأصول، لاسيما "المفصل" للزمخشري بترتيبه المعهود.

ثانيهما: صياغة قواعد النحو صياغة واضحة جداً، تسيل للطالب مأخذه وتقرب أمره.

وغاية هذه الصياغة مبنية على فهم المعنى، ومن خلاله يتم توجيه الإعراب، وقد أدرك المؤلف أن وراء كل تفسير إعرابي معنى يناسبه، ودلالة توضحه، أبلغ الكلام ما تنوعت وجوه إفادته. من هنا نبه؛ وهو يحدثنا عن نصب المضارع بعد أو المعية المفيدة معنى (مع) مثل: (لا تشرب وتضحك) فأنت لا تنهاه عن الشرب وحده، ولا عن الضحك وحده، وإنما تنهاه عن أن يضحك وهو يشرب؛ نبه إلى أمر مهم فقال: "شاع بين المتعلمين وبعض النحاة استواء الحركات الثلاث المشهور (لا تَأْكُلُ السَّمَكُ وتشرب اللبن)، وهذا ليس بسديد، والحق أن لكل من الحركات معنى؛ فإذا نصبت (تشرب) فأنت تنهاه عن أن يقرن العملين في وقت واحد، وإذا جزمتم الفعلين كان النهي منصباً على كل منهما مقترنين ومفترقين، وإذا رفعت اقتصر النهي على أكل السمك، وأخبرت أنه

(1) الموجز: ص 9.





عمل لها، وتَحْمَلُ أحياناً قَلِيْلَةً على (غير) وجوباً، فيوصف بها وبما بعدها، وذلك حين يُفسدُ المعنى على الاستثناء، مثل «لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدنا» [الأنبياء: 22].

قال الأستاذ: إن المعنى لو كان في السماء والأرض إله غيرُ الله لفسدنا، فالقصدُ نفي كلِّ إله غير الله، وبهذا رادفتُ (إلا) كلمة (غير) التي يُوصف بها غالباً. ولو كانت للاستثناء. لكان المعنى: لو كان فيهما آلهة ليس الله معها لفسدنا، ولكنهما لم تفسدا لوجود الله معها. وهو كما ترى معنى باطل، غيرُ مقصود البتة.

وتُعرب (إلا الله) معاً صفةً لـ(آلهة) كما يُوصف بالجار والمجرور معاً في قولنا: (هذا رجلٌ على فرس)<sup>(1)</sup>.

وأصالةُ هذا الفهم من المعنى هو ما أدركه سيبويه، إذ خصَّص لهذه المسألة باباً، عنوانه: هذا باب ما يكون فيه إلا وما بعده وصفاً بمنزلة مثل وغير، وذلك قولك لو كان معنا رجلٌ إلا زيدٌ لعلبنا، والدليل على أنه وصف أنك لو قلت: لو كان معنا إلا زيدٌ لهلكنا، وأنت تريد الاستثناء لكنك قد أحلت (21)... وعبرة (قد أحلت) هي غاية مقصود سيبويه من فهم المعنى.

تجنبُ الإسراف في التقديرات:

يرى الأستاذ الأفغاني أن إبعاد بعض التقديرات المتكلفة جزء من تيسير النحو. فلا يُعطى تركيب بلاغي فوق ما يحتمل ولا ينبغي استهجانُ عقل المتعلم وتعرضه لمعلومةٍ يشعرُ معها بالاستخفاف بقدراته الفكرية. وقد يُدخل الضمُّ على اللغة نفسها.

من أمثلة ذلك حديثه عن (ليس) وعملها في تركيب الكلام. والمعروف أن هذا الفعل يدخل على الجملة الاسمية. وله عمل، وقد يدخل على الجملة الفعلية التي فعلها مضارع، فيل يبقى له عملٌ ويوجهُ التوجيه السابق؟

قال الأستاذ: بل توغل أحياناً في الجمود، فتصيحُ مثل حرف النفي، كقول البحرني:

ليس يُدرى أصنع إنسٍ لجنٌ سكونه أم صنع جنٌ لإنسٍ

فهي هنا بمنزلة (لا). وما ذهب إليه هو الرأي الشديد الميسر، لكن بعضهم يتكلف فيقدر لهما ضميراً شأن محذوقاً، زاعماً أن الأصل: ليس الشأن يدرى أصنع... الخ<sup>(2)</sup>

وبمثل هذا التوجيه نعرب (ليس) حرفاً نافياً في قول الشافعي:

ورزقك ليس ينقصه التأني وليس يزيد في الرزق العناء

وقول المعري:

(1) الموحز: 314.  
(2) الكتاب 3/311.

ولو أتى حِينتُ الخُلْدُ فرداً      لَمَسَا أُحْبِبْتُ بِالْخُلْدِ انْفِرَاداً  
فلا هَطَلْتُ عَلَيَّ ولا بَارِضِي      سَحَابُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَاداً

وما ذهبَ إليه الأستاذ هو توجيه أخذ به ابن السراج (316هـ) وتابعه الفارسي في كتابه الحليّات، وابن شقير، وجماعة حين توجّهوا لبيان المعنى والتخفّف من التكلّف، خلافاً لمن أنكر ذلك.

قال ابن السراج: أنا أفتيّ بفعلية (ليس) تقليداً منذ زمن طويل، ثم ظهر لي حرفيتها (23).

وشاهد آخر نرى توجيهاً ميسراً فيه للأستاذ حين نظر إلى تراكيب الاستثناء التي ضمنت: خلا، عدا، حاشا. فالسحويون يجعلون هذه الأدوات أفعالاً ماضية جامدة، والاسم بعدهن مفعولاً به، ويقدرّون الفاعل مشتقاً من الحكم قبّلهم، ويجعلون (ما) مصدرية، فيكون التقدير في نحو: يقرأ الطلاب ما عدا اثنين منهم: عدا القراء اثنين منهم، أو عدت القراءة اثنين منهم، والجملة كلها حال من المستثنى منه، كأنهم قالوا: يقرأ الطلاب خالين من اثنين منهم.

والمعربُ — لا شك — يلمس جانباً من الصعوبة في هذا التقدير الذي لم يخطر في بال العربي، فخير من هذا أن نجعل هذه الأفعال حين جمّدت شبة الأدوات لا فاعل لها ولا مفعول، يجب النصب بها مع (ما) لأنها لا تزد إلا مع ما أصله الفعل، ويجوز الجرّ والنصب حين حذف (ما) فيكون ما بعدها مجروراً لفظاً في محل نصب على الاستثناء لأنها أحرف جر شبيهة بالزائد.

ويقال الكلام نفسه في: (ليس) و(لا يكون) في هذا الباب أعني باب الاستثناء، إذ تعتبر التركيب تركيباً استثنائياً رادفت فيه الأدواتان (إلا) فنصب ما بعدهما على الاستثناء وجوباً. وبذلك استغننا عن اسم وخبر لاستعمالهما استعمال الحرف<sup>(1)</sup>.

وأخيراً:

فهذا كتاب الموجز في قواعد اللغة العربية، وُضع وضعاً تعليمياً من قبل واحد من أعلام العربية انابيسن، ليفي فيه بحاجة الطلاب إلى علم النحو والصرف، نرجو أن يستفيد منه القامون على تعليم العربية، فيقتفون أثره في وضع مناهج النحو موضع البساطة والوضوح وكثرة الشواهد والأمثلة، واستعانة بفصيح كلام العرب والبيان القرآني للوصول إلى تحقيق الهدف من تعليم النحو العربي وترغيب دارسيه بنقله من كونه علماً تغلب عليه النظرة العقلية — حتى أمسى منطوقاً تجردياً في بعض الكتب — إلى كونه علماً يلبي حاجة الدارسين إلى فهم أعمق ووسيلة أيسر لتعرّف أسرار العربية وتدوق نصوصها، وجعلها أداة للتعبير الصحيح عن متطلبات حياتنا العقلية والمادية.

والكتاب ثمرة خبرة طويلة، فضاها الأستاذ مشرفاً على مناهج التربية والتعليم وتطبيقها في علوم اللغة العربية، ففى عدد من الأقطار العربية، دمشق وبيروت ومصر والعراق وغيرها.

<sup>(1)</sup>المرح: 315 — 316.

تُظَاهِرُهَا مَعْرِفَةٌ حَقَّةٌ بِأَحْدَثِ أُسَالِيبِ التَّرْبِيَةِ، وَطَرِيقِ التَّدْرِيسِ وَبِرْعَايَا إِيمَانٍ صَادِقٍ بِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ وَسِيلَةً لِلتَّفَاهُمِ بَيْنَ الْعَرَبِ فَقَطْ، بَلْ هِيَ الرِّبَاطُ الرُّوْحِي الْوَثِيقُ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَهُمْ عَلَى مَرِّ الْعَصُورِ، وَالْمَاعُونَ الطَّاهِرِ الَّذِي صَبَّتْ فِيهِ عَصَارَةُ أَفْكَارِهِمْ وَتَجَارِبِهِمْ، وَالسَّجَلُ الْخَالِدُ الَّذِي حَفِظَ أَمْجَادَ الْعَرُوبَةِ فِي مَاضِيهَا وَحَاضِرِهَا، وَرَسَمَ الطَّرِيقَ إِلَى غَدَاهَا الْمَشْرِقِ، وَمَسْتَقْبَلِهَا الزَّاهِرِ الْبَسَامِ، وَكُلَّ جِهَدٍ يَبْدُلُ فِي تَيْسِيرِ هَذِهِ اللُّغَةِ، وَتَمْكِينِهَا مِنْ مَسَايِرَةِ النُّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ لَبْنَةٌ مِنْ أُرْسِخِ اللَّبْنَاتِ فِي صِرْحِ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّامِخِ.

لَقَدْ أَدَّى الْأَسْتَاذُ الْأَفْغَانِي لِنَدِينِ وَالْوَطَنِ وَالْعَرَبِيَّةِ حَقًّا كَانَ أَدَاؤُهُ - فِيمَا يَرَى - عَلَيْهِ لِرِزْمًا، وَإِنْسَاؤُهُ أَوْ نَسْيَانُهُ عَقُوقًا وَنَكَرَانًا. وَلَقَدْ اِمْتَنَزَ الْأَسْتَاذُ سَعِيدُ الْأَفْغَانِي بِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ التَّأْلِيفِ وَالتَّعْلِيمِ، وَكَانَ دَابَّةَ الْاِسْتِقَامَةِ وَالْجِدِّ فِي مَسَالِكِ حَيَاتِهِ كُلِّهَا.

\*\*\*

### المصادر والمراجع

- |  |   |
|--|---|
| 1 - الأشباه والنظائر: السيوطي، ط/ حيدر آباد. د. ت.                                       | القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1983.  |
| 2 - أروضح المسالك: ابن هشام. دار إحياء التراث العربي 1968م.                              | 6 - معاني القرآن: الأخفش: تح: فائز فارس، ط3، دار البشير، الكويت، 1981.            |
| 3 - رسائل ابن حزم: دار الأفاق، بيروت ط2، 1983.   | 7 - مغني اللبيب: ابن هشام. تح: د. مازن المبارك وعلي حمد الله، ط3 دار الفكر 1973م. |
| 4 - النباحث المرضية المتعلقة بـ(س) الشرطية: الدكتور مازن المبارك. ط/ دار ابن كثير 1990م. | 8 - من حضر اللغة العربية: سعيد الأفغاني: دار الفكر 1978م.                         |
| 5 - معاني القرآن: الفراء. تح: محمد علي النجار.   | 9 - الموجز في قواعد اللغة العربية: سعيد الأفغاني. ط3 دار الفكر 1981.              |

□□□

## كُلُّ الْمَمَالِكِ فِي رِثَاءِ سَعِيدِ الْأَفْغَانِي

شعر: د. علي العتوم

كُلُّ الْمَمَالِكِ وَالْأَنْسَامِ تَبِيدُ  
أَيْنَ الْأَلَى عَمَرُوا الْبِلَادَ وَعَمَرُوا  
هَذَا مَنَازِلُهُمْ وَتِلْكَ دِيَارُهُمْ  
وَلَقَدْ رَمَيْتَنِي الْحَادِثَاتُ بِسُهُمِهَا  
مِنْ يَوْمِ أَنْ وَقَعَ النَّبَاطِيُّ مَسْمَعِي  
أَسْتَأْذِنِي الْمَفْضَالَ فِي الشَّامِ الْبَيْ  
وَلَنَحْنُ فِي الْأَيْكِ الْأَعْنِ بِلَايِلِ  
وَتَرُودُ اللَّغَةِ الشَّرِيفَةَ مَنَهْلًا  
أَسْتَأْذِنَا يَا مِثْرَةَ النَّخْرِ الَّذِي  
كَمْ طَالِبٍ قَدْ أُمَّ سَاحَكَ فَانْشَنِي  
جَاوُوكَ شَتَّى مِنْ بَقَاعِ عِدَّةِ  
وَسَاكَتَ فِيهِمْ مَسَالِكًا مَتَمِيرًا  
طُورًا وَيَبْقَى الْوَاحِسُ الْمَغْبُودُ  
بَادُوا كَأَنْ لَمْ يَغْمُرُوا وَيَسُودُوا  
قَدْ أَصْبَحَتْ خَيْرَتًا حَوْتَهَا الْبَيْدُ  
سَنِمُ أَصَابِ الْأَبِّ فَهَوَ سَيِّدُ  
إِنْ قَبِيلٌ قَدْ فَاظَ الْإِمَامُ سَعِيدُ  
هِيَ لِلْعُلُومِ مَنَارَةٌ وَبِرِيدُ  
تَشْدُو لِفَجْرِ بِاسْمِ وَتَشِيدُ  
مَا إِنَّ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ  
هُوَ لِلشَّرِيعَةِ أَلْسَةٌ وَخُدُودُ  
مَنْ فِيضَ عِلْمِكَ يَرْتَوِي وَيُقِيدُ  
فَأَوَاهُمْ بِحَرِّ لَدَيْكَ مَدِيدُ  
بَيْنَ الْأَسَاذِ أَنْتَ فِيهِ فَرِيدُ

\* شاعر أردني، والأبيات مختارة من قصيدة طويلة.

والقصيدُ نهجُك والمسارُ رشيدُ  
 عنك احتملناها وأنت تقودُ  
 حصرى عليك بها القلوب تجودُ  
 أرض الحجاز عن الشام بعيدُ  
 أس على ريب المنون عميدُ  
 يسدى لك التكريم والتمجيدُ  
 إذ كل ما فيها لديك زهيدُ  
 قد غاب عنها فحلها الصنديدُ  
 ويؤيسه بزمانه التجديدُ  
 شهدت بها لك في الندى جهودُ  
 بقلوبنا هل ترجعن عهدُ  
 يستعنى لهدم تراثنا ويكيدُ

والجد سمنك في المواقف كلها  
 مثل حملت لواءها بعزيمة  
 نيكيك يا أستاذنا بمدامع  
 لله ما أفسى الفراق وأنت في  
 تقضي وتخطفك المنون وكلنا  
 يا أيها الأستاذ حسبك رفعة  
 أن كنت عن خدع الدنيا متجافياً  
 أنعك للعربية التكلتي التي  
 يا عالم من سيبويه خالسه  
 كم من يد أسديتها للساننا  
 يا راجلاً عنا وتارك حصرة  
 ولطالما كنت الشبابة لكل من

□□□

## أخبار التراث

### أمانة التحرير

#### تكريم:

بتاريخ 2003/9/7 أقيم اتحاد الكتاب العرب في مكتبة الأسد الوطنية حفل تكريم للدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، ومنحه درع الاتحاد وبراءة تقدير اعترافاً بعباءاته الكثيرة، وتقديراً لجهوده المسبولة في خدمة اللغة العربية وتراثها، وفي ميادين التربية والتعليم والإدارة.

كان أول المتحدثين عن مناقب الدكتور الفحام وأعماله عريف الحفل الأديب حسن حميد، فذكر في كلمات تفيض محبة وتقديراً إسهامات المحنقى به في المشهد الثقافي والتربوي، وأشار إلى خصاله الأخلاقية التي تعتبر مدرسة في المكرّمات.

وألقى الدكتور علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب راعي الحفل كلمة قال فيها:

((لقد كان أستاذنا الدكتور شاكر الفحام شجرة وارفة الظل تنحني لكثرة ما تنوء بحمله من طيب الثمر. كان أنموذج الرجل النشيط المتواضع الذي يرفعه علمه وموقعه وسلوكه إلى درجة أستاذية لا يعكّر صفوها الادعاء أو الغرور)).

بعد ذلك توالى كلمات وشهادات الأساتذة، الدكتور إحسان النص، الدكتور محمود الريداوي، الدكتور علي أبو زيد، محمود الأرنؤوط. عبروا فيها عن مشاعرهم تجاه زميل عزيز وأستاذ كبير نذر حياته للعلم والعمل وخدمة الوطن.

وقد ألقى الدكتور شاكر كلمة قصيرة شكر فيها اتحاد الكتاب على مبادرته، وجميع الذين شاركوا في تكريمه: متحدثين وحضوراً.

\*\*\*

## مؤتمر:

عقد مجمع اللغة العربية بدمشق مؤتمره الثاني بتاريخ 20/10/ إلى 23/10/2003 وجاء تحت عنوان (اللغة العربية في مواجهة المخاطر)، وضم المحاور التالية:

### 1-المخاطر من الداخل والخارج ووسائل مجابتهها:

- أ-انتشار العامية في مختلف وسائل الإعلام في الداخل والخارج.
- ب-استبدال اللغات الأجنبية باللغة العربية في اللافتات وأسماء المحال، والعلامات التجارية للمنتجات.
- ج-تفشي اللحن والأخطاء اللغوية في الكثير مما يكتب ويذاع.
- د-سوء أساليب تعليم اللغة العربية.
- هـ- اقتصار المدارس والجامعات والمعاهد العليا في بعض الأقطار العربية على تدريس المواد العلمية باللغات الأجنبية.
- و-محاولات إفساد اللغة العربية ومناهضتها، والدعوات المشبوهة للإعراض عن اللغة العربية الفصيحة، واستبدال العامية بها.
- ز-العولمة وهيمنة ثقافة الأقوياء على الثقافات الأخرى ولغاتها.

### 2-دور مجامع اللغة العربية في حماية العربية:

- أ-وضع المصطلحات وتوحيدها.
- ب-تيسير علوم العربية ووسائل تعليمها.
- ج-نشر كتب التراث.
- د-إلقاء المحاضرات ونشر المقالات، وبحث الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية، وتصحيح الأخطاء الشائعة، وتقويم أساليب الترجمة

### 3-اللغة العربية وآفاق المستقبل:

- أ-تعريب الحاسوب لتيسير التعامل معه.
- ب-الاستعانة بالحاسوب لتعليم اللغة العربية وعلومها لغير الناطقين بها، وللترجمة الآلية من العربية إلى اللغات الأجنبية وبالعكس.
- ج-عالمية اللغة العربية، ومكانتها بين لغات العالم الواسعة الانتشار، وإمكاناتها في استيعاب العلوم الحديثة، وقدرتها على توليد المصطلحات العلمية العربية.
- وقد أغنت هذه المحاور البحوث التي قدمها نخبة من علماء اللغة العربية، نذكر منهم: د.إحسان السنص د. ناصر الدين الأسد، د. عبد الكريم الأستر، د. عبد الله الصالح العثيمين، د. عبد الإله



نبنان، د. عبد الكريم خليفة، د. محمود الريداوي، د. عبد الرحمن حاج صالح، أ. محمود فاخوري،  
د. الصالح بلعيد، د. محمود السيد، أ. محمود الأرنؤوط.

وقد أقيم على هامش الندوة حفل تذكاري بمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاة مؤسس المجمع  
الأستاذ محمد كرد علي.

وفي نهاية المؤتمر توصل الباحثون إلى توصيات عديدة نقتطف منها ما يلي:

1-مناشدة الدول العربية إصدار تشريعات ملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات  
العامية واللغات الأجنبية في الإعلام والإعلان والإشهار، وترتيب عقوبات على المخالفين.

2-دعوة الدول العربية إلى رسم سياسة لغوية واضحة تتفق مع النصوص الواردة في دساتيرها التي  
تنص على أن اللغة العربية لغتها الرسمية. مما يرتب عليها تعميم استخدامها في مختلف ميادين  
مناشطها، فتكون لغة التعليم بجميع مراحل وأنواعه، ولغة الإدارة والقضاء والاقتصاد والإعلام  
وسائر وجوه الحياة الأخرى.

3-دعوة الدول العربية، وخاصة وزارات التعليم فيها، إلى إيلاء تعليم اللغة العربية في مدارسها  
العناية الفائقة، وتحسين طرائق تدريسها قراءة وكتابة.

4-دعوة مجامع اللغة العربية ووزارات التربية في الدول العربية إلى وضع الدراسات المتعلقة  
بتطوير مناهج تدريس اللغة العربية، ولا سيما الصرف والنحو والإملاء.

5-مناشدة الدول العربية، التي شرعت في تعريب تدريس المواد العلمية في معاهدها وجامعاتها،  
استكمالها وتوفير مستلزماته، كما يكون التعريب عامل تقدم علمي لها وسبباً لاستيعاب الطلاب  
استيعاباً صحيحاً، مع تحويل البحث العلمي إلى اللغة العربية تحقيقاً لتوطين العلم وفتح السبيل  
إلى الكشف والإبداع في العلم.

6-مناشدة الدول العربية التي لم تشرع في تعريب التدريس العلمي في مرحلة التعليم العالي،  
مباشرته دون تأخير مع توفير متطلباته الأساسية، من المدرس الكفي، والكتاب المؤلف بالعربية  
أو المترجم إليها، والمصطلح العلمي الصحيح.

7-دعوة جامعة الدول العربية والدول العربية جميعها إلى المساعدة على نشر اللغة العربية السليمة  
في مواطن الاغتراب وبلدان الشعوب الإسلامية المتعطشة إليها. وتعزيز استعمالها في هيئة  
الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وذلك بتقديم العون البشري والمادي والفني لها. مع دعوة  
ممثلي الأقطار العربية إلى الالتزام باللغة العربية.

8-دعوة مجامع اللغة العربية إلى الاهتمام بإعداد المعجم التاريخي للغة العربية الذي يرصد اللغة  
من أقدم عصورها حتى اليوم.

9-توفير الآليات الضرورية لتحقيق الزيادة المطلوبة في المحتوى العربي للشبكة العالمية

- (الانترنت)، عن طريق التحول نحو الرقمية وإصدار التشريعات الحافزة لقيام صناعات في المحتوى العربي للشبكة وتعليم المعلوماتية والاتصالات بالعربية.
- 10- السعي لإنشاء مرصد عربي للمصطلحات.
- 11- تشجيع مراكز الترجمة والتعريب، وربطها بشبكة اتصالات تساعد على تواصل الأفراد والجمعيات والهيئات.

\*\*\*

عقد مؤتمر (الاجتهاد في قضايا البيئة والعمران)، في جامعة اليرموك بمدينة اربد الأردنية بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة /إيسيسكو/، ورابطة الجامعات الإسلامية، وقد قدم ستون باحثاً أكاديمياً وعالمياً متخصصاً مجموعة من البحوث، تناولت الاجتهاد في قضايا البيئة في ضوء المستجدات العالمية، وقضايا الصحة من منظور إسلامي، وموقف الإسلام من قضايا العمران.

سعى المؤتمر إلى إبراز الرؤية الحضارية الإسلامية تجاه القضايا المعاصرة في مجال البيئة والصحة والعمران، مع إحياء الاجتهاد الإسلامي المنضبط في مناقشة هذه القضايا العالمية، وعرضها بما يخدم مصلحة الفرد والمجتمع. وصولاً إلى صياغة منظور إسلامي حضاري ينبع من المرجعيات الإسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة والتراث الفقهي.

وههدف المؤتمر إلى تعميق الوعي بإسهام الثقافة الإسلامية في الحضارة الإنسانية وعمارته الأرض. وانتهى إلى تأصيل وجهة نظر إسلامية علمية واضحة المعالم تبين رؤية الإسلام إلى هذه القضايا.

وأكد المؤتمر على أهمية حماية البيئة الإنسانية بمختلف عناصرها من جميع صور العدوان الذي يستهدفها. ودعا إلى تفعيل دور المجامع الفقهية ومجالس الإفتاء ومراكز البحث العلمي للمشاركة في حل المشكلات المعاصرة المتعلقة بقضايا البيئة والصحة والعمران.

وأوصى بإحياء فلسفة التراث الإسلامي والفنون الإسلامية في العمران والبناء، مع الاستفادة من التقنية.

\*\*\*

## ندوة:

نظمت جامعة المعتمد بن عباد الصيفية في مدينة أصيلة المغربية، ندوة دولية حول (أوروبا وأمريكا والإسلام).

عقد في سراييفو ندوة تربوية حول موضوع (إعادة صياغة التعليم الديني في البوسنة والهرسك على ضوء المتغيرات المحلية والدولية).

\*\*\*

## أسبوع تربوي:

فسي إطار التعاون المشترك لتحقيق الأهداف التي تجمع بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة /إيسيسكو/، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم /أليكسو/، أقامت المنظمتان أسبوعاً تربوياً في مدينة الرباط احتفاءً بالرباط عاصمة للثقافة العربية عام 2003.

وتضمن الأسبوع التربوي أنشطة تربوية منها:

- ورشة عمل إقليمية للمسؤولين عن التخطيط التربوي والتقييم.

- مائدة مستديرة حول تربية القيم من وجهة نظر إسلامية.

- ملتقى حول تكنولوجيا الإعلام والتواصل، وتوظيفها في تدريس التربية الإسلامية.

\*\*\*

## إصدارات

### كتب:

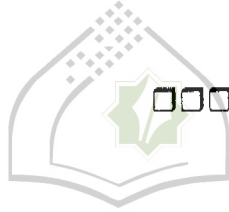
- \* صدرت ثلاث دراسات جديدة بالعربية والإنكليزية والفرنسية في ثلاثة كتب للدكتور عبد العزيز التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، هي: (التعليم العربي: الواقع والمستقبل)، (الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة)، (الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلام).
- \* أصدرت المنظمة الإسلامية عدداً من الكتب، نذكر منها:  
كتاب (فنون العمارة الإسلامية وخصائصها في مناهج التدريس) تأليف د. عفيف البيهسي.  
كتاب (القيم الإسلامية في المناهج الدراسية) تأليف د. خالد الصمدي.  
كتاب (فن العمارة الإسلامية في البلقان والبوسنة والهرسك) تأليف كمال سوكيثش.  
وكتاباً بالفرنسية بعنوان (الإسلام كما عرفته دين الرحمة والسلام) تأليف نصري سلهب.  
وكتاباً بالإنكليزية بعنوان (قدسية فلسطين لدى المسلمين) تأليف حسن الكرمي.

### طويات:

- \* عن وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، صدر عدد جديد من مجلة المعرفة التي يرأس تحريرها الأستاذ (زياد بن عبد الله الدريس). وقد أفرد هذا العدد الشهري ملفاً لموضوع (ثقافة الحوار وثقافة العنف)، ونذكر من محتوياته البحوث التالية:  
- العلاقة مع الآخر في الإسلام: مبنية على التعارف لا التعارك، التعايش لا التصارع/ أحمد

الدغشي.

- قيم الإسلام: الحوار، الانفتاح على العالم، محمد السماك.
- لماذا يلجأ الشباب إلى الرفض والتمرد والعنف؟/ الحارث حسن.
- الحوار: الوسيلة الأرقى لترسيخ ثقافة التسامح/ عبد الملك مرتاض.
- لماذا تعلم الأوروبيون من أرسطو، وأهمل العرب أبا حيان التوحيدي/ سوسن الأبطح.
- \* عن مركز الوثائق التاريخية بمملكة البحرين، صدر عدد من مجلة الوثيقة ضم مجموعة من البحوث والدراسات، منها:
- أثر العرب الفكري في الجانب الشرقي للخليج العربي حتى أواخر القرن الرابع الهجري.
- شبه الجزيرة العربية في الخرائط المحفوظة بالأكاديمية الروسية.
- الردة في بعض مناطق الجزيرة العربية، وموقف البحرين منها.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي